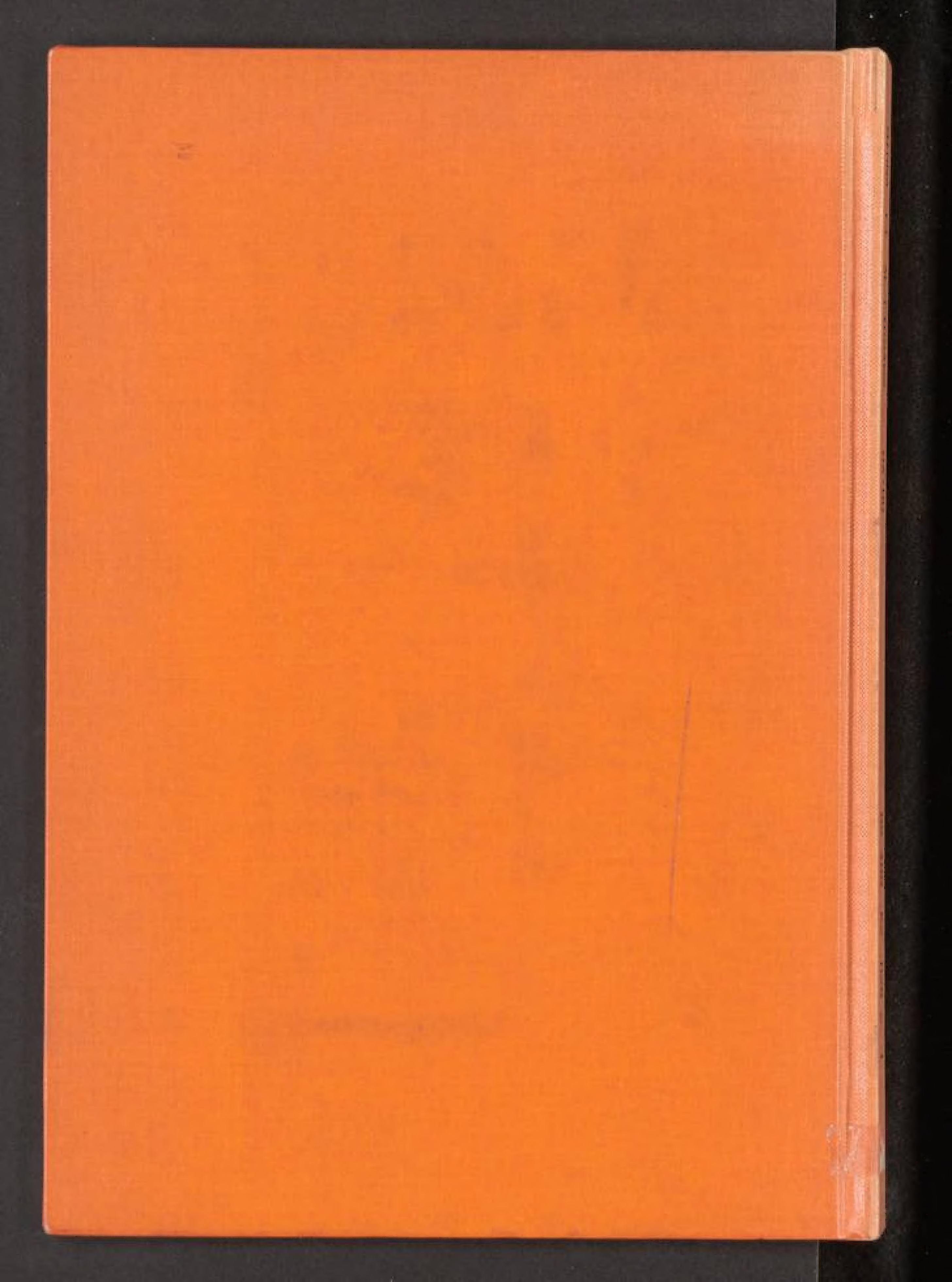
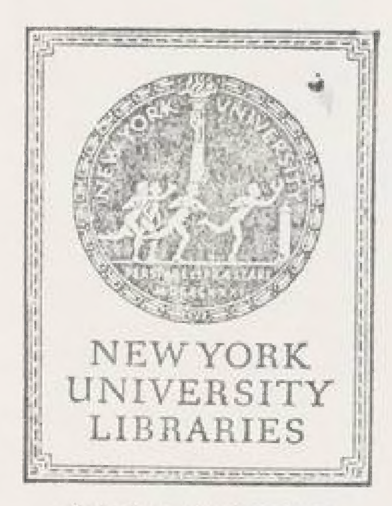


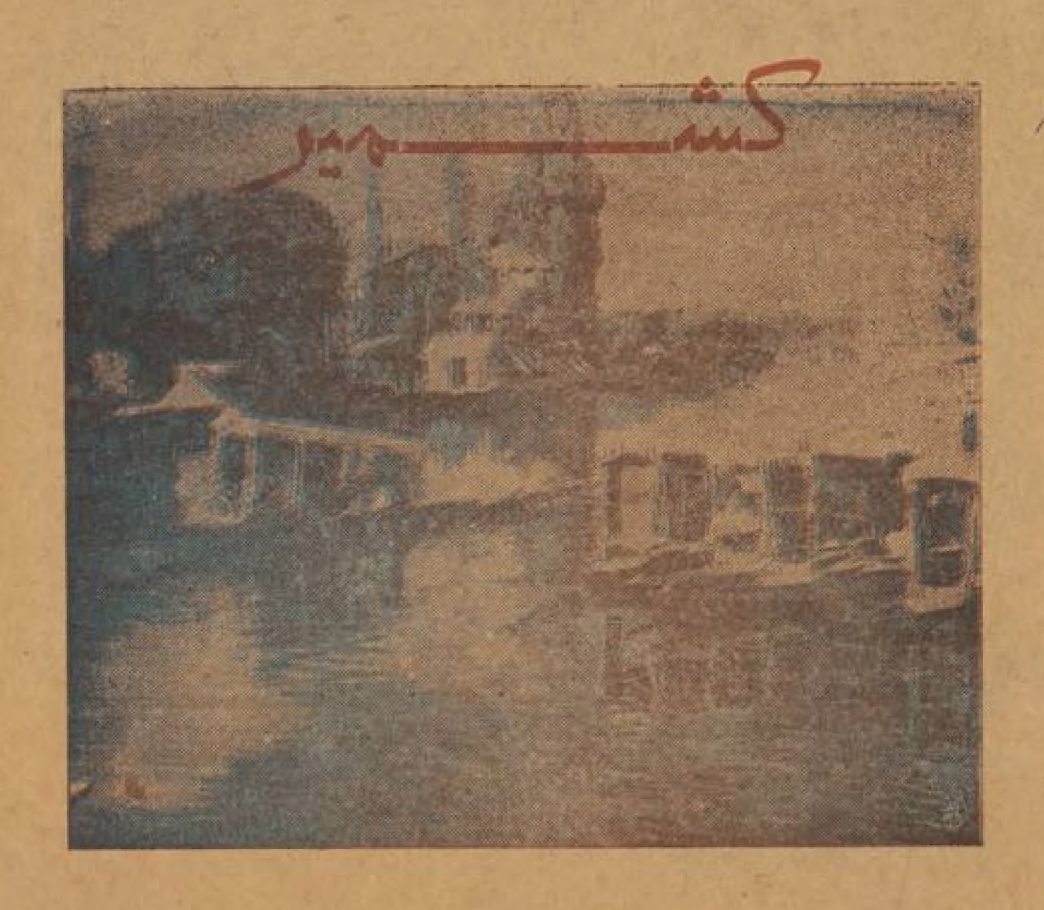

NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES





نور الدين داود

محنة في الفردوس





Ankara

Pakistan Sefareti
Basın Ataşesinin
Saygılarile

Da'ūd, Nur al-Dīn

نور الدين داود

(Mihna fi al-firdaws)

محنة في الفردوس

---o---

مطبعة المعارف بغداد
سنة ١٣٦٩ هجرية المصادفة ١٩٥٠ ميلادية

اهداء الكتاب

الى المظلومين الذين انتفضوا نحو تقرير المصير ، الى المجاهدين في سبيل الحرية والعدالة وحق الانسان وكرامته ، أرفع هذه الفصول المتواضعة .

نور الدين داود

مصائبنا ... (*)

للشاعرة أميرة نور الدين داود

نهوضاً فان الدين أصبح واهياً — إذ القدس في أيدي الصهاينة ذلت
وقبلتنا الاولى استحالت مسارحاً — لمختلف الآنام من شر فتية
واخواننا في الدين والقوم أصبحوا — شتاتاً وكل حل في دار هجرة
وفاز بنو اسرائيل بالدولة التي — أرادوا ونالوا كل نعمى ولذة

* * * *

مصائبنا في الشرق والغرب أصبحت — مشاكل والأيام بالسعد ضنت
طرابلس أقصى الغرب في ضيمها غدت — تكابد بأس الغرب في عقر أزمة
و « كشمير » سيمت كل ظلم وقسوة — وقد حرمت كل الحقوق بشدة
يعيث بها الهندوك من غير رحمة — فينكب أهلوها بها شر نكبة
أفكرة تقرير المصير جريمة ؟! — تكابدها الاقوام في كل أمة

(*) من قصيدة القتها الشاعرة في حفلة الجالية الباكستانية في بغداد في الترحيب بمقدم فخامة السيد لياقت علي خان رئيس وزراء باكستان ونشرت في جريدة الحوادث في العدد ١٩٠٧ بتاريخ ١٦ ايار ١٩٤٩

بين أيدي القراء

محنة في الفردوس !

عنوان لا بد وان يشغل القارىء بعض الوقت ! انه سيقف أمامه حائراً لا يدري ما الفردوس ؟ وما محنته ؟ وكيف يصدق ان تكون فيه محنة ينقلها قارىء حي الى أهل الدنيا الاحياء ؟ وقد يكون أقرب اليه ان يتصور العنوان عنوان قصة سبكها الخيال كما سبك خيال أبي العلاء المعري رسالة الغفران . ولكن : كلا ... انه موضوع بلد تغنى بمحاسنه الشعراء واطراء الغرباء فحنوا اليه حنين الابنـــاء . انه موضوع بلاد شبهت بالجنان ولكنها تجتاز اليوم محنة يتلظى بنيرانها أهلها في حلك من الظلام لا يدرون أهم خارجون الى النور ليعيشوا في جنانهم عيشة يرتضونها أم هم ذاهبون الى مصير ذهب اليه اخوان لهم في بقاع اخرى من قارتهم .. ان البلاد هي كشمير الاسلامية التي قال فيها الشاعر السيد محمد اقبال :

تنم كلى زخيابان جنت كشمير   دل ازحريم حجاز ونواز شيرازاست

اي تكون جسدي في رياض جنة كشمير ، وصيغ قلبي في حرم الحجاز ونشيدي من شيراز .

وقيل ان جهانكير الامبراطور المغولي زوج نورجهان اتخذ من كشمير مصحا يحج اليه وكان يتغنى بمحاسن كشمير فيقول اذا كانت على الارض جنة فهي هذه .

وقد صاغ الشاعر الايرلندي توماس مور هذا المعنى في قصيدة نظمها في وصف عهد جهانكير قائلا :

And oh! if there be, an elysium on earth
It is this, it is this !

اي : واذا فرضنا وجود جنة الفردوس على الارض ، فانها هذه انها هذه ! وقد

صاغ نفس المعنى الشاعر جو هدري خوشي محمد ناظر في « نغمهٔ فردوس » اي « لحن الفردوس » قائلا :

اگر فردوس بر روی زمین است   هم این است وهم این است وهم این است

اي : اذا كانت جنة الفردوس على وجه الارض ، فهـذه هي ، فهذه هي ، فهذه هي .

ولكن هذه البلاد التي تغنى بجمالها الشعراء وأفاض في وصفها الادباء فرفعوها الى مرتبة الفراديس التي وعد الانسان بنعيمها وحورها العين لم تعد تتسم بتلك السمة الا من حيث ما وهبها الله من جمال . فان جبالها الشم المكللة بالثلوج ورياضها الوارفة الظلال في السفوح وسهولها المزركشة بالرياحين والازهار والورود وبحيراتها المتلألئة تحت أشعة الشمس كالمرايا لا تزال ترينا الفراديس على الارض ولكن لايسكن هذه الفراديس — مع الاسف — إلا اناس معذبون مضطهدون مظلومون يحكمهم غرباء عن جنسهم أعداء ثقافتهم وعقائدهم وتقاليدهم ومقدساتهم .

وقد أثار وضع أولئك البائسين، سكان الفردوس ، نزاعا بين حكومتين ناشئتين لم تحظيا بالحرية الا بعد اداء ثمنها غاليا وأعني بهما حكومة الهند وباكستان . ويشغل هذا النزاع كبار الساسة في الشرق والغرب لانهم يخشون ان يتطور الى حرب جرارة دامية لاتخل بالاستقرار المتوخى للشرق الاوسط فحسب بل يخشى ان يتعدى أثرها هذا الحد الى الاخلال بأمن الدنيا وسلامها .

بيد ان الذين يهتمون بأمر كشمير في الغرب هم غيرهم في الشرق . فان هذا الاهتمام يكاد ينحصر في الغرب في عدد ضئيل من رجال السياسة في الدول الكبرى وأوساط الامم المتحدة بينما نجده في الشرق يثير اهتمام خمسمائة مليون من المسلمين تمتد بلادهم من سواحل المحيط الاطلنطي في الغرب الى جزر الهند الشرقية وأقاصي الصين .

فان العالم الاسلامي على اختلاف ملله ونحله يؤمن بوحدة المسلمين الثقافية والروحية ويشعر في نفس الوقت بوحدة المصالح المادية الناشئة عن تجاور أقطاره

لذلك نجد مصير اكثرية سكان كشمير التي تقرب من اربعة ملايين نسمة لايثير اهتمام المسلمين فحسب ولكنه يبعث فيهم القلق لما يبلغهم من ضروب الاضطهاد للمسلمين في البلاد الراضخة لحكومة الهند الوثنية .

وقد لا أخطىء اذا ما قلت ان العراق اكثر الاقطار العربية والاسلامية شعوراً باحداث البلاد الاسلامية لانه وفيه أجداث آل بيت الرسالة الطاهرين عليهم السلام اكثر البلاد الاسلامية اتصالا بالعالم الاسلامي ، بعد الحجاز ، لما يتوافد عليه من الزوار الذين يختار عدد منهم المكث في العراق انقضاء ما تبقى من أعمارهم في جوار الاجداث المقدسة في بغداد او النجف او كربلاء او سامراء وقد يبقى البعض للتفقه في الدين على أيدي علماء العراق الاعلام الذين لهم مكانتهم المرموقة في شرق العالم الاسلامي بوجه خاص .

ان من يبحث في هذه الصلة يجدها ترجع الى القرن الاول الهجري يوم اتجه العرب الى فتح خراسان من قواعدهم في العراق (١٨هـ ٦٣٩م) وقد ظل العراق قاعدة الفتوحات الاسلامية في الشرق الى انتهاء حكم الامويين (سنة ١٣٢هـ ٧٤٩م) وعندما بدأ الحكم العباسي في هذا التاريخ كان العراق موطن سيادة وسلطان مطلقين على بلاد تمتد الى كاشغر في غربي الصين ومكران والسند وقنوج في شبه جزيرة الهند . وقد دامت هذه السيادة الى نهاية عهد المأمون (سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣م) حيث ظهرت اول دولة اقليمية في خراسان واخذ نفوذ الاتراك وغيرهم يزداد في دار الخلافة العباسية مما سبب تقلص سيادة الخلافة وسلطانها وظهور الحكومات المحلية وحلول سيادتها وسلطانها محل سيادة الخلافة وسلطانها شيئاً فشيئاً الى ان غدت سيادة الخلافة « أسمية » وسلطانها «رسمياً» ثم زال الاسم والرسم مع زوال الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ و١٢٥٨ م) عندما اكتسح هولاكو بغداد .

بيد ان هذه النهاية المؤلمة التي أدت الى تمزق الدولة العباسية الاسلامية الكبرى لم تقطع صلة العراق بالبلاد الشرقية ، فقد بقيت هذه الصلة ثقافية وروحية وحتى اقتصادية رغم الوقائع التاريخية والاحداث السياسية التي أشاعت الحروب والثورات فأخلت مدة من الزمن في سلامة طرق المواصلات وأمنها .

فقد واصلت رغم تلك الاحداث ، جموع الزائرين وطلاب العلم والناسكين والتجار ارتياد العراق . كذلك واصل رجال الدين والوعاظ والمرشدون وغيرهم من العراقيين ارتياد بلاد الشرق . وقد نشأ عن هذا الاتصال المتواصل بين العراق والشرق انتقال اسر عراقية الى بلاد الشرق ، تحتفظ حتى اليوم بكناها العربية ، وانتقال أسر من الشرق الى العراق نجد الكثير منها اليوم بين ظهرانينا .

بدافع هذا الشعور انصرفت منذ بضعة شهور الى دراسة ايالة كشمير مستعيناً بالكتب العربية والافرنجية بغية استجلاء : (اولا) ارتباط كشمير بأحد الطرفين المتنازعين من الوجوه الثقافية والاقتصادية والسياسية والتاريخية و (ثانياً) صلة سكان كشمير بسكان شبه جزيرة الهند . اذ كلما تطلعت الى شبه جزيرة الهند وجدت بلاد الهند ، ذات المناخ المتناسق والجنس المتقارب في المزايا والعقائد والاخلاق وطراز المعيشة واللغات ، تنتهي في جنوبي منطقة كشمير الجبلية الباردة ، وكلما تذكرت الكشميريين ذوي البشرة البيضاء واللغة التي تغمرها المفردات العربية والفارسية والتركية والافغانية (البستو) ، والادبيات التي تطغى عليها أدبيات فارس ، والعقائد والاخلاق والعادات المتناسقة مع عقائد واخلاق وعادات باكستان وأفغانستان وتركستان وايران كنت أتخيل الشعب الكشميري شعباً من شعوب أواسط آسية انحدر الى البلاد من الشمال او او الشمال الغربي .

ولما انتهيت من هذه الدراسة الى تكوين هذه الفصول رأيت ان أتحف بها المكتبة العربية لتكون نواة سلسلة دراسات لبلاد الاسلام يقوم بها فضلاء الاساتذة والباحثين ليزيدوا المسلمين علماً باحوال مختلف اجزاء عالمهم وسكانها مما يساعد على التعارف والتقارب وتوثيق الصلات فالتعاون على درء الاخطار التي تهدد كيانهم المشترك سواء أكان منشأ هذه الاخطار مطامع الخصوم أم آراء مسمومة وافدة عليهم من خارج عالمهم .

والله من وراء القصد .

نور الدين داود

الوضع الجغرافي

وصف عام — جمال الطبيعة — المناخ الاوروبي — التكوين
الارضي — الصلة بالعالم الخارجي — أصل السكان
الرجل الكشميري — المرأة الكشميرية
التقسيمات الادارية ـ المواصلات ـ الزراعة

من ينظر الى شبه جزيرة الهند في خريطة العالم يجدها في شكل معين يصاقب رأسه الدرجة ٣٢ر١٧ في شمال خط الاستواء ويلامس أسفله الدرجة (٥) في شمال خط الاستواء ، يسود هذه المنطقة مناخ رطب حار في السواحل والسهول الجنوبية يتلطف في الشمال ، ويحد شبه الجزيرة من الشرق سلسلة جبال تنحدر من سلسلة هميلايا الى خليج بنغال ومن الغرب روافد نهر الهندوس التي تصب في بحر العرب في كراجي وقد شاء تطور السياسة وشاءت احداث التاريخ ان تمتد حدود شبه الجزيرة سياسياً الى أبعد من هذه الحدود الطبيعية الى خط العرض ٣٦ر٥٨ في شمال خط الاستواء وفي هذا القسم الذي يبدأ من الدرجة ٣٢ر١٧ الى ٣٦ر٥٨ شمال خط الاستواء تقع ايالة كشمير التي تدعى « كشمير وجمو » وهي بلاد جبلية تختلف عما في جنوبها من بلاد الهند وفي شمالها من بلاد المغول والترك والاوزبك ولكنها تقع بين الطرفين وسطاً اكثر شبهاً بشمالها من حيث المناخ مع جمال تكاد تنفرد به في آسيا .

اما من حيث السكان ولغتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وعاداتهم فانها اكثر انسجاماً مع باكستان الواقعة في جنوبها وغربها وشمالها الغربي لكن المرء يلحظ فيها خليطاً غريباً من الناس بسحنات مغوليه وتبيتية وأزبكية وفارسية وسامية الى جانب أقلية هندوكية ضئيلة .

تبلغ مساحة كشمير وجمو ٨٤٤٧١ ميلا مربعاً من الاراضي الجبلية يتخللها سهلان اولها المعروف بوادي كشمير وطوله ٨٤ ميلا وعرضه ٢٥ ميلا



تتوسطه عاصمته سرينا كار الواقعة على ضفتي نهر جيلوم وثانيهما سهل جمو المتاخم للبنجاب ويمر بقسمه الشرقي نهر شناب وفي غربه نهر جيلوم الفاصل بين « جمو » و « بنجاب » .

ويحد هذه الايالة من الشمال تركستان الصينية ومن الجنوب ولاية بنجاب بقسميها الشرقي والغربي ومن الشرق جبال هيملايا التي تفصل بينها وبين التيبت ومن الغرب ولاية الحدود الشمالية الغربية الباكستانية التي تمتد من غربها الجنوبي الى شمالها الغربي . فالصلة بين هذه المنطقـة والهند تنحصر في شقة صغيرة من ارض بنجاب الشرقية التي ألحقت بالهند على أثر تقسيم شبه جزيرة الهنـد بين الهند وباكستان .

وتعلوها في الشمال الشرقي سلسلة جبال قره قورم وفي الشمال الغربي سلسلة بدخشان وهندوكوش وفي الشرق سلسلة هيملايا . وتحيط بوادي كشمير سلسلة جبال بير بانجال التي يبلغ ارتفاعها ١٤٠٠٠ قدم من كل الجهات ويبدو الوادي في حضن هذه السلسلة شبيهاً بمسرح يوناني زاهي الخضرة « وهبه الله أرضاً خصبة وجواً رائقاً وأنهراً متدفقة وبحيرات متلألئة وأزهاراً فواحة وفواكه لذيذة وطيوراً مغردة وقد اشتهر هذا الوادي بكونه جنة الجنس البشري[١] .

جمال الطبيعة

يشبه بعض الاوروبيين كشمير بسويسرة ويشبهها بعضهم باليونان ومع ان سويسرة تمتاز بجبالها المحيطة بالبحيرات كما هي الحالة في كشمير بيد انه ليس في سويسرة من الجبال مايضاهي بعظمته جبال كشمير . يقول فيكنه[٢] : « ان النباتات والغابات والاحراج والسيول (صورة طبق الاصل) لما في جبال الالب ولكن ليس في الدنيا اي محل يشهد فيه المرء مستديراً كاملا من الجبال المكللة بالثلوج تحيط بسهل يبلغ ١٩٠٠ ميل مربع ويعلو في كل مكان خمسة آلاف قدم عن سطح البحر سوى وادي كشمير . »

ويبلغ عرض الوادي من مثلجة الى مثلجة بين ٢٥ و ٣٠ ميلا وان كثيراً من قمم كشمير التي تؤلف جداراً قائماً متواصل الامتداد تتجاوز في الارتفاع « مونت بلانك » في سويسرة كثيراً وهي أرفع من جبال القوقاس ايضاً . ثم ليس وراء جبال سويسرة ما وراء جبال كشمير وأقصد الجبال التي لا يوجد أجمل منها في الدنيا .

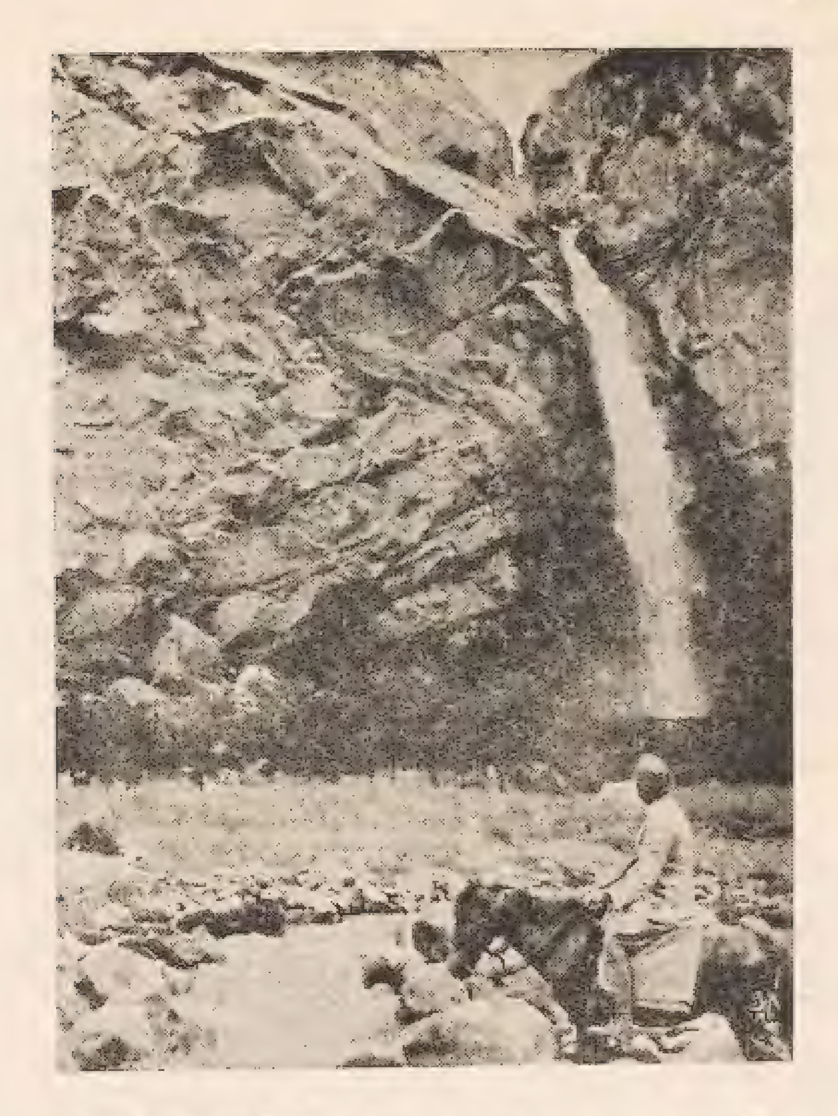
ويذهب البعض الى حد القول بان كشمير أجمل من اليونان التي تغنى بها الشعراء . والسير فرنسيس يانغ هو من اولئك فقد قال في صدد المفاضلة :

« ان سماءها هي نفس السماء الزرقاء وشمسها نفس الشمس الساطعة هناك ولكن جبالها الارجوانية أعظم وأضخم بكثير وان لم تكن فيها بحار ففيها

---

(١) المجلد الثاني من Historianis history of the world ص ٤٥٨

(٢) جي . في . فيكن Vigne سائح : انظر المجلد الاول من سياحته صحيفة ٢٨٩



بحيرات وأنهر ولكن جبالها المكللة بالثلوج اكثر تأثيراً على المشاعر وان مشاهدها الطبيعية اكثر تنوعا . فيها الحقول والغابات والجبال الوعرة والوادي المنفرج وانتهى الى القول انه بعد ان شاهد البلدين وجد كشميراً أبعد أثراً في النفوس من حيث جمالها الطبيعي » .

وقد قال فيها السيد محمد إقبال :

كوه ودريا وغروب آفتاب　　　　من خدارا ديدم آنجابي حجاب

ومعناه : جبل وبحر وغروب شمس، رأيتها هناك،من أثر الله لا يحجبها حجاب .

ومن أجمل ما في كشمير بحيرة دال التي تحيط بها جبال نزركش سفوحها البساتين والغابات فمن يطل على هذه البحيرة في الصباح الباكر من الموقع الذي يدعى « تخت سليمان (١) في الجبل يعلم ما فيها من سحر أخاذ . فانه يجد صور الاشجار ومن ورائها الجبال منعكسة على صفحة هذه البحيرة انعكاس الاعراض على المرآة الصافية . وقد اشتهى جمالها القاضي ميان محمد شاه دين فقال :

رجائي تو دال كي كناري مزارهو !

اي « رجائي اليكم ان تجعلوا قبري بعد الممات على ضفة بحيرة دال »

وليست بحيرة « دال » صفحة من الماء فحسب ولكنها أكثر من ذلك فانك ترى في جنباتها بساتيناً عائمة وجزراً صغيرة تتخللها الجداول وعلى سواحلها عدداً من القرى الجميلة تمتد لمسافة خمسة أميال طولا وميلين عرضاً .

المناخ الاوروبي

مع ان الجليد يعلو قمم الجبال صيفاً وشتاء وان السهل يعلو خمسة آلاف قدم عن سطح البحر فليس في كشمير البرد القارص القاسي . فقد قال فيها احد الشعراء بالفارسية :

گرمش نه گرم است ، سردش نه سرد است

اي انها حارة وليست حارة ، وباردة وليست باردة

والسبب قيام الجبال الشاهقة حائلا دون صقيع الشمال ولوافح الجنوب .

(١) تقول الاساطير الشائعة في كشمير ان النبي سليمان أطل من هذا المكان على الهند والاقرب الى المعقول ان يكون الشخص الذي أطل من هذا المكان احد قادة العرب الذين احتلوا شمالي كشمير . وقد روى المؤرخون العرب ان قتيبة ابن مسلم بعد ان فتح بلاد ما وراء النهر (وهي تركستان الروسية اليوم) عزم على فتح الصين فبعث اليها بكشافته وقيل انه فتح في سنة (٩٦هـ ٧١٤م) كاشغر وقد روى الطبري انه لم يفتحها ولكنه بلغ تخومها فقبل الجزية من ملك الصين وسواء افتتح كاشغر ام لم يفتحها فان مجرد دخوله تخوم الصين دليل على انه كان في ذلك التاريخ في شمالي كشمير .

لذلك فان مناخهـا يعادل المناخ الاوربي من البحر الابيض المتوسط فشمالا وان درجة الحرارة من كانون الثاني الى منتصف شباط تكون عادة بمعدل ٣٥ درجة فهرنهايت اي ٣ فوق الصفر بقياس السانتيغراد ومن تموز الى منتصف آب ٨٠ درجة فهرنهايت اي ٢٧ درجة سانتيغراد اما في الاحوال الشاذة فقد تهبط في الشتاء الى ١٥ درجـة فهرنهايت اي اكثر من ١٠ تحت الصفر وتعـلو الى ٤٥ فهرنهايت اي ٧ فوق الصفر وفي الصيف قـد تهبط الى ٥٥ اي ١٣ سانتيغراد فوق الصفر وتعلو الى ٩٣ فهرنهايت اي نحو سانتيغرادين .

ولا يختلف مناخ الوادي في شهر ايار من مناخ سويسرة ومع انه يأخذ بالتغير كلما تقدم الصيف ولـكن مهما اشتد الحر فانه لا يتجاوز حرارة جنوبي ايطاليا . وأشهر الخريف في كشمير من أجمل أشهر السنة . اذ يكون الجو صافياً والسماء زرقاء ساحرة والشمس ساطعة تنير الارجاء والنسيم بارداً مقبولا .



ويسقط المطر بكثرة في جبال هملايا وحواليها بيد ان معدله السنوي في سرينا كار لا يزيد عن ٢٧ عقدة .

ويتساقط الثلج في الشتاء في معظم انحاء كشمير في أوقات متفاوتة ولكنه يعم البلاد كلها جبلا وسهلا مدة شهرين من السنة لذلك تعتبر كشمير من البلاد الصالحة الرياضة الشتائية ويعتقد ان مناخها أصلح من مناخ انكلترة للمصدورين.

وكما ان منـــاخ كشمير لا يختلف عن مناخ اوروبا فكذلك لا يختلف عن مناخ اميركا إذ يجد فيها الاميركي مناخ كندة البـــارد الى جانب مناخ شمالي المكسيكو الحار ومناخ لوس انجلس المعتدل .

التكون الارضى

بين العلم و الاساطير

من الغريب ان يتفق رأي علماء طبقات الارض في تكوين ارض كشمير مع الاساطير التقليدية القديمة . فان العلماء يعتقدون ان وادي كشمير كان بحيرة واسعة عميقة الغور قبل نحو من ١٠٠ مليون عام وتكاد تذهب الاساطير الى نفس الرأي ولكن بالطريقة التي يستوحيها الانسان من محيطه وطراز تفكيره واعتقـاده ، ومع ان لا قيمة علمية لمثل هذه الاساطير من المفيد ان يحيط بها القارىء ويستجلي وجه تكون العقائد الهندوكية .

يزعم ان جيفا Chiva المدعوة ساتي ظهرت بشكل الماء ويزعم انه من صنع جاكتي Chakti (احد الآلهة الهندوكيين) وقد دعي المحل الذي ظهرت فيه (ساتيساراس) اي المحل الذي مسخت فيه جاكتي ساتي فغدت بحيرة .

وتزعم الاسطورة ان ساتي هي ابنة داكسا Daksa وقد رمت بنفسها في نار التضحية التي أوقدها أبوها لانه رفض ان يدعو عريسها ليأخـذ نصيبه من النـــذور . ثم تمضي الاسطورة تقول انـــ حفيد « براهمه » كاجيايا Kachyapa قام بزيارة من الجنوب الى البنجـــاب ولما وصل جالاندهارا « جوللاندر » الـكائنة في شمال غربي البنجاب وجد البلاد وقد عبث بهـــا

الشيطان المدعو « ركساس » المخلوق من الماء (جالود بهاقا) اذ كان قد اتخذ البحيرة الواسعة « ساتيسيراس » مقراً له فأفسد البلاد وجعلها خرابا يبابا . وقد فزع كاجيابا من هذا الشيطان وجنوده فأخذ يتعبد ويستغيث حتى جاءه من آلهة الهندو « هندو تراياد » و « براهمة فيشنو » و « جيفا » . وقد ظهر ان « ايندرا » إله الصواعق قد بذل جهداً مع آلهة آخرين لابادة الشياطين ولكنهم لم يفلحوا الا في ابادة قليل منهم وقد اختفت الاكثرية في المياه . فانقلب الاله فيشنو خنزيراً فضرب بذنبه جبال فاراهامولا (المحل الذي فيه بلدة بر امولا (١) الحديثة) وأزال بانيابه العوائق الاخرى فتدفقت مياه البحيرة الى الاراضي الواطئة في سرينا كار (عاصمة كشمير الحاضرة) وغمر المارد نفسه فيها محاولا الاختفاء ولكن فيشنو تعقبه وقبض عليه ثم أبادته الآلهة . ولما تم ابادة (جالود بهاقا) فقد الجنود معنوياتهم ولم يتمكنوا من الصمود فتواروا عن الانظار وبعد جفاف المياه الواسعة أخذ الناس يسكنونها في الصيف والانسحاب منها الى الاماكن الجافة الدافئة في الجنوب شتاء تاركين كشمير للشياطين . وقد اختار مرة احد الشيوخ البرهميين البقاء في الشتاء متخفياً في احد الكهوف فقبض عليه الشياطين واخذوه الى محل يدعى اليوم نيلا ناكه (٢) حيث رمي في البحيرة . فغطس الى الاسفل ثم استقر في قصر عظيم أقيم فيه عرش جلس عليه الملك نيلا ناكه (ابن كاجيابا) فمثل بين يديه وشكا له

---

(١) برامولا بلدة تقع على ضفتي نهر جيلوم ويقوم بين الضفتين جسر يصلهما ببعضهما . وتبعد برامولا عن سرينا كار (٣٤) ميلا تعلو هذه البلدة عن سطح البحر ٥١٠٠ قدم وكانت نفوسها في سنة ١٩٣١ (٦٨٨٦) منهم ٥٨٣٩ مسلمون وقد تضاعفت نفوسها خلال المدة المنتهية في سنة ١٩٤١ فبلغت ١٢٫٧٢٢ والطريق المؤدي من برامولا الى كشمير مشجر تقوم على جانبيه اشجار الحور البيضاء الطويلة .

(٢) نيلا ـ ناكه (النبع الازرق) قطعة من الماء بيضية الشكل يبلغ طولها ١٠٠ ياردة وعرضها ٢٠ ياردة وعمقها ٤٠ ياردة تقع في سفوح التلول الكائنة في جنوبي وادي كشمير في قرية « كوجي بانار » التي تبعد نحو اربعة اميال غربي « شرار شريف » على بعد ٢٠ ميلا من سرينا كار . وهذا النبع مقدس لدى الهندوكيين .

اساءة الشياطين . وقد تلقاه الملك بلطف وتسامح ثم أعطاه الكتاب المقدس الهندوكي (نيلا ماتا بورانا) Nila mata purana ودعاه الى العمل بما جاء في هذا الكتاب وتقديم الصدقات وما يتطلب الكتاب من تضحيات وقال له ان هذا هو سبيل النجاة من الشياطين . وقد حمل في الربيع الى الاراضي اليابسة فابلغ السكان الرسالة التي حملها واستجاب لها السكان وكف الشياطين عن ايذائهم ومنذ ذلك الحين لم يجد الكشميريون مايدعوهم الى الهجرة في الشتاء .

مظاهر التكوين الارضى

ان مظاهر الارض في كشمير تؤيد ان كشمير كانت قطعة من الماء . فالبحوث الجيولوجية تقول ان كشمير كانت قبل التاريخ بحيرة أوسع من البحيرة الموجودة فيها الآن وان الصخور الرملية في الزاوية الغربية من البحيرة تدل على انها انجرفت بعوامل الفيضان وقد تلاه انهيار الارض فانفتحت ثغرة اخذت تتسع وتعمق بالتآكل التدريجي وضغط الماء مما فسح المجال لجريان مياه البحيرة وتصريفها وتقدر المدة التي تمت خلالها هذه التطورات بمئات السنين وكانت البلاد يومئذ شديدة البرد تهطل فيها كميات كبيرة من الثلج تجعلها غير صالحة للسكنى إلا في الصيف .

ولا يسكن عادة مثل هذه البلاد إلا الرعاة الذين ينتقلون في مختلف فصول السنة الى الاماكن التي تلائمهم . وعندما اعتدل الطقس أصبحت كشمير موطناً دائماً لصنف المزارعين .

في رأي علماء طبقات الارض ان الرواسب التي تملأ وادي كشمير مؤلفة من أقسام متهدمة من الجبال المحيطة بالوادي وقد تسربت الى اسفل بحيرة عظيمة وقال البعض ان هذه الرواسب كانت في زمن ماض تملأ الوادي كله الى ارتفاع ألف قدم فوق مستواه الحالي وقد حمل نهر جليوم معظم هذه الرواسب

الى سهول البنجاب وقد ذهب المستر مونتكومري الى حد القول بأن بحيرة ولر Wuler التي يبلغ طولها ١٠ اميال وعرضها خمسة اميال هي آخر مابقي من مياه كانت تغطي كشمير كلها ولكن المستر آر. دي اولدهام يعارض هذا الرأي وقد درس هذا العالم البحيرات الموجودة في كشمير والسهول المحيطة بها في سنة ١٩٠٣ فانتهى من بحثه الى القول بأن السهول متكونة من رواسب انهر جارية ولم تتكون من رواسب بحيرة أكبر من البحيرة الموجودة. ونفى وجود بحيرة اكبر من هذه في اي زمن من ازمنة التاريخ.

اسم كشمير

يقول بعض الباحثين ان اسم كشمير الاصلي هو « ساتيسارا » نسبة الى الاسطورة الآنفة الذكر ثم بدل وجعل « كا ـساميرا » Ka-Samria ومعناها الارض التي صرف ماؤها بالهواء.

ويقال غير ذلك فقد زعم ان كلمة كشمير مركبة من مفردات لغة « برا كريت Prakrit وحسب هذه اللغة فأن كاس « Kas » تدل على قناة و Mir تدل جبل فيكون المعنى حوضاً في جبل أو قناة في جبل وفي الواقع ان وادي كشمير هو جوف عميق (٨٤ × ٢٠ أو ٢٥ ميلا) تقوم على جوانبه جداول من الصخور.

وفي رواية اخرى ان كلمة كشمير أو « كاشير » كما يلفظها الاهلون كلمة سامية تدل على شعب سام كان يدعى كاش سكن في هـذا الوادي ويقال ان هـذا الشعب هو الذي انشأ مدينة كاشان في ايران وكاشغر في غربي الصين، ولكن هذه النظرية تحتاج الى بحث. ومن يقول بهذه النظرية يدعى ان هذا الشعب الحق باسمه « مير » و « آن » و « غر » فكانت « كلمة « كاشير » بمعنى أرض الكاشيين وكاشان بمعنى « الكاشيين » و « كاشغر » بمعنى الكاشيين « الغر ». ولكن يدعي بعض العلماء ان كلمة كشمير قديمة جداً ولا يمكن ان

تعلل تعليلا لغوياً بأي وجــه . ويلتمسون لهذا الرأي تأييداً في وجود كلمة كشمير في المراجع الصينية سنة ٥٢٦ ميلادية حيث كان يدعى الوادي كو ـ شيه ـ مي وقد استعملت كلمة كشمير اسماً علماً للمنطقة طيلة الزمن ويعتقد انها عرفت بهذا الاسم خلال ٢٣ قرناً ماضية أو يزيد .

صلة كشمير بالعالم الخارجي

الصلة بالعرب

يقول الدكتور صوفي في كتابه كاشير « ان اول غزوة قام بها العرب الى الهند بلغت العرب تخوم كشمير . ولـكن لم يفتح المسلمون في هـذه الغزوة ولا بنجاب لذلك لا نجد في كتب الجغرافيين العرب كالمسعودي والقزويني والادريسي إلا القليل مما يتعلق بكشمير . »

والحقيقة ان العرب بدأوا بفتوحات الشرق من قاعدتهم الشرقية في العراق سنة ١٨ هجرية (٦٣٩ م) أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ تم في هذه السنة فتح خراسان على يد الاحنف بن قيس ثم وجه عثمان بن عفان رضي الله عنه سعيد بن العاص والي الكوفة الى طبرستان في سنة ٢٩ هـ (٦٤٩ م) وعبد الله بن عامر بن كريز والي البصرة الى ماوراء النهر (وهي جميع البلاد الواقعة شرقي بلاد جيحون أي صغد واشروسنه وفرغانة والشاش وبخارا) وقد ذكر عبد الله بفتح الهند وتثبيت أقدام المسلمين فيها ولـكن الـكشافة التي وجهها اليها ثبطت همته فقد عادت تقول ان البلاد لا تخضع إلا لجيش قوي متين « ان قل الجيش فيها ضاعوا وان كثروا جاعوا[1] » .

ولما تولى الحجاج بن يوسف العراقين وخراسان أعد المهلب بن أبي صفرة ومحمد ابن القاسم وقتيبة بن مسلم الباهلي لاتمام فتوحات المشرق فوجه المهلب

---

(١) البلاذري ص ٤٣٨

وقتيبة الى ما وراء النهر لاتمام فتوحاتها وتوطيد اركان الشريعة الاسلامية فيها ولمع نجم قتيبة بعد وفاة المهلب فاحتل جميع البلدان المتاخمة لـكشمير من الشمال .

اما محمد بن القاسم فقد توجه الى الهند من شيراز وكانت قاعدة حركاته ومقر جيشه فاحتل مكران ثم قنزبور وارمابيل والديبل والبيرون وسهبان (سهوان) ومهران وبرهمناباد وسادندري والرد ثم الملتان (بضم الميم) ومعظم هذه البلدان هي في باكستان الحالية وربما كانت كلها باستثنـاء قسم كشمير المحتل من قبل الهند . فقد كانت كشمير في هذا العهد محاطة بالعرب من الشمال والجنوب والغرب وكان قتيبة يمعن في فتح شمال كشمير بينما كان محمد بن القاسم يمعن في فتح جنوبها .

وعندما زالت دولة الامويين في سنة ١٢٧ ﻫ فنشأت الدولة العباسية كان للمسلمين في الهند خمس كور :

الاولى : مكران وعاصمتها ناكبور وهي بلوشستان التابعة لباكستان

الثانية : طوران وقصبتها قصدار

الثالثة : السند عاصمتها المنصورة ومن مدنها ديبل وهي ولاية باكستان التي فيها عاصمتها كراجي

الرابعة : ويهند عاصمتها باسمها

الخامسة : قنوج وبهذا الاقليم نهر مهران

وقد جاء في تقويم البلدان[١] عن قنوج تقع « بين ذراعين من نهر كنك » وقال المهلبي في العزيزي قنوج مدينة في اقاصي الهند وهي في جهة الشرق عن الملتان بينهما مائتان واثنان وثمانون فرسخاً وقنوج مصر الهند واعظم المدن فيها .

وقال الادريسي في نزهة المشتاق « وقنوج مدينة حسنة كثيرة التجارات

---

(١) الفه في سنة ٧٢١ ﻫ السلطان الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود .

وبهـا يسمى الملك قنوج وعدت من مدن القنوج كشمير الخارجة وكشمير الداخلة وغيرها . من كشمير الداخلة الى قنوج شبع مراحل .

وقد جاء في الشاشنامه وهي الترجمة الفارسية لتاريخ فتوح السند ان محمد بن قاسم قتـل هندياً يدعى داهير فالتجأ ابنه جاسيا الى « سراي كشمير » وقد صحبه في هذه الرحلة رجل سوري يدعى حميم بن سامه وقد أمر راي كشمير باقطاعه أرضاً في « شا كالها » وقد مات جاسيا في هذه الاراضي ومن ثم انتقلت الى حميم وأخذ حميم بأنشاء المساجد في كشمير ونشر الاسلام فيعتبر حميم أول مسلم يدخل كشمير وكان ذلك بين سنة ٨٦ و ٩٦ هجرية و (٧٠٥ و ٧١٥ ميلادية)

وفي سنة ٧٣٣ ميلادية اي ١١٥ هجرية بعث لاليتاديه مكتابيدا ملك كشمير وفداً الى ايمبراطور الصين هوسان توانغ لاطلاعه على ان الحرب القائمة بين كشمير والتيبت قد انتهت بانتصار كشمير ولـكن العرب في الملتان والسند يهددون بهجمات لا بد من الاستعداد لصدها وقد طلب الى ايمبراطور الصين التحالف معه وانشاء معسكر على ضفاف بحيرة (ولار) في كشمير ليمكن التعاون في صد هجمات العرب . وقد جاء في راجاتانسكيني[1] ان ابن موكتابيدا الاصغر وخليفته الثاني المدعو فاجراديتيا Vajraditya باع كثيراً من الرجال الى المسلمين وادخل في بلاده كثيراً من التعاملات التي توافق المسلمين .

وقد جاء في كتاب عجائب الهند[2] : « فى الهند ما حدثنا به ابو محمد الحسن بن عمرو بن حمويه بن حرام بن حمويه النيجرمي بالبصرة قال : كنت بالمنصورة في سنة ثمان وثمانين ومائتين وحدثني بعض مشائخها ممن يوثق به ان ملك الرا

---

(١) ملحمة شعرية معناها نهر الملوك نظمها بالسانسكريتيه « كالهانا » فاستعرض فيها تاريخ كشمير من أول أدوار التاريخ الى سنة ١١٤٩ م وقد ترجمها الى الانكليزية السير اوريل ستين يوم كان من اساتذة جامعة بينجاب وقد توفي في كابل سنة ١٩٤٣ .

(٢) الفه عبد الله بن ميرزا محمد الخولي في سنة ٤٠٤ ه .

وهو اكبر ملوك بلاد الهند والناحية التي هو بهـا بين كشمير الاعلى وكشمير الاسفل وكان يسمى مهروك بن رايق كتب في سنة سبعين ومائتين الى صاحب المنصورة وهو عبدالله بن عمر بن عبد العزيز يسأله أن يفسر له شريعة الاسلام بالهندية فأحضر عبد الله هذا رجلاً كان بالمنصورة من أهل العراق حاد القريحة حسن الفهم شاعراً قد نشأ ببلاد الهند وعرف لغاتهم فعرفه ما سأله ملك الرا فعمل قصيدة وذكر فيها ما يحتاج اليه وانفذها اليه فلما قرئت على ملك الرا استحسنها وكتب الى عبد الله يسأله حمل صاحب القصيدة فحمله اليه واقام عنده ثلاث سنين ثم انصرف عنه فساله عبدالله عن أمر ملك الرا فشرح له اخباره وانه تركه وقد اسلم قلبه ولسانه وانه لم يمكنه اظهار الاسلام خوفاً من بطلان امره وذهاب ملكه ، وكان مما حكاه عنه انه سأله أن يفسر له القرآن بالهندية ففسره له قال فانتهيت من التفسير الى سورة يس قال ففسرت له قول الله عز وجل « قال من يحيي العظام وهي رميم . قال يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم » قال فلما فسرت له هذا وهو جالس ، على سرير من ذهب مرصع بالجواهر والدر لا نعرف له قيمة ، قال اعد علي فأعدت فنزل عن سريره ومشى على الارض وكانت قد رشت بالماء وهي ندية فوضع خده على الارض وبكى حتى تلوث وجهه بالطين ثم قال « هذا هو الرب المعبود الأول القديم الذي ليس يشبهه أحد وبنا بيتاً لنفسه واظهر انه يخلو فيه لمهمة وكان يصلي فيه سراً ومن غير ان يطلع على ذلك أحد وانه وهب لي في ثلاث دفعات ستمائة مناً (كذا) من الذهب . »

وقد ذكر الدكتور صوفي في كتابه « كاشير » ان قبائل البامباس التي تقطن على الضفة اليمنى من نهر جيلوم في كشمير تدعي بأنها منحدرة من سلالات اموية اذ كانت قد زحفت الى « بدخشان » وبعد ان استوطنتها مدة من الزمن جاءت الى كشمير عندما جاءها ضوجلة سنة ١٣٢٢ وتحشر هذه القبائل اليوم مع الرجبوت وقد استشهد على صحة ادعاء البامباس برسالة جاءته من المستشرق

الروسي المستر ايفانوف جاء فيها عن المصادر الروسية ما يأتي :

العرب : نفوسهم حسب احصاء سنة ١٩٣٤ (٥٤٣١٨ نسمة) يستوطنون منطقة بخارا في (قطاقورغان) (وسمرقند) وأماكن أخرى متفرقة في جماعات منعزلة عن بعضها في جمهوريتي اوزبك وتوركمان ويعيشون مع الاوزبك والتاجك ويمتهن معظمهم الزراعة .

اللغة : فقد معظمهم اللغة الاصلية وهم يتكلمون الآن الازبكية او التركية أو التاجيك اسوة بالسكان الذين يعيشون معهم ، ولكن في قرى بخارى بعض العرب الذين يحتفظون بلغتهم العربية ويحرصون على الفروق القبلية رغم اندماجهم بالسكان .

الدين : سنيون

الصلة بالاوروبيين

ليس في التاريخ اليوناني ما يدل على ان حملة الاسكندر الكبير اتصلت بوجه ما بكشمير ، ولم تعلم اوروبا بكشمير إلا بلسان البرتغاليين الذين ذهبوا اليها بدافع التدين لنشر المسيحية بين السكان ويقول المؤرخون الاوروبيون ان أول برتغالي كان على شيء من الشجاعة لدخول كشمير هو جيروم زافير Jerome Xavier وكان قد جاء قبله فرانسيس زافير من نفس العائلة لنشر المسيحية فدعي رسول الهند . ويذكران جيروم زافير حضر في بلاط امبراطور الهند العظيم اكبر من مدينة « آكرا » ورافق الامبراطور في زيارة كشمير ونشر ملاحظاته عن كشمير في اكتوبر سنة ١٦٠٥ . وثاني سائح اطلع الغرب على كشمير هو الدكتور فرانسيس برنيه Francis Bernier من كلية مونبيليه في جنوب فرنسة . وكان قد غادر برنيه فرانسة في سنة ١٦٥٤ في التاسعة والعشرين من العمر قاصداً الطواف حول العالم وقد جاء « سورات » Surat في سنة ١٦٥٧ في عهد « شاه جهان » بعد ان زار سورية ومصر وكان النزاع قائماً يومذاك بين أبناء شاه جهان من أجل عرش

المغول وقد استطاع « اورانكزيب » أن يرتقي العرش في دلهي ووصل برنيه دلهي في أواخر سنة ١٦٥٩ . وكان قد فقد امتعته وساءت حاله مما الجأه الى محاولة التوظف هناك . ولما فشل في محاولاته أخذ يتقاضى اجراً شهرياً من الاموال المرصـدة للخيرات وكان قد توسط له في ذلك أحد نبلاء بلاط اورانكزيب المدعو دانشمندخان وقد عاد من الهند بعد أن مكث فيها ١٢ سنة واختار الاقامة في باريس حيث نشرت كتب سياحاته في سنة ١٦٧٠ .

وكان الاب ديزيدري الجزويتي من العناصر الهامة التي زارت كشمير أيضاً. وقد ذكر ملاحظاته عن كشمير في رسالة بعث بها من لهاسا Lhassa في التيبت سنة ١٧١٦ .

ثم جاء في سنة ١٧٨٣ جورج فورستر أحد الموظفين المدنيين في مقر رياسة شركة الهند الشرقية في مدراس . وكانت كشمير في هذا الزمن محكومة من قبل الافغان إذ ضبطها احمد شاه الدرّاني (بتشديد الراء) تخلفهـا لابنه تيمور شاه الذي لبث عشر سنوات يجني ثمار فتوحات ابيه . وكان حاكم كشمير في هذا العهد آزاد خان .

كذلك زار كشمير ويليام مور كروفت وجي . تي . فيكنه والبارون هوكل والدكتور هونيكبرغر وفيكتور جاكومنت والبـارون ايريك فون شونبرغ يوم كانت راضخة لحكم السيخ .

أصل السكان

لقد اختلف العلماء في أصل سكان كشمير ولـكنهم لم يختلفوا في كونهم خليطاً من البشر جمعتهم العقيدة والمنافع والوطن الواحد . ان سرعة اختلاط العناصر ظاهرة المعالم تدل عليها تضارب فـلجة السكان في الشمال الغربي ومنطقة الـكنج وبنجاب وكشمير وفي راجبوتانا ـ بعض الشيء ـ حيث يصعب العثور

على اثر للسكان السود[١] .

والسبب الواضح لهذا الاختلاط هو وضع كشمير الجغرافي الذي جعل منها ممراً للسلالات المهاجرة من أواسط آسيا الى الهند في منتصف الالف قبل المسيح وكان طريق الهجرة نحو الجنوب واذا كان قد وقف بوجه المهاجرين جدار من الجبال منها هندوكوش وبامير بيد انه لم يكن من الصعب ان يجتاز هذه الموانع الرعاة الجبليون الذين يسوقون اغنامهم امامهم وينحدرون من هذه السلاسل الى الاراضي الخصبة التي بانت لهم كالجنان وليس من الصحيح ان يقال بأنهم لم ينحدروا الى الهند من جبال بامير وهندكوش إذ انهم لا بد وان يكونوا قد استطاعوا المرور من جهة الشرق الى جيترال او كلسكيت ومن هناك هبطوا الى منطقة كشمير الجميلة وشمالي البنجاب . ولا ريب ان الطريق التي تجتاز جبال هندكوش ابلغت آخرين منطقة كابل وشمالي افغانستان[٢] .

وقد ادعى بعض العلماء بأن الكشميريين هم من السلالات التي انتشرت في جميع القارة الهندية قبل مجيء الآريين ولكن هذا الفريق من العلماء لا يسند هذا الرأي الى شيء سوى وجود عبادة (الناكا) في كشمير قبل وبعد انتصار البوذية فيها غير ان هذا الفريق من العلماء لا ينكر مجيء الآريين الى كشمير بعد ذلك من الشمال الغربي ولا ينكر انتشار الزردشتية فيها قبل الاسلام .

يقول الدكتور هلمولت مؤلف تاريخ العالم ان البوذية الهندية مرت بكشمير إلى حوض « تاريم » والى اويغوريين ثم الصين ولكنها لم تستطع ان تجتذب القبائل الراحلة في غربي آسيا إذ قابلها المسيحيون والزردشتيون بدعايتهم الواسعة إلى أن جاء الاسلام فاكتسح ببساطته كل عقيدة في غربي الهند .

---

(1) The World's History By Dr H.F Helmolt
ص ٣٧٨ من كتاب تاريخ العالم للدكتور : ايج . ايف هيل مولت

(٢) ص ٣٦٤ من كتاب تاريخ العالم نفسه .

وقد رأي بعض العلماء الذين لا تناقش معلوماتهم عن كشمير على حد قول الدكتور صوفى[1] مؤلف « كاشير » ان سحنات النساء والرجال في كشمير تنطبق على سحنات الساميين وذكر في هذا الصدد خاصة السير والترلورنس والسير فرنسيس يانك هسبند

وقال السير والترلورنس ان الانوف المتقاربة من أبرز ما تمتاز به السحنات السامية، ويقول السير فرانسيس « نجد هنا أشكالاً جميلة من البطارقة واني لا أشك قط في وجود أشكال في هذه البلاد تشبه أشكال الشعوب التي عاصرت عهد الانجيل ولا سيما في القرى الجبلية العالية »

وقال برنيه عندما دخلت البلاد مجتازاً جبال بيربنجال Pir Panjal دهشت إذ رأيت السكان يشبهون الساميين فقد كانت ملامحهم وأشكالهم ومظاهرهم التي تساعد على تميز الشعوب عن بعضها تدل على ان الشعب هنا من الشعوب القديمة . ومما يؤيد الدم السامي في كشمير ما كتبته الدكتورة كوسلي بات مع الدكتور ايرفين بايرد في « موتتريل غازيت » وقد ادعيا فيه أنهما اكتشفا شعباً يعيش في الكهوف في أعالي الهيملايا على حدود التبت يحتفظ بمزايا حضارة قديمة وقد دعي هذا الشعب « القبيلة التائهة » وأنهما يعتقدان ان هذه القبيلة كلدانية الاصل ويقال أن رؤساء وزارات كندا واستراليا ونيوفوندلاند و ٤٢ مؤسسة اميريكية وانكليزية يشجعانها على مواصلة بحوثهما لوقوف على حقيقة هـذا الشعب ونشر المعلومات عنه .

وقد ذكر مؤلف تاريخ العالم « ان دراسة توزيع العناصر الهندية المختلفة تبدأ من ممثلي السلالات البيضاء في شمالي غربي الهند وفي البـلاد التي تعاقب

---

(١) هو الدكتور الحاج غلام محي الدين صوفى ماجستير ودكتور في الآداب من السوربون كان سكرتيراً لجامعة دلهي في السابق وهو الآن من أساتذة جامعـة بنجاب في باكستان واعد كتابه « كاشير » لجامعة بنجاب وهي التي قامت بطبعه ونشره في مجلدين ضخمين سنة ١٩٤٩

الافغان وبلوجستان إذ يعتقد أنها حسنت أجناسها بالاختلاط مع الساميين »

وقد جاء في كتاب ابن الريحان محمد بن أحمد البيروني «في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » :

« وأهل كشمير رجالة ليس لهم دواب ولا فيلة وركب كبارهم الاقوت وهي الأسرة ويحملون على أعناق الرجال ويعتمدون حصانة الموقع فيحتاطون دائماً في الاستيثاق من مداخلها ودروبها ولذلك تعذرت مخالطتهم وقد كان فيما مضى يدخل الواحد والاثنان من الغرباء وخاصة من اليهود والآن لا يتركون هندياً مجهولاً يدخلها فكيف غيرهم ؟ »

وليس من البعيد أن يكون قد بلغها الكلدانيون الساميون من العراق قبل عهد المسيح كما بلغ العرب أواسط الهند وتخوم الصين من قواعدهم العراقية في الفتح الاسلامي بل ان سرعة توغل العرب في الشرق تدل على أن البلاد لم تكن غريبة عليهم وقد سبق لهم الاتصال بها والتعرف على مداخلها ومخارجها وشؤون سكانها قبل الفتح الاسلامي بكثير . ومن الجائز أن يكون الشعب الكشميري شعباً كلدانياً رسب في تلك البلاد كما رسب العرب في شمال الهند في اوزبكستان وتاجكستان ثم اختلط بتطور التاريخ بالعناصر المحلية القديمة وما دخل من عناصر في أدوار الفتح الاسلامي فتكون منه شعب قائم بنفسه يختلف عن الشعوب المحيطة به من حيث الفسلجة ويتفق مع معظمها من وجهة الاخلاق والعادات واللغة والمعتقدات .

يزعم الدكتور صوفي كتابه « كاشير » ان الكشميريين الذين نزحوا عن كشمير اعتادوا اخفاء أصلهم الكشميري كي لا تلاحقهم النعوت المزرية التي نعت بها الكشميريون . فحيثما وجد كشميري في بنجاب او دلهي او بيهار او بنغال فانه يدعى الاصل العربي او التركي او الايراني او الافغاني . ولكننا لا نعلم كيف يستطيع أن يوفق الدكتور بين هذا التعليل وبين اعترافه بصلة جميع هذه

الأقوام بكشمير في مختلف أدوار التاريخ ؟ ألم يثبت هو نفسه ادعاء « الراجبوت » بانحدارهم من الامويين ؟ أما الاتراك ففضلاً عن وجودهم في شمالي كشمير وشمالها الشرقي في مغولستان وفي تركستان واوزبكستان وتاجكستان فقد حكموا كشمير بالفعل كما حكمها الايرانيون والافغانيون وحكمتهم كشمير في بعض الأدوار . وان منطقة « هنزة » في ولاية الحدود التابعة لكشمير تعتبر بلاداً تركية ذكرها البيروني[1] قائلاً : أما ماء السند فانه يخرج من جبال اننك في حدود الترك وذلك انك إذا اصحرت من شعب المدخل كان عن يسارك جبال بلور وشميلان على مسيرة يومين اتراك يسمون بهادريان وملكهم بهت شاه وبلادهم كليكت (وهو موجودة) واسوره (هي الآن آستوره) وشلتاس (هي چيلاس) [انظر خريطة كشمير وجمو في هذا الكتاب] .

فالادعاء الذي ذكره الدكتور صوفي يزيدنا قناعة عما توصلنا اليه حول تكون الشعب الكشميري من شعوب مختلفة اختلطت ببعضها في أدوار التاريخ .

---

(١) البيروني هو ابن الريحاني محمد بن أحمد المتوفى في نيسان ١٠٣٠ المصادف ٢٣ ربيع الثاني ٤٢١ هـ وعنوان الكتاب هو « في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » .

الرجل الكشميري

إن ضيق الحياة في هذه البلاد التي تكتنفها الجبال الشامخة المكللة بالثلج تجعل من الكشميري متصوفاً متقشفاً خيالياً . وقد كانت هذه البلاد في كثير من العصور منعزلة عن العالم تسودها العقائد المستوحاة من الأساطير : تعدد الآلهة وتزعم لهم الصفات والمؤهلات . فقد دامت فيها التعاليم البوذية سبعة قرون من القرن الثالث قبل المسيح إلى القرن الرابع الميلادي تلتها تعاليم فيدانتا Vedanta قبل أن ينتشر فيها الاسلام . وقد تأثر المسلمون أيضاً بمشاهد الطبيعة وبالجبال والأنهار والبحيرات والغابات وما كان يحيطها به البوذيون والبرهميون من أساطير فراحوا هم الآخرون ينغمرون في حياة من التصوف تبعدهم عن أسس الشريعة .

يقول الدكتور صوفي ان « الباندیت »[١] و« البير »[٢] أجهدا نفسيهما بالمغالاة في الدين لجعلا من الكشميري انساناً خرافياً تكتنفه تيارات الصوفية والباطنية » وهو لا يزال حتى اليوم كما وجده الميرزه حيدر دوغلات في سنة ١٥٥٠ حيث قال « ان البدع التي ادخلت على الشريعة في كشمير بلغت حداً لم يعد معه امكاناً للتفريق بين الحلال والحرام[٣] » . وقد حلت « الطرق الصوفية » وطقوسها محل الشريعة وأخذ الشيوخ والمتصوفة يعضون في تفسير الاحلام والتظاهر بابداع المعجزات والعلم بالغيب وما كان وسيكون .

وقد نهى الميرزة حيدر عن هذه البدع وتضرع إلى الله « ان يحفظ المسلمين من تلك المساوىء وان يهديهم الصراط المستقيم » . ويقول الدكتور صوفي كم يحتاج الكشميريون إلى هـذا الدعاء اليوم لعل الله يهديهم الى تعاليم

---

(١) روحاني غير مسلم

(٢) روحاني مسلم والبير كلمة فارسية معناها الشيخ .

(٣) التاريخ الرشيدي (عن الترجمة الانكليزية بقلم وردس في سنة ١٨١٥ ص ٤٣٦

الاسلام الصحيحة وبجنبهم عبادة «الشيوخ » فان الاسلام الذي لم يدع رسوله المعجزات يأبى هذه البدع(١)

ومن المؤسف ان ما يرمي به الدكتور صوفي الكشميريين يكاد يعم جميع العالم الاسلامي ولا يزال السواد الاعظم في بلاد الأفغان وايران والعراق وسورية والاقسام الاسلامية من أفريقيا يخضع الى خزعبلات بعض الجهلة من مدعي العلم الشؤون الدين بقبول أنواع من البدع والتعصب لها ولم يتخلص من هذه المساوىء حتى الاناضول رغم مغالاة الاتراك الأحداث في العلمانية وفصلهم الدين عن الدولة فان من يزور تركيا اليوم يجد في زوايا الجوامع بعض المشعوذين يتفاءلون للناس ويقرأون لهم حظوظهم .

بل رغم تقدم أوروبا واميركا في مضامير الحضارة والعلوم الحديثة لا يزال يجد المرء في أقطارها من يتفاءلون ويتشاءمون ويؤمنون بما لا يقره أي دين وقد وجدت في مدينة مانجستر الانكليزية سنة ١٩٤٧ أحد الاتراك قال لي أنه يعيش منذ ربع قرن في انكلتره وقد استطاع ان يكون له ثروة لا بأس بها لأنه يتحدث الى الناس عن اتصاله بالأرواح الخبيثة والأرواح الصالحة ويكتب عنها في مجلاتهم فيتقاضى عنها اجوراً توفر له عيشاً رفيهاً . ويقوم الناس في أوروبا الراقية واميريكا بأنواع من الطقوس الدينية لا تمت الى تعاليم المسيح عليه السلام بصلة . بيد أن مظاهر الاعتقاد بالاساطير والخرافات في أوروبا واميركا ليست الا بقايا عهود مضت ولم تعد مؤثرة على الحياة بدرجة ما كانت يوم كانت شعوبها امية فقيرة تستوحي الآمال والاماني من أفواه القسس والكهنة تخفف بها مصاعب الحياة .

فلا يمكن ان يعتبر التصوف والتقشف في كشمير عيباً أصيلاً ناشئاً عن طبيعة الكشميري ومحيطه بل هو عيب مكتسب من عصور الضلالة والجهالة

(١) الدكتور صوفي في كتابه كاشير

ساعد على دوامه الحكم الاخير الذي جعل مقدرات الاكثرية المسلمة بيد حكام من الاقلية الهندوكية تختلف عنهم من حيث الجنس والعقيدة والتقاليد .

وتقوم الادلة على ان الكشميريين يتصفون بجميع المزايا التي يتصف بها سكان المناطق الجبلية والاراضي الخصبة ويعتبر الكشميري ذكياً عبقرياً يتفوق على العناصر الهندية بقوة الحجة وقدرة استيعاب كثير من المواضيع والتكلم بها وهو الى جانب ذلك فنان ماهر لم ينكشف فنه للعالم بعد وتغلب عليه العاطفة شأن الفنانين في كل مكان . ويميل الى الدعابة والتهكم ويهوى الغناء وغناؤه عذب علق بالمعاني الشعرية الرائعة .

والكشميري طويل القامة عنود وصبور لا تزعزعه النكبات وله قابليـــة فذة في ممارسة المهن ، انه زراع ماهر وبستاني نشط ملم بفن الجنائن . يتقن نسج أحسن الاقمشة الصوفيـة من صوف الماعز الكشميري وهـذا الصوف هو أحد أربعة أنواع محدودة الكمية في العالم غالية الثمن هي أصواف ماعز «موهير» و «فيكونا» و «الپاكه» وكشمير بالنسبة الى منطقة انتاجه ولا يدعى الصوف وحده باسم البلد بل يدعى النسيج أيضاً وكان ولا يزال القماش الكشميري مشهوراً في جميع أنحاء البلاد العربية والاسلامية .

والكشميري يحفر بالخشب أيضاً ويصوغ الفضة والذهب وهو صباغ يحذق تقليد شرايين الخشب بخطوط ذهبية وهو بناء مهندس يبته ويبنيه . يقول عنه لورنس : « قلما يوجد شيء لا يستطيع ان يصنعه الكشميري وهو صانع يندر من يضاهيه في الدنيا وربما لا يبلغه أحد في مهارته . »

ويقول بايري ان الملاح الكشميري لا يقل ذكاء ونشاطاً عن ملاح « الكندول » في البندقية ويستطيع ان ينجو من أخطر وأحرج المواقف .

والكشميري التاجر أو البائع أو الصيرفي بارع حذر لا يتورط في مساومة سيئة ويقول الدكتور صوفي « ان الكشميريين يبيعون للهنود بأسعار أعلى من الاسعار التي يبيعون بها لاهل بلادهم ويبيعون للاوربيين والامريكيين بسعر

أعلى من السعر الذي يبيعون به للهنود وهذا دليل واضح على شعورهم بكره الهنود كما يكرهون الاوروبيين والامريكيين وهذه وسيلة من وسائل معاقبة الاقوام الغريبة التي تحكم الشعوب بالقوة نكاد نجدها في كل مكان . فان العراقيين والمصريين والسوريين يميزون حتى اليوم بين أبناء بلادهم أو البلاد التي تجمعهم بها الجوامع وبين الاجانب الذين حكموهم او أصدقاء اولئك الحاكمين الغرباء . فان المصريين يدعون كل اوروبي او امريكي « خواجه » فيعاملونه بخلاف ما يعاملون به العربي أو المسلم ويجهرون فيما بينهم أو أمام المسلم غير المصري فيقولون بأنهم يتقاضون من الاجانب اجر استعبادهم واستغلال مرافق ثروتهم بالقوة . وهكذا يفعل الكشميريون فانهم لا يستطيعون ان يتناسوا كيف باع الانكليز بلادهم إلى الهندوكيين الدوكره ولا يستطيعون ان يتجاوزوا عما يذيقهم حكامهم الهندوكيون من ضروب العذاب .

يمتاز الكشميري بكونه رب اسرة يحب زوجته ويحدب على أولاده . ويقول يانك هسبند ان حوادث الطلاق أو الفساد نادرة بين القرويين الكشميريين والكشميري مضياف لا يقتل ولا يسلب وقلما تقترف في كشمير جرائم الاعتداء على الارواح أو الاموال وحتى السحاب في كشمير وديع لا يؤذي - وان نبح - والثعابين غير سامة باستثناء صنف واحد هو « الفايبر » ويوجد في أماكن معينة ولا يتناول الكشميري المشروبات الروحية ولا يستعمل الافيون والحشيش ويمكن القول بأنه زاهد حقيقي .

قال برنيه عن الكشميريين : « انهم مشهورون بقول الحكمة وهم اكثر ذكاء وعبقرية من الهنود ولا يقلون عن الايرانيين في مضامير الشعر والعلوم وهم كذلك عمال وصناع ماهرون » . وقد شبههم فيكنه بسكان نابولي في ايطاليا فقال انهم « نابوليو الشرق »

وكتب عنهم جورج فورستر في ١٧٨٣ « ان الكشميريين ذوو مرح

وحيوية عيلون الى الانس كثيراً ، وليس احرص منهم على جمع المال واكفأ على ابتكار الاساليب لجمعه وليس في نفس الوقت اكثر منهم ابداعاً لاساليب الانفاق او الاخذ بكماليات الحياة. فاذا ما وجد الكشميري عشرة جنيهات في جيبه انه لا يتأخر عن جمع رفاقه والذهاب إلى البحيرة حيث يستمر في الانس إلى ان ينفق آخر دانق »

وقد قارن السير ولتر لورنس بين الكشميريين والارلنديين قائلاً :

« ان الفلاح الكشميري يشابه الفلاح الايرلندي في كثير من الوجوه فهو سريع الاحساس كما هو الفلاح الايرلندي وفي نفسه نزعة قوية تحمله على عدم دفع ايجار ويتشابه بلداهما من حيث الصغر والرضوخ للشعوب القوية مع عدم التطور والايرلندي والكشميري يميلان إلى الدعابة ويجيدان التهكم وكلاهما عطوف على اولاده رؤوف بالشيوخ وكلاهما يهمل النظافة وربما كان كوخ الكشميري انظف من بيت الايرلندي بكثير » .

ولكن رغم ما اسلفنا عن ذكاء الكشميري ومهارته الفنية والصناعية فقير محتاج إلى الخبز كما قال فيه الشاعر ميرولى الله (بالفارسية)

نه ديدم در بسيط دهر هركز

هنر مندى چو او محتاج نانی

اي لم ار على وجه البسيطة صانعاً ماهراً يحتاج إلى الخبز وهذا لا ريب ناتج عن فقدان الكشميري زمام اموره بيده .

المرأة الكشميرية

لقد اختلف المؤرخون والزائرون في وصف المرأة الكشميرية ، فقد وصفها الكولونيل اسكندر دو في كتابه « تاريخ هندستان » المطبوع سنة ١٧٧٢ م قائلاً : يغلب الجمال على السكان بشكل غريب وتبدو المرأة خاصة على قدر كبير من الجمال . وأشار اندرو ويلسن في كتابه « موطن الثلج » الى الملكين هاروت وماروت فقال : ان سحرهما يتمثل في جمال المرأة الكشميرية وقد خالف هذين الكاتبين العالم الطبيعي الفرنسي فيكتور جاك مونت في كتابه « رسائل من الهند » إذ قال : انني لم أر قط ساحرات متخفيات مثل ساحرات كشمير ، فان الجنس النسائي هنا قبيح جداً » ولكن عند ما زار جورج فورستر كشمير في سنة ١٧٨٣ م شبه مرأة كشمير بمرأة جنوبي فرانسة الموصوفة برائع الجمال . ويعتبر الهنود المرأة الكشميرية تختلف عن نسائهم كثيراً ، إذ أن المرأة الكشميرية ذات بشرة وضاءة وعيون زرقاء ـ تكاد تعم البلد ـ وقوام رشيق ومظهر جذاب تمتاز على الفلاحة البنجابية القمحية اللون غليظة العظام او المرأة الهندية السوداء .

وقد اطرى حسن المرأة الكشميرية غير واحد من شعراء الشرق فقد قال فيها الشاعر الفارسي « ظهوري » :

به تركان غارت كر صبر وهوش   به كشميريان ملاحت فروش

وقال فيها حافظ الشيرازي :

زشعر حافظ شيراز   مى كويند ومى رقصند
سيه چشمان كشميرى   وتركان سمرقندى

أي : تتغنى بشعر حافظ الشيرازي وترقص الكشميريات ذوات العيون السود وتركيات سمرقند . ويلاحظ ان حافظ الشيرازي قرن حسن الكشميريات بجمال

التركيات مع ان المعروف في الشرق هو تمايز جمال التركيات على بقية الشرقيات كما جاء في شعر سعدي :

سعــديا روز ازل حسن به تركان دادند

أي ان الحسن يعطى في يوم الخلود الى التركيات .

ولكن يظهر أن ما يحيط بها من فقر يضطرها الى إهمال النظافة والتجمل هو الذي أظهرها للكاتب الفرنسي فيكتور جاك مونت بمظهر القبح . ولو أنها وجدت من الحرية والثقافة والكسب ما يساعدها على تحسين حالتها لبلغت مرتبة المرأة الاوروبية ولكانت في صفوف أجمل نساء العالم .

وقد كتبت المسز اشلي كاروس ويلسن عن أطفال كشمير تقول : « أنهم يضاهون في الواقع أترابهم في الغرب بما يبدو عليهم من جمال ساحر ولكن جهل الامهات وما يحيط بهن من فقر لا يساعدان على نشوئهم مبتهجين » .

وفي الواقع ان الكشميرات اللواتي خرجن من كشمير الى پنجاب او أنحاء أخرى فوجدن حرية ورفاهاً في العيش تقدمن كثيراً وتغيرت حالتهن عما كانت عليه قبل خروجهن .

التقسيمات الادارية في كشمير وجمو



قبل أن نتناول التقسيمات الادارية في كشمير وجمو بالتفصيل لابد من كلمة نقولها لنحيط القارىء بالاصطلاحات الادارية في كشمير .

« State »

كلمة تدل على الدولة ذات السيادة الكاملة والمكانة الدولية ولكنها أطلقت في نفس الوقت على قطع من البلدان لا تتمتع بالسيادة الدولية كما هي الحالة في الولايات « States » التي تتألف منها الولايات المتحدة الامريكية . كذلك الأمر في الهند فقد أطلقت الحكومة البريطانية هذا الاصطلاح على عدد من الامارات والولايات والمقاطعات التي تتمتع بالاستقلال الداخلي دون الكيان

الدولي . ويقول السير جوفري دي مونتغومري[1] عن هـذه المقاطعات أنها كانت موجودة في جميع أدوار تاريخ الهند يعيش صغيرها وكبيرها الى جانب الامبراطورية المعاصرة .

ويقول من الخطأ أن نظنها نحن غير موجودة من القديم فقد لازمت هذه المقاطعات States جميع أدوار حياة الهند . وبين هذه المقاطعات مقاطعات قديمة تمتد جذورها الى أبعد العصور ، وقد لا يبلغ المرء نهاية جذورها . لقد كانت هذه المقاطعات موجودة قبل أن يضع المسلم قدمه في شرقي نهر الهندوس وكانت موجودة قبل أن تلقي أول باخرة اوروبية مراسيها على ساحل الهند ، وقبل أن توقع الملكة اليزابيت عهداً لشركة الهند الشرقية ، وقبل أن يتألف أول حزب سياسي في الهند بمدة عصور . ويقول أن هذه المقاطعات التي يحكمها الامراء ليست كمية مهملة فانها تساوي خمس القارة الهندية وتحتوي على ما يتجاوز خمس السكان .

وعند تصنيف هذه المقاطعات يقول أنها تتألف من :

أولاً ـ مقاطعات قديمة وجدت قبل الغزو الاوروبي وأبرزها مقاطعات الراجبوت وهذه لم تعد في المحلات التي تأسست فيها قديماً إذ أخرج الغزاة امراءها من اماكنهم الأصلية في سهول الكنج .

ثانياً ـ مقاطعات تكونت على أثر غزو الاجانب ومنها حيدر آباد التي أسسها آصف شاه التركماني حينما كان قائداً منتدباً بحكمها من قبل الامبراطور اورنكزيب .

ثالثاً ـ مقاطعات ظهرت على أثر انهيار الحكم المغولي وقبل أن يتبلور الحكم البريطاني مثل باروذا وكوالپور .

رابعاً ـ مقاطعات أوجدها البريطانيون او اعترفوا بها في دور تبلورهم

---

(١) في كتابه : The Indian States and Indian Federation

وأكبر وأهم هذه المقاطعات « مقاطعة جمو وكشمير » .

فليست مقاطعة كشمير الحاضرة دولة ولا ولاية ومن الافضل أن ندعوها « ايالة » لأن الايالة اصطلاحاً أوسع من ولاية .

« Province »

هي ولاية ولكنها أقرب الى الولاية الاميركية منها الى الولاية العثمانية التي عرفناها او المديرية المصرية او المحافظة السورية او المتصرفية العراقية فأن معظم الولايات في باكستان والهند تتمتع بالاستقلال الداخلي وتدار من قبل حكومات محلية مدعمة بمجالس تشريعية .

« District »

وهي وحدة ادارية تلي الولاية وتعادل الالواء في تشكيلات العراق .

« تحصيل »

وحدة ادارية تلي المنطقة وتتألف من مجموعات من القرى .

« Agency »

وكالة سياسية تتخذ عادة في المناطق العشائرية والحدود ومع أنها تكون جغرافياً بين أقسام الولاية او المنطقة فقد كان رئيسها تابعاً للمندوب السامي البريطاني مباشرة .

فأن ايالة كشمير التي تدعى اليوم « جمو وكشمير » تتألف من ثلاث ولايات تضم حسب احصاء سنة ١٩٤١ (٤٠٢٣١٨٠) نسمة منهم ٩٢٠٤٨٠ من غير المسلمين أي تبلغ نسبة المسلمين فيها ٧٧ر٩١ ٪ من السكان بينما يبلغ غير المسلمين ٢٢ر٨٩ ٪ من السكان وهذه الولايات هي : (١) ولاية الحدود (٢) كشمير (٣) جمو .

ولاية الحدود



تمتد هذه الولاية من الشمال الغربي الى الجنوب الغربي تلامس في الشمال الغربي باكستان وفي الجنوب الشرقي الهند وتلاصق ولايتي كشمير وجمو الكائنتين في غربها . وتنقسم هـــذه الولاية الى ثلاث مناطق : (أ) وكالة كيلكيت (ب) بالتستان (ج) لاداخ . وتبلغ مساحة الولاية ٦٣٥٥٤ ميلاً مربعاً ويقطنها ٣١١٣٠٠ نسمة منهم ٢٧٠٣٠٠ مسلمون و ٤١٠٠٠ غير مسلمين يقطن ٤٠٧٠٠ من غير المسلمين في منطقة لاداخ وهم بوذيون لا يميلون الى الهنود البرهميين . ومعظم هذه المنطقة جبلية بل تعتبر أرفع أرض في الدنيا والزراعة فيها نادرة ليس لها مكان إلا في مرتفعات تعلو من ٩٠٠٠ الى ١٤٠٠٠ قدم . والمناخ هنا جاف وصحي والهواء منعش ومن النادر أن يحصل برق او

رعد في هـذه المنطقة . وبلدة « له » هي أهم بلدة في لاداخ . وتعتبر لاداخ تيبت الكبرى وبالقستان تيبت الصغرى ، بينما تعتبر « تيبت » ذات « اللاما » تيبت فحسب . ومع أن سكان لاداخ وبالقستان هم من جنس واحد يختلف سكان لاداخ بكون اكثريتهم الساحقة بوذية وان اكثرية سكان بالقستان مسلمون . إذ أننا إذا ما استثنينا قرية « جهاجكوت » التي يقطنها مسلمون شيعيون « والاركون » وبلدة « له » يكون بقية السكان كلهم بوذيون وكانوا إلى الزمن الأخير يسمحون للمرأة بتعدد الازواج (أي الزواج بعدد من الرجال في وقت واحد) وقد حرمت هذه العادة مؤخراً بقوة القانون . و « الاركون » هم انتاج ازدواج امرأة لاداخية برجل كشميري او يرقندي . ويقطن في المنطقة بعض الاتراك الذين يمتهنون النقل بقوافل الحيوانات وبعض « الدوغرا » أيضاً يقول الميجر كومبرتز في كتابه « لاداخ السحرية » يجد المرأ في المجاهل الرملية الصامتة آثار مدن وحضارات قديمـة ونقوش وكتابات لا يعرف أصلها ولا تعرف أسماء الاجيال التي ترجع اليها .

وِلايَةُ كِشْمِيْر



تقع في غربي ولاية الحدود وفي شرقي باكستان وفي شمال ولاية جمو في الوادي المعروف باسمها وفيها ثلاث مناطق : (أ) مظفر آباد (ب) بارامولا (ج) سرنيا كار . وتبلغ مساحة الولاية ٨٥٣٩ ميلاً مربعاً ويقطنها ١,٧٢٨,٦٠٠ نسمة منهم ١٦١٥٦٠٠ مسلم و ١١٣٠٠٠ غير مسلم ويبلغ المسلمون ٩٣,٥ ٪ من السكان وغير المسلمين ٦,٥ ٪ فقط .

وتعادل ولاية كشمير نصف مساحة هولندة البالغة ١٢٥٨٢ ميلاً مربعاً واكثر من نصف القسم الاوروبي من تركيا البالغ ١٠٨٨٢ ميلاً مربعاً واكثر من ثلث مساحة سويسرة البالغة ١٥٩٧٥ ميلاً مربعاً . وتقع على نفس خط

العرض الذي تقع عليه الشام في سورية وفاس في مراكش وجنوبي كارولينا في الولايات المتحدة الاميريكية ورغم صغر رقعة الولاية قد اشتهرت بعذوبة هوائها وخصوبة أرضها وجمال مناظرها ويقال أن المناخ يتجدد في ارتفاع كل مئة قدم من الارض وأن هذا التبدل يأتي بنوع جديد من الخضار وان مسافة ثلاثين ميلا يقطعها المرء تنقله من الحر المضني الى الجو البارد الاخاذ أو من الجو المرطب المزعج الى جو جاف تسطع فيه الشمس[1] .

وكانت بنظر المغول « جنة أرضية »[2] كان الامبراطور جهانكير أول من اكتشف مزايا كشمير فاظهرها للوجود وكان كبير التعلق بها بحيث يؤثر عنه أنه قال : « أنني أفضل أن اتخلى عن كل امبراطوريتي ولا اتخلى عن كشمير وكان الامبراطور اكبر يدعو كشمير « باغ خاص » أي حديقته الخاصة »[3] .

وفي منطقة مظفر اباد ثلاث تحصيليات هي (١) مظفر آباد (٢) تيثوال و(٣) اوري وفي منطقة بارامولا ست تحصيليات: (١) بارامولا و(٢) كوله مارك و(٣) بادغام و(٤) سوبور و (٥) هاندوارا و (٦) كورايس . وفي منطقة سرنيا كار ثلاث تحصيليات (١) سوغارك و (٢) كولغام و (٣) اسلام آباد .

ويحيط بكل هذه التحصيليات عدد كبير من القرى روي أنها كانت يوماً ما ٦٦٠٦٣ قرية ويعتقد أنها كانت في سنة ١٤٠٠ ميلادية مائة الف قرية تملأ السهول والجبال ولكن يقول بعض المؤرخين أن هذا الاحصاء يتناول القرى التي كانت في ذلك الزمن في جميع المنطقة التي يحكمها سلطان كشمير وكان يمتد حكمه الى داردستان في الشمال والسند في الجنوب .

---

(١) وادي كشمير بقلم والتر . آر . لورنس طبع اوكسفورد سنة ١٨٩٥ .
(٢) سياحات برنير المجلد الثاني المنقح من قبل ف . أي . صميث سنة ١٩١٤ .
(٣) منتخبات التواريخ النص الفارسي طبعة كالكوتة .

ولاية جمو (عدا پونچ)



النفوس ١ر٥٦١ر٥٨٠
مسلمون ٨٣٤ر١٠٠ = ٥٣ر٤ ٪ من السكان
غير مسلمين ٧٢٧ر٤٨٠ = ٤٦ر٦ ٪ من السكان

تقع في القسم الغربي من المقاطعة تجاورها من الجنوب ولاية بنجاب الشرقية التابعه الى الهند ومن الغرب بنجاب الغربية التابعة الى باكستان وفيها (١) منطقة جمو (٢) كاثوا (٣) اوذاپور (٤) رياسي (٥) ميرپور (٦) پونچ (جاكير) وهي منطقة يسودها حكم الاقطاع .

وتبلغ نفوس المنطقــة باستثناء الپونچ ١٥٦١٥٨٠ نسمة منهم ٨٣٤١٠٠ مسلمون و ٧٢٧٤٨٠ غير مسلمين فتكون نسبة المسلمين من السكان ٥٣ر٤ ٪ وغير المسلمين ٤٦ر٦ ٪ اما منطقة الپونچ فتحتوي على ٣٨٢٧٠٠ نسمة من المسلمين ازاء ٣٩٠٠٠ من غير المسلمين أي ٩٠ ٪ مسلمون و ١٠ ٪ غير مسلمين.

پونچ جاگیر (مقاطعة)



وتنقسم منطقة جمو الى تحصيليتي جمو وساميا وتنقسم منطقة كاثوا الى تحصيليتي جاسميرغار وباسولي وتنقسم منطقة اوذامپور الى تحصيليات اوذامپور وچنين وبهادر واه ورامبان وكشتوار وتنقسم منطقة رياسي الى تحصيليات رياسي وآخنور وراجوري وتنقسم ميرپور الى تحصيليات: كوتلي دميرپور وبهيمبار وتنقسم البونچ الى تحصيليات بونچ ومنذار (بكسر الميم) وبولا ندري وروالاكوت وباغ وكاثوتا.

سبل المواصلات

السكة الحديد - الطرق البرية - الطرق النهرية

ان جميع الطرق في كشمير تؤدي الى باكستان ومع أن السيارات والقطارات تدخل البلاد غير أنهـا لا تعتبر من التطورات الجوهرية في وسائل النقل في كشمير لقصر طرقها . فان السكة الحديدية تدخلها من سيالكوت (في باكستان) وتنتهي في جمو عاصمة ولاية جمو ولكن طول السكة من حدود الولاية الى عاصمتها لا يزيد عن ١٦ كيلومتراً .

الطرق والسكك الحديدية في كشمير وجمو



وطريق السيارات الوحيد الممكن استعماله شتاءاً وصيفاً هو الطريق الذي يمتد من « مظفر آباد » الى « براmولا » و « سرفيا كار » مسايراً ضفاف نهر جيلوم .

ويتصل هذا الطريق من جهة بـ « آبوت آباد » ومن جهة أخرى بـ « رو النبدي » الكائنتين في باكستان . وفيما عدا الحالتين الآنفتي الذكر فأن الأنهر هي الوسيلة المعول عليها في النقل وتنساب كل هذه الأنهر الى أراضي بالجانب الغربية في باكستان .

ذكر البيروني[1] في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة »

« وأهل كشمير رجاله ليس لهم دواب ولا فيلة ويركب كبارهم المتوت وهي الأسرة ويحملون على أعناق الرجال » .

وقال : وأشهر مداخلها من قرية « ببرهان » (بفتح البائين) وهي على منتصف الطريق بين نهري السند وجيلم ومنهـا قنطرة على مجتمع ماء كسناري (بضم الـكاف) وماء (مهوى) الخارجين من جبال شميلان الواقعين الى ماء جيلم ثمانية فراسخ ومنها مدخل الشعب الذي يخرج منه ماء جيلم مسيرة خمسة أيام وفي آخره بلد « دوار المصد » على جانبي النهر ثم يخرج الى الصحراء وينتهي الى اوشتان قصبة كشمير في يومين ينزل فيهما بلد اوشكارا وهو وبلد براmولا عن جانبي الوادي ومدينة كشمير أربعة فراسخ مبنية بالطول على حافتي ماء جيلم وبينها الجسور والزوارق ومخرجه من جبال هرمكوت التي منها أيضاً مخرج كنك وهي صرود غير مسلوكة لا تذوب ثلوجها ولا تفنى ووراءها مهاجين أي الصين العظمى » .

---

(١) هو ابو الريحان محمد بن احمد البيروني المتوفى في شهر نيسان سنة ١٠٣٠ م ٢٣ ربيع الثاني ٤٢١ هـ .

وذكر عبدالله بن مرزا محمد الخولي في كتابه عجائب الهند (تأليف ٤٠٤ هـ) قائلاً :

حدثني الحسن بن عمرو أنه رأى بالمنصورة أهل كشمير الاسفل وبينهم وبين المنصورة مسيرة سبعين يوماً في البر ينحدرون في مهران من قشمير - وهو يجري كما يجري دجلة والفرات في وقت المدود - على اعدال القسط وقال لي انهم يعبون القسط في الاعدال في كل عدل سبعماءة وثمان مائة مناً (كذا) ويجلدونه ثم يجعلون فوق الجلد القار فلا ينفذه ماء ولا غيره ويقرنون الاعدال ويشدونها ويوطئون عليها ويجلسون فيها وينحدرون في مهران فيصلون الى فرضة المنصورة في أربعين يوماً ولم يلحق القسط شيء من الماء البتة ».

والمنصورة هي ميناء السند التي كانت في يومها على شاطىء بحر العرب وربما كانت نفس مدينة كراجي عاصمة باكستان اليوم . وان جميع المداخل والطرق التي ذكرها المؤرخان كانت تؤدي إلى الأراضي التي أصبحت اليوم باكستان وليس من طريق بين كشمير والهند سوى الطريق العسكرية الجديدة التي فتحتها الهند من بتانكوت في بنجاب الشرقية الى جمو بيد أنها معرضة الى أخطار الفيضان والسيول التي تسببها الأمطار الكثيرة التي تتساقط في هذه الجهات .

فلا تزال كشمير كما كانت قبل الوف السنين تعتمد على النهر وحده في نقل محاصيلها وان انهر اندوس (او الهندوس) وجيلوم وشناب وراقي التي تنبع من جبال كشمير بعد ان تتفرع وتسير متعرجة في أراضي كشمير تنساب إلى باكستان حيث تروي بنجاب الغربية قبل أن تتوحد في نهر الاندوس ثم تنصب في بحر العرب لذلك ان الكشميريين يستعملون هذه الأنهر في نقل حاصلاتهم الى باكستان ولا سيما أخشاب الغابات التي تلقى في النهر فتذهب مع جريانه الى حيث يراد بيعها في باكستان .

ويستعمل الكشميريون أنواعاً من الزوارق للنقل ولسكنى المصطافين

وتشتهر بوجه خاص زوارق السكنى لانها مصنوعـة صناعة متقنة مقسمة الى غرف ملائمة لأغراض السياحة والبيتوته واحضار الطعام اذ أن السفرة في الزورق تستغرق عدة أيام . يقول المستر بيترو كوكينو في كتابه كشمير (١٩٢٠ م) « في كشمير من زوارق السكنى ما يضاهي أحسن ما يوجد من نوعهـا في نهر « تيمس » الى جانب زوارق سكنى بسيطة ودونگا « نوع من الزوارق » ودونگا « متواضعة » ثم يميز الدونگا عن الزوارق الاخرى باعتبار خفتهـا وقابليتها للعوم فى ماء ضحل .

ويأتي السائحون الاوروبيون عادة بالقطار الى روالبندى ومن هناك يذهبون بالسيارات الى « سرنياگار » وفى سرنياگار ينتقلون الى زوارق السكنى يجوبون بها الأنهر والبحيرات .

الزراعة في كشمير

الحبوب — الزعفران — البساتين العامة — الفواكه — الغابات

ان وفرة المياه في ولايتي جمو وكشمير سواء ما كان منها مقساباً بالأنهر التى تنبع من جبال الايالة أو ما تأتي به السيول المتكونة من الامطار الغزيرة والثلوج الذائبة والارض الخصبة الغنيـــة بالمواد الرسوبية والمناخ المتنوع الرائق كل هذه عوامل تساعد على نمو مختلف أنواع النباتات والاشجار في كشمير .

الحبوب

وقد أعار الكشميريون زراعة الرز خاصة عناية كبيرة . ويعزي هـذا الى كون الرز قوام العيش في كشمير . يقول بعض المؤرخين ان انتاج الرز في زمن « بدشاه » بلغ ٧٧ مليون خروار[1] وتعتبر منطقة كشمير المنطقة التى تلي منطقة البنغال في وفرة انتاج الرز في شبه جزيرة الهند .

وقد جاء في نشرة أصدرتها دائرة استعلامات جمو وكشمير في كانون الأول ١٩٤٥ ان دائرة الزراعة جربت زرع عدة أنواع من الرز الأجنبي . وعند زرع بعض أنواع من الرز الصيني في (خودواني) التابعـــة لتحصيل كلغام في منطقة اسلام أباد انتجت كميات طيبة مما دل على ملائمـــة الأرض والمحيط فان ثلاثة أنواع من الرز الصيني انتجت بين ٥٠ و ٦٠ موند في كل فدان انكليزي بينما يبلغ معدل انتاج النوع المحلي ٣٥ موند

وتزرع الذرة والحنطة والقطن والزعفران والشعير والبقول والتبوغ أيضاً

---

(١) خروار كلمة فارسية معناها حمل حمار وهي من الأوزان الشايعة اليوم في ايران وافغانستان وكشمير والخروار يعادل نحو ١٠٠ كيلو .

في كشمير ويوفر الاهلون الاراضي للزراعة في سفوح الجبال العالية بطريقة الطنوف المدرجة كما هي الحالة في شمال العراق ولبنان وغيرها من البلاد الجبلية .

ومما يؤثر عن اورنكزيب الامبراطور المغولي انه كان ولوعاً بالزراعة يبحث عن الاراضي الصالحة لها عند رحلاته للصيد وكان يشجع المزارعين الذين يبذلون جهداً في توسيع زراعتهم وتحسينها لذلك انه لم يكن يزيد ايجارات الاراضي عند اتساع نطاقها بالجهد الشخصي ولم يكن يعتبر ذلك مخلا بمالية الدولة بل على العكس يعتبره منعشاً لها .

الزعفران

ومما يجدر بالذكر ان « كشمير » هي البلاد الوحيدة التي يزرع فيها الزعفران في شبه جزيرة الهند . وتعتبر اطنه (اوكليكيا) الوطن الاصلي الذي الذي انتشر منه الزعفران شرقاً وغرباً . ومن المعروف ان العرب كانوا أول من نقل الزعفران الى أسبانيا في سنة ٩٦١ م ، وان الصليبيين نقلوه الى انكلترة

ويقول بعض المؤرخين ان الزعفران وجد في كشمير في عهد الملك لاليتاديتيا (٧٢٥ الى ٧٥٣ م) . وقد جاء في بعض المؤلفات ان اليونانيين استعملوا الزعفران لتطييب القاعات والمراقص والمسارح وكان الرومانيون يستعملونه في الحمامات . ويستعمل الكشميريون الزعفران في الطعام للتلوين ويستعمله الهندوسيون بأن يضعوا مستديراً صغيراً من لونه في جبهاتهم ويستعمل كعقار طبي . ويعتقد سكان الوادي ان النحل لا تتم عسلها قبل ان تمتص عصارة زهر الزعفران .

وقد كان محصول الزعفران محتكراً للحكومة مدة طويلة من الزمن غير أن الحكومة تركت انتاجه حراً في السنوات الاخيرة وراحت تشجع على انتاجه في كل مكان وأخذت هي تجرب زراعته في جهات مختلفة .

ويزهر الزعفران عادة في شهر تشرين الاول حيث يملأ الفضاء عطراً منعشاً .

البساتين العائمة

وتختص كشمير بنوع من الزراعة النادرة المثال في بساتين تدعى « عائمة » في بحيرة « دال » حيث تنتج عدة أنواع من الخضر كالبطيخ (الركي) والطماطة والشمام (البطيخ) والخيار واليقطين وغيرها وقد وصف هذه البساتين الدكتور هونيكبركر[1] قائلا : أود أن أصف نوعاً غريباً من اللصوصية تقترف هنا . في بحيرات كشمير عدداً كبيراً من البساتين العائمة او بالاحرى عدداً كبيراً من العيدان يرش عليها التراب فتكون أرضاً عائمة يزرع عليها البطيخ والخيار واللفت والجزر واللهانة وغيرها من الخضر . ولكن هذه البساتين تحتاج الى حراسة فأن لم يعن البستاني بمراقبة هذا الملك غير المنقول فأنه قد يجده منقولا بعد أن تفصم الحبال التي أوثق بها ليلاً . وفي هذه الحالة يضيف السارق البستان الى بستانه المماثلة لها بعد أن يغير شكلها وأوضاعها كما يشاء ويصبح من العسير أن يعرف أين ذهب المسروق وأن يكتشف السارق .

وتتألف هذه البساتين العائمة من مستطيلات من حصر القصب يبلغ عرضها خمسة أقدام وتعوم على الماء بعد أن يوضع عليها التراب وتتحمل هذه القطع عادة ثقل رجل. وهي تقوم مقام الارض للخضر وان لم تكن موضوعة على أرض فتنتج كمية وافرة من الخضر ولكنها لا تعتبر طيبة النكهة لكثرة مائها . ولما كانت هذه القطع قابلة للنقل فقد يستغرب الانسان أن يسمع بان « الارض تسرق في كشمير » ويعزي الشاعر نواب ظفرخان احسن ، سرقة الارض الى ندرة الارض في كشمير حين يقول :

زمين از بسكه نایاب است اینجا　　　　زهم دزدند مردم شب زمين را

ولا يعرف لهذه البساتين العائمة مثيلا إلا في مكسيقا القديمة حيث يذكر

---

(١) في كتابه المطبوع سنة ١٨٥٢ بعنوان « ثلاثون سنة في الشرق » .

لورنس وجود بساتين عائمة من الحصر جنوبي مدينة المكسيك .

وتعتبر كشمير بلد الفواكه ويقول فيها لورنس لا يوجد بلد في الدنيا مثل كشمير موهوب بامكانيات انتاج الفواكه . فالتفاح والخوخ والاجاص والعنب والتوت على أنواعه والجوز والبندق والكراز وغيرها تنتج بكثرة في الوادي ويسمي الاهلون الكراز « كيلاس » وهو مصحف من اسمه العربي المأخوذ عن اسمه اليوناني « سيراسوز » إذ يعتقد ان هذا الحاصل دخل كشمير عن طريق البلاد العربية وايران ثم أفغانستان وقد ورد ذكره في « البادشاهنامة » باسم « شاه آلو » أي « اجاص الملك »

ولا ينتج في كشمير قصب السكر والموز والبرتقال وما شابهها من الفواكه التي تحتاج إلى مناخ أرفأ من مناخ كشمير .

الغابات

كذلك في كشمير غابات ذات أثر في حياة البلاد الاقتصادية تستفيد منها الحكومة بما لا يقل عن ٢١ ٪ من مجموع إيراداتها وتستفيد منها الأهلون في التصدير إذ أنهم لا يستهلكون في داخل بلادهم اكثر من عشرة بالمئة من الخشب المستحصل من الغابات وتحتل شجرة الجنار مكان الصدارة بين أشجار الغابات في كشمير . ويعتقد أن المغول هم الذين شجعوا الكشميريين على غرسها في الوادي وتكاد تكون « نسيم باغ » غابة من الجنار . ويبالغ بعض الكتاب في ذكر أنواع ضخمة من شجرة الجنار فقد ذكر بليني في كتابه « التاريخ الطبيعي » ان ضخامة أشجار الجنار في ايطاليا كانت تساعد الملوك على اقامة الولائم في أجواف سيقانها الواسعة ، وقد ذكر جهانكير انه دخل في كشمير جوف شجرة من الجنار راكباً جواده ومعه خمسة من الفرسان . وذكر المستر اي . بيترو كوكنو[1] انه وجد في بلدة « بيج بهارا » شجرة جنار يبلغ محيطها

(١) THREE WEEKS IN CASHMERE BY : A. PETROCOKINO F. R. G. S

٥٣ قدماً بعد ارتفاع ثلاثة أقدام عن الأرض وحيث يوجد الجنار يوجد الظل الوارف الذي يأوي اليـــه الناس في الظهيرة والنسيم الرقراق المنعش . ويقبل الكشميريون على غرس أشجار التوت بكثرة لأنهم يعتمدون عليها في تربيـة دود القز واستحصال الحرير لصناعة الحرير الرائجة في بلادهم ، ويلي أشجار التوت في الاهمية أشجار الجوز ويستخدمون أخشابها في صناعة الحفر والزخرفة . ثم لديهم شجر الحور والصفصاف . ويغرس الحور عادة على جوانب الطرق العامة ويغرس أحياناً حول الكروم والبساتين الصغيرة .

ويغرس الصفصاف على ضفـــاف الأنهر وفي البطائح وبجوار البيوت في القرى وقد استعمل الصفصاف أخيراً في صناعة جديدة ـ جليلة الشأن ـ قال عنها المستر مالكولم كاسبر في مقال نشره في ١٧ تشرين الثاني ١٩٤٧ في مجلة الهند الاسبوعية ما يأتي :

«ان الصفصاف الكشميري الباكي عندما يكون بين السابعة والعاشرة من من عمره يصلح لصناعة أضلع لذوي العاهات من الجنود وقد حلت هذه الصناعة محل صناعة الاضلع المعدنية إذ وجدت الاضلع المعدنية سريعة الصدأ والتأكسد ولمتانة عيدان الصفصاف وسهولة تحويلها إلى الشكل المطلوب أخذت تستعمل في صنع كثير من المواد التي تتطلب الخفة والمتانة ولا يقل الصفصاف الكشميري عن الصفصاف الانكليزي متانة وكانت تصنع منه المضرابات للتنس وغيرها من الالعاب الرياضية في اوستراليا بمعدل ١٢٠٠٠٠ مضراب في السنة . »

كشمير في التاريخ

تمهيد

تعتبر كشمير من البلاد التي استوطنها البشر من أقدم العصور إذ ساعدت الكهوف الواسعة في جبالها الشم على أن يلتجأ البشر اليها من العهد الجليدي وقد ظهرت في كهوفها بعض الآثار الدالة على اجتيازها العهد الحجري أيضاً . وترى هـذه الآثار المؤلفة من آلات الحرث والقطع في متحف برنس اوف ويلز في بومباي .

وقد درسها الدكتور تيرا دراسة جيولوجية ودرسهـا المستر كازتر من موظفي حكومة الهند فوضع الاول كتاباً عن العصر الجليدي في كشمير ووضع الثاني كتاباً عن العصر الحجري ولا يشك المؤرخون بان موقعها الجغرافي جعلها ذات صلة بموجات الهجرة البشرية من الشرق إلى الغرب وبالعكس ومن الشمال مما يدل على ان هذه البلاد اجتازت أدواراً تاريخية خطيرة ولكن الكثير من هذه الأدوار بقي مجهولاً ينتظر الحفريات التي تستجلي حقائقه .

لذلك نجد تاريخ كشمير القديم تكتنفه الأساطير وتتناقله الكتب الدينية الخرافية والقصائد والملاحم الشعرية وقصص الأبطال . وكان يزعم الى وقت متأخر ان كشمير بلاد الأجنة والشياطين . فقد ذكر عبد الله بن مرزا محمد الطولي في كتابه عجائب الهند :[1] « ومن أعجب العجائب ما حدثني به بعض البحريين من أقام ببلاد الهند وغيرها سنين كثيرة انه سمع غير واحد ممن دخل تخوم الهند ان بنواحي قشمير الاعلى في موضع يقال له « ترنارايين » وادي فيه بساتين وأشجار وميـاه تجرى فيه سوق للجن يسمع فيه ضجيجه في البيع والشراء ولا ترى أشخاصهم وان ذلك لم يزل يعرف على دوام الايام بذلك الموضع

(١) تم تأليفه في جمادي الاولى سنة ٤٠٠ هجرية

فقلت للرجل سمعت ان بها سوقاً قائم أبداً أو في وقت دون وقت فقال ما سألت عن ذلك »

لا ريب ان الجبال العالية المحيطة بكشمير والغابات الكثيفة في الوادي جعلتها لغزاً للذين لم يتسع لهم مجال دخولها خوفاً أو لعدم القدرة على اقتحام جبالها وطرقها الوعرة لذلك كانت مدار الاساطير وأحاديث السامرين والراجمين بالغيب .

فقد رأينا ازاء هذا الغموض ان نتنكب سبل المؤرخين في تقسيم أدوار التاريخ في كشمير إلى الاقسام المتعارفة وتقصد عهد ما قبل المسيح وعهد ما بعد المسيح والقرون الوسطى والحديثة وان نأخذ بالادوار التي تلائم أغراض هذا الكتاب وهي : (١) دور ما قبل اسلام أهل كشمير و (٢) دور الاسلام و (٣) دور الاحتلال البريطاني .

كشمير قبل اسلام اهلها

سلالات مجهولة

ان هذا العهد هو العهد الذي رضخت فيه كشمير لأصحاب العقائد البرهمية والبوذية وغيرها ولا يعرف بالضبط متى بدأ هذا العهد لان مؤرخي هذا العهد استقوا معلوماتهم من كتاب « نيلاماتاپوراتا » وهو كتاب مقدس برهمي . ويعتبر هذا الكتاب « كوتندا الاول » اول ملك من ملوك كشمير . ويقول ان حكمه تقدم حرب « مهابهاراته » عشرين عاماً وقد حارب كوتندا « كريشنا » لحصر مدينة « ماثورا » ولكنه قتل في المعركة وقد خلفه ابنه « داموردا الاول » فقاتل هذا كريشنا في « سافايا موارا » التي كانت في يد ملك قندهار بدافع حس الانتقام وقد قتل داموردا في هذه المعركة وقام كريشنا بتنصيب زوجته « ياجوفاتي » وكانت حاملة فعندما ولدت دعي ولدها كوتندا الثاني فنصب على العرش وهو طفل وقد تلا هذا حرب « مهابهاراتا »

ولما كان ملك كشمير طفلا لم يطلب اليه المتخاصمون الاشتراك في هذه الحرب .

ثم جاء الحكم ٣٥ ملكاً ضاعت اسماؤهم وأعمالهم نتيجة التخريبات التي حصلت في بلادهم .

وفي رواية ان « المدعو هاراندانا » المنحدر من سلالة « الباندوس » كان قد دخل في خدمة كونندة الثاني حتى بلغ مرتبة الوزارة ثم قتل الملك واغتصب العرش فأسس سلالة ملكية جديدة اعتلا عرشها بعده « رامادينا » وقد جاء عنه انه كان فاتحاً عظيماً قهر ٥٠٠ ملك فاستولى على شبه جزيرة الهند من بحر العرب إلى خليج بنغال .

وقد جعل هذا الملك ضريبة الارض بنسبة عشر الحاصلات المنتجة دون اخراج نفقات الانتاج بعد ان كانت في عهد اسلافه بنسبة خمس الحاصلات .

وفي عهد الملك « ساندراسيتا » الملك الثاني والعشرين من هذه السلالة حصلت هزة أرضية عظيمة وانفتحت الارض في وسط العاصمة « سامدي مانتكار » فابتلعت المدينة وأهلها وملكها ولم يبق من المدينة إلا اسمها ويقال انها كانت في محل بحيرة « ولر » الحاضرة .

وعلى أثر هذه النكبة اجتمع الاهلون فانتخبوا (لاقا) رئيس الوادي الجبل الخصيب الكائن في شمال شرقي كشمير ملكاً على البلاد .

ثم بعد هذا بعشرين ملكاً ذكرت أسماؤهم ولكن لم تذكر أعمالهم ثم تأتي إلى ملك اشتهر عهده ولكن تناقضت في نسبته الاراء ، ذلك هو «آجوكا» او « اسوكا » الذي قرنه بعض المؤرخين بالهند فدعوه بالامبراطور والمعروف ان الامبراطور آجوكا حكم من ٢٧٢ ق . م إلى ٢٣١ ق . م وامتد حكمه من خليج بنغال إلى هندكوش في افغانستان وقد عرف هذا الملك بالتسامح الديني وحماية مختلف العقائد الدينية، بيد انه أعار البوذية معظم رعايته فجعلها ديناً عالمياً بعد ان كانت من المذاهب المحلية المحدودة النطاق ، ويصادف عهد آجوكا نحو الزمن الذي اشتبكت فيه روما وقرطاجنه في الحروب الفينيقية الرومانية .

وآچوكا هو الذي أنشأ مدينة سرينگار في محل يبعد نحو أربعة أميال فوق موقعها الحالي . وقد اتصل باليونانيين والمصريين والى ذلك الاتصال يعزى البناء بالحجر وانشاء المعابد في كشمير على طراز جديد .

ويكاد ينحصر الخلاف في شخصية آچوكا بين « كلهانة » وبين بقيـة المؤرخين فان كلهانة يقول : ان آچوكا ملك كشمير هو غير آچوكا امبراطور الهند ويزعم ان الاول يتقدم الثاني بألف سنة ولا يوجد ما يدعم هـذا الرأي ولكن ربما يكون الاصح ان يكون آچوكا امبراطور الهند كشميري الاصل نقل عاصمة ملـكه من كشمير إلى « مگاذا » في الهند بعد ان اتسع نطاق حكمه وقد جاء في تاريخ الهند القديم للمستر في . اى . سميث « ان حكم الامبراطور آچوكا لكشمير هو ألمع صفحة في تاريخ هذه البلاد التي عهـد في الاخير بحكمها إلى نائب عنه اتخذ مقره في « تاكسيلا »

وقد جاء في تاريخ العالم لادكتور هليمولت : « كان عهد آچوكا (٢٦٣-٢٢٦ ق . م) عهد انتصار البوذية في شمالي الهند إذ امتد نفوذها إلى الشمال الغربي بعد ان اعترفت كشمير - الجسر الموصل بين الهند وآسيا الوسطى - بسيادة آچوكا» . وقال أيضاً « عندما بلغت البوذية الهندية ذروتها في عهد « آچوكا » اجتازت كشمير إلى جبال آسيا الوسطى الجنوبية فحمل البوذيون كتبهم المقدسة ومخطوطاتهم وحضارتهم الى حوض تاريم Tarrim ومن هناك إلى اويغورين ثم إلى الصين شرقاً ولم تستطع هذه التعاليم ان تجتذب القبائل الراحلة في الاقسام الغربية من آسيا إذ قابلها الزردشتيون والمسيحيون بدعايتهم الى أن جاء الاسلام فاكتسح ببساطته كل شيء في غربي الهند »

ومن هذا يستدل على ان آچوكا امبراطور الهند لم يكن شخصاً آخر في أي عهد من عهود التاريخ .

ويقول مؤرخ تاريخ الهند القديم انّ عناصر من غير المؤمنين (ملخاس)[١]

---

(١) Melechas كلمة استعملها سكان الهند للاجانب ويعني به « الـكافر » او غير المؤمن بعقائدهم ويدعو الهندوكيون المسلمين بهذا الاسم حتى اليوم .

وربما كانوا من قبائل المغول المتحركة في أعالي جبال أواسط آسيا حاولوا في اخريات ايام آچوكا غزو امبراطوريته ولكن يده الحديدية صدتهم عنها واوقفتهم الى ان قلص الموت هذه اليد فاندفعت تلك القبائل التركية نحو كشمير وأشاعت فيها الارتباك والاضطراب والفوضى مما هيأ للبطل المغامر « جالوكه » ان يرتقي العرش خلفاً لاچوكا دون ان يكون من نسله وكان جالوكه في اول امره من أعداء البوذية ولكنه تقرب من رجالها أخيراً وأصبح من اصدقائهم . وهو الذي انشأ في (٢٠٠ ق . م) اول معبد فوق التل المنعزل الذي يعلو ألف قدم وهو معروف اليوم بتخت سليمان . ويقال انه فتح « قنوج » و « قندهار » وجاء منها بالمشرعين ورجال العلم والادب والفن فاسكنهم في كشمير .

وقد اجرى بعض الاصلاحات في الحكم فجعل عدد كبار موظفي الدولة (١٨) بعد ان كانوا سبعة وكان اولئك السبعة يشغلون مناصب : (١) رئيس الوزراء (٢) القاضي ٣) ملاحظ الايرادات (٤) ناظر الخزينة (٥) قائد الجيش (٦) وزارة الدين (٧) الفلك ولم يذكر شيء عن الوظائف التي اناطها بالموظفين الذين أضافهم اليهم ولكن يعتقد انهم كانوا يعملون في القصر الملكي بوظائف منفصلة عن بعضها أو بمجموعهم كمجلس للعرش .

ارتقى عرش كشمير بعد جالوكة داموداراً الثاني والحادث الوحيد الذي ينقل عن عهده هو السد الذي انشأه لاسالة الماء الى بلدة (كوداسوث) وهي اليوم قرية حقيرة يبلغ مجموع سكانها ٤٧٦ نسمة .

وبعد هذه المرحلة من تاريخ كشمير نجد بعض المؤرخين يتحدثون نقلاً عن القصائد والكتب الدينية عن قصة لها بعض الشبه بقصة المسيح عليه السلام ويتفق ان تقع ـ اذا صحت الروايات ـ فيما يقرب من عهد ظهور المسيح .

تلك هي قصة الوزير « سامذيامتي آريا راجا » « الحكيم الاكبر » ويقال انه كان وزيراً لدى « جايندرا » (من سنة ٦١ ق . م الى سنة ٢٤ ميلادية) ويقال انه عاش فقيراً وعانى كثيراً من آلام السجن والاضطهاد ثم مات بالتعذيب

ويزعم انه عاد الى الحياة فرضى بعقائد الاهليين وحكم كشمير ٤٧ سنة ولا يعلم ماذا حل به بعد ذلك ولكن بعض المؤرخين يعتقدون انه ليس بشخصية خرافية رغم ما يدور حوله من خرافات .

سلالة كوشانه التركية

نأتي الآن الى سلالة « كوشانه » وهذه سلالة تركية تنحدر من قبيلة « يوئه‌چي » التي استقرت في وادي « اوكسوز » ومنه هاجمت حكومة « بكتريا » اليونانية في القرن الثاني قبل المسيح فاحتلت افغانستان وقد انحدر المغلوبون الى الجنوب وفتحوا الانحاء الشمالية من الهند فحكموها إلى ان جاءهم فرع كوشانه من نفس القبيلة فطردهم منها .

كادفيسز الاول :

هو مؤسس سلالة كوشانه اذ استطاع ان يوحد جميع فرق يوئه‌چي في نحو السنة ١٥ ميلادية فيحتل افغانستان .

كادفيسز الثاني :

خلفه في سنة ٤٥ ميلادية ابنه كادفيسز الثاني فبعث بجيش لاحتلال تركستان الشرقية ولكنه مني بالخيبة فاضطر الى دفع الجزية الى الصين . اتجه بعد ذلك الى الهند فاحتلها الى « بنارس » .

كانيشكا :

ارتقى العرش بعده كانيشكا في سنة ٧٨ ميلادية فوسع امبراطوريته الى اعالي السند وألحق بها كشمير . يقول المؤرخون ان هذا الملك كان « بوذي » العقيدة اتخذ بيشاور عاصمة له . وقد استطاع الأثريون العثور على بعض آثار منشآته . وله ذكريات كثيرة في كشمير إذ انشأ فيها مدينة « كانيشكاپور » وهي اليوم قرية « كانيسپور » على بعد ستة اميال من برامولا . وبرعايته عقد

الاجتماع الثالث البوذي في كشمير في نحو السنة ١٠٠ ميلادية حيث رأس الاجتماع « ناكار هيونا » فوضع « القـانون الشمالي » أو « مجلة التشريع الـكبرى . »

وقد احتل كانيشكا (كاشغر) و (يارقند) و (خوتان) التي كانت تابعة الى الصين .

هوفيشكا :

يقول المؤرخون انه كان « لـكانيشكا » ولدانـ هما « فاشيشكا » و « هوفيشكا » وكانا ينوبان عن والدهما في الحـكم بالتتابع وقد توفي « فاشيشكا » قبل أبيه فلما مات كانيشكا خلفه ابنه الحي « هوفيشكا » في سنة ١٢٣ ميلادية. وقد انشأ مدينة « هوشكاپورا » وهي اليوم قرية صغيرة بقرب بارامولا وقـد دام حكمه حتى سنة ١٤٠ ميلادية .

« فاصوديفا » أو « جوشكا »

وقد خلف هوفيشكا فاصوديفا الذي يدعى جوشكا أيضاً وقد دام حكمه حتى سنة ١٧٨ م وفي هذا التاريخ انتهى حكم سلالة كوشانه في كشمير بشكل يكتنفه الغموض ولـكن دام حكم السلالة في كابل وبنجاب الى القرن الخامس الميلادي حينما اكتسحهم « الهون » .

اب هيمانيو الاول

وقد ذكر بعض المؤرخين ان « اب هيمانيو الاول » خلف جوشكا وقد لاقت البوذية شيئاً من المقاومة في عهده .

سلالة كونندة

كونندة الثالث

قيل ان كونندة الثالث ارتقى العرش بعد « اب هيمانيو » الاول فأسس

سلالة كوننده من جديد وقد عمل كوننده الثالث على احياء البرهمية ومقاومة البوذية .

نارا

وقد جاء « الملك نار » بعد خمسة ملوك في السلالة فأحرق الوف المعابد البوذية . ومن هذا التاريخ أخذت البوذية تفقد قوتها في كشمير .

الهون الابيض

میهرا کولا

جاء الهون الابيض – وهم قوم من تركستان الشرقية – افغانستان في القرن الخامس فأسس فيها زعيمهم « طورامانه » ايمبراطورية احتلت القسم الغربي من شبه جزيرة الهند ، وقد توفي « طورمانه » فارتقى عرشه ابنه ميهرا كولا في سنة ٥١٠ ميلادية واتخذ مدينة جاكالا في البنجاب عاصمة له . ولا يعرف موقع هذه العاصمة بالضبط ويعتقد البعض انها في موقع «سيالكوت» ويقول آخرون في تلول سينكالا ويقول آخرون غير ذلك .

وقد عرف هذا الملك بالقوة والجبروت وسفك الدماء واباحة الحرمات وقد شبهه بعض المؤرخين بالموت وبالغوا في التحدث بآثار قوته وكيف كان يأنس بأن يقضي ليله ونهاره بين جثث ضحاياه .

وقيل ان الرخوخ والغربان وجوارح الطير كانت ترفرف فوق رأسه في غزواته تنتظر جثث الضحايا لتلتهمها !

وقد فزع ملوك الهند مما بلغهم من انباء طيشه وفتكه فعقدوا مؤتمراً قرروا فيه الاتحاد ضده ومهاجمته . وقد تمكنوا من دحره في معركة حاسمة فرّ على أثرها من الميدان والتجأ الى ملك كشمير . وقد رحب به ملك كشمير واكرم وفادته ثم اقطعه قطعة من مملكته امّره عليها ووهبه ايرادها غير انه قابل هذا الاحسان بالشر اذ انه وثب على مضيفه فاحتز رأسه وارتقى عرشه .

انطلق بعد ذلك نحو قندهار فاحتلها واغرق عدداً كبيراً من الناس في نهر الهندوس .

يذكر بعض المؤرخين انه افرط وامعه بالتعذيب جاء مرة بنحو مئة فيل فألقاها من شاهق « بيربانجال[1] » ليؤنس نفسه بصراخها وهي تحتضر . ولا يزال يتناقل الناس هذه القصة جيلاً بعد جيل وهم يشيرون الى طنف في الجبل يدعى «هاستيفانج » أي ذهاب الفيلة !

وقد قضى منتحراً في القرن الخامس ولعله انتحر بسبب ما كان من تأثير مساوئه على اعصابه .

وفي هذا الزمن الذي ساد فيه عذاب الهون نشأ شاعر دعي « كاليداسا » ترك كشمير في النصف الاخير من القرن الخامس ميلادي أو أوائل القرن السابع فأخذ ينظم القصائد وهو يتنقل من بلد الى بلد ولكن يقال انه قضي معظم وقته في عهد اضطراب كشمير في « عجين » ويعتبر كاليداسا من اعظم شعراء كشمير .

يوديشتيرا الاول

كان هذا آخر ملك من سلالة كوننده ولكنه لم يكن بالملك المفيد لذلك خلعه الشعب ثم طلب للبلاد ملكاً اجنبياً فكان هذا الملك « فيكراماديتيا هارشه » ملك عجيني أو عجيني .

---

(١) ان ممر بيربانجال يعلو ١١٤٠٠ قدم عن سطح البحر وتعلو القمم المحيطة به ١٦٠٠٠ قدم . وتقع على سلسلة بيربانجال بحيرة « كوسرناغ » على ارتفاع ١٣٢٠٠ قدم من سطح البحر وهي اكبر بحيرة جبلية في كشمير يبلغ طولها اكثر من ميلين . وتحيط بهذه البحيرة شعاف جبلية من الهيملايا . يطل منها على هذه البحيرة ثلاث شعاف يبلغ ارتفاع كل منها ١٥٠٠٠ قدم .

وقد جاء في سياحات برنيه : ان مآذن مدينة لاهور التي تبعد ١٣٠ ميلاً من كشمير يمكن ان ترى في أيام الصحو من ممر بيربانجال .

فيكرامادبتيا

هذا ملك لا تقوم الادلة المادية – كالنقوش والعملة – على وجوده في القرن الاول المسيحي ، وقد بقي عصره مجهولاً الى القرن العاشر الميلادي .

برافاراسينا

مات الملك هارشا في ثالث ربع من القرن السادس وقد احتل كشمير على أثر موته « برافاراسينا » سنة ٥٨٠ ميلادية وكان هذا أميراً من امراء « مالفا » ويقول « كلهانه » ان « الجسر العظيم » القائم على الزوارق في سرينكار انشيء لاول مرة في عهد هذا الملك

بالادبتيا

هـذه سلالة اخرى من الهون البيض دامت نصف قرن ثم توفي آخر ملوكها « بالادبتيا » ولم يترك ذكراً يخلفه .

سلالة كاركوتا

دورا لابها فاردانا

انتقل العرش بعد بالادبتيا الى صهره « دورا لابهار فاردانا » الذي قيل انه انحدر من سلالة محترمة من احد « الناكات » كانت اسرته من عبـدة « الافاعي » وهي عبادة من عبادات كشمير ترجع الى ازمنة لا يذكر مبدؤها وقد جاء عنه في جغرافية الهند القديمة المؤلف من قبل الكسندر كانتهام انه مؤسس سلالة « ناكا » او « كاركوتا[1] » ولانا كات مركزاً خطيراً في

---

(١) ان كلة « كاركوتا » عندما تأتي اسماً تدل على انواع مختلفة من النباتات كذلك تأتي بمعنى قبيلة غير آرية . ويعتقد ان لاسم « كا علاقة باسم كاركوتا وكذلك « جاركوتا » التي وردت في احـد الكتب المقدسة الهندوكية بمعنى حية سـامة . وقد ورد اسم =

معتقدات البوذيين والبرهميين على السواء يتجلى في النقوش والرسوم والآثار الفنية التي تركوها .

وقد اختلف المؤرخون والرواة كثيراً حول منشأ عبادة ناكا ومقامها . وقد ذكر جيمس فركسون في كتابه « عبادة الشجر والثعبان » ان الناكات لم يكونوا ثعابيناً في الاصل ولكنهم عباد الثعابين . وقد كانوا شعباً تورانياً سكنوا في شمال الهند ثم اخضعهم الآريون لحكمهم .

وقد ذهب الدكتور سي . ايف . اولدام في كتابه « الشمس والثعبان » إلى ان «الناكا» زعموا انهم انحدروا من الشمس واتخذوا الثعبان طوطماً . وقال ان طالشاجيلا (تاكسيلا) كانت عاصمة (الناكا) وكان طاكشاكا أحد رؤسائهم .

وقد جاء في كتاب أصل الشيفائيين[1] The origin of Shaivaism للمستر سبرامانيان (ماجستير من جامعة مدراس) تمزج الناكا بعض الشيء مع الثقافة الشيفائية ويقال ان شيفائية جنوب الهند رحلت إلى الشمال تاركة وراءها السلالات التي تدعى « ناكارا » او « نايارا» وكان لقبيلة الناكات حكومات قوية في مختلف أنحاء الهند يدل عليها وجود مدائن هامة منتشرة في انحاء الهند تدعى ناكبور Nagpur

ويعتقد المؤرخون ان « دورلا بهاقاردانه » ملك كشمير هو سليل ناكاكاركوتا الوارد ذكره آنفاً .

= « ناكاراجا كاركوتا » في بعض الادبيات القديمة ولا سيما أناشيد الابطال بشكل يدل على انسان محترم هو مؤسس هذه الاسرة المالكة وفي بلاد النيبال في شرق الهند يحتل كلمة كاركوتا مركزاً ممتازاً في العبادات المألوفة وفي الاساطير ويعتبر كاركوتا الجد الاعلى لناكات النيبال . وتدار الولايات الوسطى في الهند من قبل سلالة منحدرة من الناكات ويعتقد اتباع مذهب كاباستاس في البنغال انهم انحدروا من سلالة ملك الافاعي .

(١) الشيفائيين : نوع من التقشف منسوب الى شيفا من الهة الهند المزعومة .

ويبدأ تاريخ كشمير القائم على اسس حقيقية من هذه السلالة : سلالة كاركوتا وقد حكم « دارلابهافارذانه » من ٦٢٧ ميلادية إلى ٦٦٣ وفي عهده زار كشمير يوانغ چوانغ الصيني (أو هيوز تسيانغ) إذ كانت زيارته بين ٦٣١ و ٦٣٣ م وقد اكرم هذا الملك وفادته . وأقام هذا الصيني سنتين في وادي كشمير ضيف شرف وهذه اكبر مدة يمضيها هذا السائح في أي بلد زاره خلال ١٦ عاماً قضاها بالتنقل في أنحاء الهند وآسيا الوسطى . وقد ترك هـذا الصيني أحسن وصف لكشمير وأصدق تعبير عن حالتها فقد قال في وصف الكشميريين :

« انهم من نوع هزيل ساذج . تبدو مسحة الجمال على الاهلين ولكنهم ماكرون . يحبون العلم وقد حصلوا على نصيب وافر منه »

قال كذلك : «اشتهرت كشمير بكونها البلد الذي نشر البوذية وخدم تطورها وقد رددت الكتب البوذية اسم عاصمتها خاصـة والقطر عامة مقروناً بالمجد والثناء ولكنه لم تعد هذه المملكة متمسكة بالبوذية وقد وجد الشعب على العكس يعني بمعابد البراطقة أكثر . »

كانت المملكة في هذا العهد في خير وسلام وقد اتسع نفوذ كشمير السياسي إلى الأقطار المجاورة في الغرب والجنوب فشمل راجابوري (راجوري) وبارنوتسا (البونج) وبيمبار واوراچا (هزارة) وتاكسيلا (طاكشاجيلا) وسيمهابور مما يدل على ان نفوذ المملكة السياسي بلغ بحر الملح » .

درلا بهاكا

خلف « درلابهافار ذانا » على العرش ابنه « درلابهاكا » أو براتابادتيا الثاني وحكم براتابادتيا الاول من ٦٩٩ — ١٣٧ م وكان قريب الملك فيكراماتيديا وقيل انه وزراء كشمير المستائين جاءوا به من خارج البلاد .

حكم درلابهاكا خمسين سنة من ٦٦٣ إلى ٧١٣ م وفي هذا الزمن غزا الصينيون الغرب فاحتلوا تركستان وتيبت الغربية والحقوها بامبراطورية جاستيا .

جاندرا بيدا

عندما ارتقى العرش جاندرابيدا بن (درلابهاكا) في سنة ٧٠٣ م أوفد بعثة إلى امبراطور الصين فعرض عليه الولاء . وقد تقبل منه الامبراطور ذلك وأنعم عليه بملكية كشمير اقطاعية تابعة إلى الامبراطور .

تارابيدا

وقد خلف جاندرابيدا أخوه الاصغر تارابيدا في سنة ٧٢١ ولكنه لم يحكم اكثر من أربعة أعوام حكماً عرف بالقسوة والظلم .

لالبتاديا – مكتابيدا

هو الابن الاصغر لـ « برتابيديتيا » وقد عرف بالبطولة وعرف عهـــده بالعهد الذهبي نعته « كلهانه » بملك العالم « يدور حول الأرض كما تدور الشمس » وقد خضعت لحـكمه بعض أنحـــاء البنجاب وقهر « ياجوفارمان » ملك (كانيا كوبجه) اي (قنوج) في سنة ٧٤٠ وقد حمل على « البهوتا » سـكان بالتسبيتان في الشمال الشرقي فدحرهم على ضفاف نهر الاندوس . وفي سنة ٧٣٣ بعث وفداً إلى امبراطور الصين هوسان تسوانج ٧١٣ – ٧٥٥ م) فأعلمـــه بانتصاره على التيبتين واقترح عليه ان يقيم معسكراً للجيش الصيني على ضفاف بحيرة « ولر » وقد طلب اليه ان يعينه على العرب الذين أخذوا يزحفون من قواعدهم في السند وملتان ولعل هذا كان أول اتصال العرب بكشمير أو بالأحرى أول تأثير للعرب على سياسة كشمير (ان سنة ٧٣٣ ميلادية تقابل سنة ١١٥ هجرية) .

ولكن الامبراطور اكتفى باكرام الوفد وارجاعه إلى بلاده يحمل لمكتابيدا الرتبة الملكية . وكان يومذاك أسواه جالاندر ودكتفره وبوج من الاقطاعيين التابعين إلى ملك كشمير . وقد انشئت في عهده بعض المعابد الهندوكيـة التي

تختلف في طرازها المعماري عن المنشآت الهندية المماثلة تضاهي بقوتهـــا المعابد المصرية وبجمالها المعابد اليونانية قال عنها السير فرنسيس يانغ هسبند في كتابه كشمير انها وان كانت هندية غير أنها تختلف عن المعمارية الهندية المتعارفة انها معمارية كشميرية قائمة بنفسها ولـكنها متأثرة بمعمارية قندهار .

وبأمره شقت الجداول ونظم الري فاتسع نطاق الزراعة بأحياء أراضي جديدة .

وبعد ان كان عدد كبار الموظفين ١٨ في عهـــد جالوكه جعله ٢٣ وعين خمسة موظفين جدد للمناصب التالية :

(١) رياسة الديوانـــ (٢) وزارة الخارجية (٣) مديرية الجياد الملـكية (٤) مديرية الخزينة (٥) رئيساً للاجراء .

وقد ختم عهد هذا الملك بصورة لا تزال تعتبر سراً من الاسرار ولكن المرجح انه قتل في احدى المعارك التي خاض غمارها وتعتبر التعليمات التي بعث بها إلى وزرائه في آخر حملة حربية قام بها من أغرب التعليمات عن فن الحكم في ذلك العهد . فقد حذر فيهـا شعبه من الانشقاق الداخلي وأوصاه بلزوم العناية بتقوية الحصون واصلاح ما يطرأ عليها من خلل واكمال ما ينقص فيها من اجهزة وعدد حربية وقد أمر بالتنكيل بسكانـــ الجبال الفينة بعد الاخرى وارهابهم خشية ان يزدادوا قوة فيقلقوا المملـكة . وأمر بان لا يسمح للقرويين بالاحتفاظ بطعام يزيد عن حاجتهم لمدة سنة واحدة وان لا يستبقوا لديهم من الثيرانـــ ما يزيد عما يحتاجون اليه للحرث . لانه قال ان تكدس الثروة لديهم تجعل منهم في سنة واحدة اقطاعيين أقوياء (ذامارا)[1] لا يرضخون لحـكم الملك . وقد أمر بأن يعيش القرويون بمستوى أخفض من مستوى سكان المدنـــ . ومنع اسناد الوظائف على اسس الاعتبارات العائلية أو تجنيد الجيوش من منطقـــة واحدة .

---

(١) ذامارا هو الرجل الاقطاعي الذي اثرى بالزراعة وليس لهـــذه الكلمة اي اثر في بقية انحاء الهند وانها تكاد تنحصر في كشمير .

انتهى عهد لاليتا ديتيا في سنة ٧٥٣ م وقد تبعه أربعة عهود قصيرة .

(قاماره ديتيا)

هو ثاني من خلف « لاليتاديتيا ـ مكتاپيدا » وقـد روى « كلهانه » انه ابنه الأصغر وقد عرف عنه انه باع عدداً من رعاياه إلى النخاس أي المسلمين وأدخل في بلاده الأساليب التي تلائم المسلمين .

وهذه الرواية من الادلة القوية على نفوذ المسلمين في هذا العهـــد الذي يصادف القرن الثاني الهجري .

جاياپيدا

ارتقى العرش في سنة ٧٩٤ ميلادية جاياپيدا حفيد لاليتاديتيا مكتاپيدا وقد دام حكمه ٣١ سنة غزا خلالها وادي الكنج فدحر ملك قنوج ولـكنه اضطر إلى الرجوع إلى كشمير لقيام صهره باغتصاب العرش في غيبته .

وقد اشتهر هذا الملك بحبه للعلوم والآداب ورعايه العلماء والمتأدبين لذلك كان بلاطه يغص بالشعراء والعلماء والادباء ، ولـكن يروي المؤرخون انه تنكب في آخر عهده شرع العدالة والرأفة فأمسى ظالماً قاسياً . ويعزى ذلك إلى قصة حب ذكرها « الباندیت بیربال كاچرو » في كتابه « مختصر التواريخ » إذ قال ان الملك تعشق فتاة براهمية وبعد ان التقى بها ضحت نفسها خشية الخطيئة مما سبب غيظه وانتقامه من البرهميين بوضع السيف في رقابهم .

وقد خلفه في الحـكم ابنه في سنة ٧٩٥ م ولكنه كان مسرفاً متهتـكاً قضى على الثروة التي كونها ابوه خلال حكم لم يدم اكثر من ١٢ عاماً .

آڤانتيڤارمان

أعقب الدور المتقدم خمسون عاماً من الاضطرابات والفتن والدسائس والتنافس بين الطامعين بالملك وأضدادهم فقد ارتقى عرش المملـكة وخلع عدد من الملوك الذين خلقتهم الظروف . انتهى هذا الدور بارتقاء آڤانتيڤارمان عرش

البلاد في سنة ٨٥٥ م جاء هذا فوجد البلاد في حالة من الفساد تستدعي الاصلاح الداخلي قبل كل شيء . فقــد انفصلت في أواخر أيام سلالة كاراكوته بعض الاجزاء الكائنة في جنوب سلسلة جبال بانجال عن كشمير فتكونت بعض المقاطعات المستقلة في راجوري وغيرها من الاماكن . وكانت قد ساءت الحالة الاقتصادية والسياسية بسبب الاضطرابات والفتن والدسائس الماضيــة فاهملت العناية بشؤون الري والزراعة ، فانقلب وادي كشمير إلى مستنقع بسبب الفيضانات وتناقصت الغلال فشاعت المجاعات وتحكم الاقطاعيون وصغار الموظفين بمصاير الناس لذلك رأى « اڤانتيڤارمان » ان يوجه عنايته إلى داخلية البلاد فيترك الفتح .

وقــد اظهر مهندسه المدعو « سويه » من المقدرة مالا يقل عن أي مهندس عصري فازال الترسبات التي اعترضت جريان المياه من الوادي إلى منخفض براموﻻ وبانصراف المياه ظهرت أراضي صالحة للزراعة .

وقد قام باعمال ري اخرى واسعة النطاق فشق الانهر والمصارف ونظم توزيع المياه مما أدى إلى زيادة الانتاج وتحسن الحالة العامة .

وبلدة « سوبور »[1] الحاضرة تخلد ذكرى هذا المهندس ، كما تخلد قرية « آڤانتيپورا »[2] ذكرى الملك .

إن هذا العهد يشتهر باحياء الاداب السانسكريتية وانشاء بعض المعابد البرهمية على طراز جديد . وقد دام حكم الملك اڤانتيڤارمان الى سنة ٨٨٣ م .

---

(١) كان اسمها عند انشائها « سوياپورا » وكان تعداد نفوسها في سنة ١٩٣١ (١٠٩٨٢) نسمة بلغت في سنة ١٩٤١ (١١٧٧٠) نسمة . وقد انشأ السلطان زين العابدين جسراً على نهر جلوم في هذا المحل سنة ١٤٦٠ ميلادية . وقد ذكر أحد المؤرخين ان السلطان حسن شاه انشأ قصراً ملكياً في هذا المحل . وتبعد هذه البلدة عن العاصمة « سرينا كار » مسيرة يوم بالزورق وانها من المراكز التجارية المهمة .

(٢) تبعد هذه القرية عن سرينا كار (١٨) ميــلا وتحتوي على خرائب بعض المعابد القديمة .

جامكارافارمان

ارتقى العرش على أثر وفاة أبيه الملك آفانتيفارمان فحكم من سنة ٨٨٣ إلى ٩٠٢ ميلادية أسوأ حكم فقد أرهق الشعب بالضرائب والتكاليف وسلب خزائن المعابد كما سلب الشعب بالارهاب .

وقد استخدم الاموال التي استلبها في انشاء مدينة « جامكارابور » بغية تخليد ذكراه ولكن لم تزدهر هذه المدينة . وهي تعرف اليوم باسم (باتان) وتبعد ٩٧ ميلاً عن سرينا كار وفيها ٣٠٣٢ نسمة

وقد غزا هذا الملك راجوري وكوجرات وكانغرا وهزاره ولكن لم يدم ارتباطها بعرشه وعادت سيادة كشمير الى الانكماش ضمن حدودها الطبيعية . وقد مات الملك في حملة « هزارة » .

ومن تاريخ وفاته المصادف ٩٠٢ الى ما بعد قرن غدت البلاد مرة اخرى مسرحاً للفتن والاضطرابات ونضال الملوك والطامعين بالملك ، فقـــد تنافس على العرش خلال هذه المدة الاعمام والاخوة وأبناء العم والوزراء ورجال الجيش وقد قيل ان ١٨ من المتنافسين تناوبوا في اغتصاب العرش الواحد من الآخر . ووقعت حوادث خلال هذه المدة أدت الى اقتناص العرش من قبل منافس وخلعه ومن ثم عوده او عود منافسه وخلعه اكثر من مرة كما حدث بين « بارثا » و « جاكرافارمان » وقتل الاخير في حضن محظية مما دل على تدهور الاخلاق وفي حادثة « جاكرافارمان » اسرعن زوجاته فحرضن القاتلين على تحطيم ركبتية وهو يحتضر في حضن سريته . (٩٣٧ م)

ياجاسكارا

ان الحالة الآنفة الذكر اشاعت الظلم في البلد ووسعت للوزراء والنبـــلاء مجال التحكم بمقدرات الناس ولم تحظ البلد بحكم هادىء رفيق الا خلال السنوات التسع التي حكم فيها ياجاسكارا من ٩٣٩ الى ٩٤٨ ميلادية وقـد اعقبه ملكان جاءا وذهبا في خلال عامين فقط

سلالة لاهورا الاولى

كشيماغوبتا

حكم هـذا الملك من ٩٥٠ الى ٩٥٨ ميلادية وقد تزوج « ديدا » المنحدرة من سلالة جاهى[1] .

وكانت ديدا غير مستقيمة الخلق ولكنها كانت ذات شخصية قوية وقد حكمت البلد حكماً سيئاً مدى خمسين عاماً اذ كانت تشارك زوجها في الحكم الى تاريخ وفاته سنة ٩٥٨ م

اب هيمانيو الثاني

وعندما توفى زوجها كان ولي العهد اب هيمانيو طفلا فتولت هي وصاية العرش من سنة ٩٥٩ الى ٩٨٠م ويقول بعض المؤرخين ان حكم « اب هيمانيو الثاني » بدأ من سنة ٩٥٨ وامتد الى ٩٧٢ م وحصل حريق خلال هذه المدة خرب قدراً كبيراً من البنايات بما فيها معبد فيشنو .

ديدا

واخيراً تولت العرش ديدا مباشرة ولا يذكر المؤرخون كيف تولته ولماذا ولكن من المرجح ان يكون ذلك على أثر وفاة ابنها الملك . ودام حكمها المباشر ٢٣ عاماً قامت خلاله باعدام رجال الاحزاب المتنافسة واخماء امرهم بدون رحمة أو شفقة مما سهل لها نقل العرش فى ١٠٠٣ م الى ابن أخيها « ساما گرا ماراجا» اذ كانت قد عينته ولياً للعهد فى حياتها واصبح هـذا الملك مؤسساً لسلالة لاهورا[2] . ولكنه كان ملكاً ضعيفاً جداً

---

(١) حفيدة الملك بهيا جاهى ملك « اودابها ندا » من جهة الام وقد حطم السلطان محمود الغزنوي عرش جاهى

(٢) لعله ينسب الى وادي « لاهورين» في مقاطعة «بونچ» في ايالة كشمير .

غزو السلطان محمود

ان من أهم حوادث عهد « ساما گرا ماراجا » هو غزو السلطان محمود الغزنوي لكشمير في ١٠١٥م حيث اندحرت جيوش كشمير امام السلطان محمود .

ولكن السلطان محمود لم يستقر في البلاد بسبب حالة الطقس وتعسر اقتحام الحواجز الجبلية وقد عبر عن اخفاق السلطان محمود الشاعر ابو الحسن علي الفروخي الذي عاصره (في سنة ١٠٣٧ م = ٤٢٩ هـ) فرافقه في غزواته قائلاً :

ماراه ره كشمير همى آرزو آيد
ماز آرزوى خويش نتابيم بيك موى
گاه است كه يكباره به كشمير خرابيم
ازدست بتان پهنه كنيم از صربت گو

أي : طريقنا طريق كشمير كانا نريده ولن نتحول عن هذه الرغبة قيد شعرة وسيأتي وقت نتبختر فيه نحو كشمير جملة واحدة فنحررها من الاصنام ومن كلام رئيس الاصنام .

وتوجه بالخطاب الى ابنه الأمير محمد ابن السلطان محمود قائلاً :

باش تا بايدن خويش بكشمير شوى
لشكر ساخته خويش بكشمير برى

أي : اصبر ربما يكون ابوك في كشمير فيدخل فيها جيشه القوي كالبنيان المرصوص .

هارى راجا ١٠٢٨م — اننا ١٠٢٨ — ١٠٦٣ م

كالسا ١٠٦٣ — ١٠٨٩

تولى العرش « هاري راجا » بعد « سامگرا ماراجا » وقد دام حكمه ٢٢

سنة ثم خلفه « اناتنا » اوقد ثار في عهده الاقطاعيون « الدمارا » ولكنه استطاع ان يتغلب عليهم بحزمه وشجاعته وانتصر كذلك على ملك « جامبا » ولكنه اخفق في حملته على سكان « هزه » الجبليين . كان هذا الملك جبانا ضعيفاً ولكن الملكة « سورياماتي » كانت تقية ورعة قوية . فقد عملت على تقوية المملكة غير انها لم تجد الكفاءة المطلوبة موفورة في الملك لذلك نصحته بالتنازل عن العرش لابنه « كالاجا » وقد حكم هذا من ١٠٦٣ الى ١٠٨٩ م بيد انه كان محاطاً بفريق من رفاق السوء الفاسقين الفجرة ، ومع انه حكم الشعب بالتعسف استطاع ان يفرض قوته على البلاد المجاورة من هزارة الى جانبا . وقد عتم خلفه بابنه الملك ٢٢ سنة ثم خلفه « هارشه »

هارشه

لقد وصف المؤرخون هارشه بالقوام المشوق والجمال المرموق وبالبسالة وحب الظهور لقد كان عالماً متضلعاً بمختلف العلوم وأديباً وفناناً والم بالموسيقى ولكنه كان في نفس الوقت مجموعة من المتناقضات . تتضارب اعماله وحركاته بعضها فهو تارة رؤوف وتارة قاس وتارة واسع الصدر وتارة ضيق الصدر . فقد كان في اول عهده تقياً ورعاً يعنى بالعلماء ويكرم وفادتهم مما حملهم على التقاطر عليه من مختلف البلدان . ويذكر « كلهانه » انه شجع الترشكا[1] (المسلمين) على قيادة جيوشه فأغراهم بالمال والكلام . وجعل في الأخير رؤساء المئة في جيشه من المسلمين .

وكان هارشه على ماروى المؤرخون مسرفاً ميالاً الى البذخ فلم تتسع ايرادات المملكة لنفقاته المتزايدة بسبب ميله الى الملابس الثمينة والاحجار

---

(١) لقد عرف المسلمون في كشمير اولا باسم « ملخاس » ثم « ترشكا » ثم « يوواس » . وملخاس كلة استعملها الايرانيون للعرب في اول ادوار الفتح الاسلامي لانهم كانوا يسمونهم « اكلة الجراد » اذ يدعى الجراد بالفارسية ملخ . ويظهران « ترشكا » و « يوواس » يدلان على الاتراك المسلمين .

الكريمة والمتع والملذات لذلك اخذ يستلب مقتنيات المعابد ويفرض الضرائب الزائدة على الشعب ويقسو على الناس . فقـد طغت المياه على الارض وحلت الكوارث والويلات وانتشرت الامراض وتتابعت المجاعات وذل الجيش واحيط البلاط بالمؤامرات والدسائس والملك لاه لا يدري بما يجري .

وقد شق عصا الطاعة عليه ولدا اخيه « اوكالا » و « سوساله » فسار وراءهما الشعب واضطرمت النار في البلاط فأحرقت زوجات الملك وقتل ولي العهد واصطبد الملك ثم ذبح بلا رحمة في ١١٠٩ م وجرد من الملابس لحرق على كومة من الاحطاب .

سلالة لاهورا الثانية

ارتقى العرش بعد هذا الحادث اوكالا باعتباره اكبر من أخيه سوسالا . واتجه الى الاقطاعيين (الدمارا) فأثارهم على بعضهم ثم حطمهم واحداً بعـد الآخر . ولكن لم يدم حكمه اكثر من عشر سنوات إذ قتل في سنة ١١١١ ميلادية بنتيجة مؤامرة دبرها خصومه .

عصران من سوء الحكم

وقد تبع هذا عصران من سوء الحكم وعدم الاستقرار فقد كانت اعمار الملوك قصيرة في الحكم بسبب المؤامرات والقتل والاغتيال والانتحار والثورات والاضطهاد المالي . يقول السير فرانسيس يانغ هسبند : « لنا ان نقبل حقيقة واقعة بأن الحكم الاعتيادي في كشمير كان مدى العصور مسرحاً للدسائس والمؤامرات وسفك الدماء باستثناء الفترات القصيرة التي حكم فيها بعض الملوك الاقوياء الحازمين .

فقد كان التنازع على العرش بين الاخوة وابناء العم والاعمام والخؤلة

يتقدم ارتقاء كل ملك جديد واذا ما ارتقى الملك العرش يبدأ النزاع على السلطة بينه وبين الوزراء ورجال الجيش والنبلاء ، يساوره في نفس الوقت الخوف من التسميم أو الاغتيال او الحرب وما تأتي به من ويلات . »

فلم يحكم خلف «اوكاللا» اكثر من ليلة واحدة ثم خلفه شقيقه في الرضاعة فحكم اربعة اشهر فقط .

« سوسااللا »

جاء سوسااللا اخو اوكاللا العرش في ١١١٢ م . وقد ساد عهده اضرابات داخلية أثارها « الدمارا » الاقطاعيون مما اضطره الى الهرب الى « بونچ » سنة ١١٢٠ م غير ان النبلاء والانصار اعادوه الى العرش فبذل كل ما وسعه من جهد لتحطيم الاقطاعيين ونجح الى ذلك نجاحاً ما كراً بيد انه لم يوفق الى ذلك وقضى نحبه في ١١٢٨ مقتالاً .

جاياسيمها

ارتقى العرش بعد سوسااللا ابنه الاكبر « جاياسيمها » وذهب في عهده قائده العام « ساناجاپالا » الى معسكر « يوڤانا » وهم المساعدين رؤساء المئة الذين ورد ذكرهم في عهد هارشه .

خلفاء جاياسيمها

اعقب جاياسيمها ستة ملوك حكموا بالتتابع قرناً ونصف قرن وقد انحطت كشمير في عهودهم شيئاً فشيئاً بسبب ماساد البلد من ارتباكات وحروب داخلية ادت الى عبث عصابات اللصوص بالامن والنظام العام وكانت الامراء ضعافاً احياناً وقساة احياناً فقد اهان « راجاديفا » البرهميين خلال حكمه (من ١٢١٣ الى ١٢٣٦ م) واستلب اموالهم بحيث اخذوا يصخبون نحن لسنا من البرهميين ! نحن لسنا من البرهميين . وقد فقدت كشمير في هذه العهود رفاهها الاقتصادي .

شاها ديفا

أصبحت كشمير في عهد « سيها ديفا » من ١٢٨٦ الى ١٣٠٠م وفي عهد أخيه « شاها ديفا » (من ١٣٠٠ الى ١٣٠١ وثم من ١٣١٩ الى ١٣٢٠) بلد السكارى والمقامرين والنساء الفاجرات .

وفي العهد الأخير هاجم كشمير « ذولجه » (الذي ورد اسمه في التواريخ الايرانية باسم « زولجه ») وهو قائد جيش الملك « كارماسينه » وبدلا من أن يقف الملك الموقف الذي يفرضه عليه شرف الرجال فر هاربا إلى « كاشافار » (كشتوار)

يقع وادي كشتوار في أعالي نهر شناب بين كشمير وجامبا على الطريق المؤدية إلى سيملا . وقد أشار اليه كلهانة فقال ان حكومته مستقلة في التلول . ويغلب على الظن انها اسست في القرن العاشر الميلادي وكان يحكمها راجات هندوكيون إلى عهد اورنكزيب حين اسلمت بنفوذ السيد فريد الدين البغدادي[1] وكان قد جاء كشتوار في عهد شاه جهان وقد بقي راجات كشتوار مستقلين إلى أن دخل بلادهم المهراجا كلاب سنيك .

وعندما اجتاحت جيوش الامبراطور المغولي أكبر بلاد كشمير في سنة ١٥٨٦ التجأ يعقوب شاه آخر ملك من سلالة « شاك » إلى كشتوار ، وهو مدفون في « سير كوت »

يقول المستر اوتو روثفيلد في كتابه الموسوم «بالقلم والبندقية في كشتوار» تكاد تنفرد كشتوار بمناظرها وبخصال خاصة بسكانها يمتازون بها. لا تزال آثارها غير مكتشفة والعابها شاذة .

---

(١) هو السيد محمد فريد الدين القادري البغدادي ولد في سنة ١٠٠٠ هجرية المصادفة ١٥٥١ ميلادية وصل كشتوار وهو في الثالثة والسبعين من عمره وأسلم على يده حاكم كشتوار الراجبوتي (عن كتاب كاشير للدكتور صوفي)

إن سهل كشتوار هو أقرب الى الشكل البيضي منه الى الدائري كثير الشبه بسهل برامولا . تحيط بالسهل جبال شامخة تغطيها أشجار البلوط والصرو تعلو قممها أشجار الصنوبر الكثيفة وتكللها الثلوج البيضاء . ويمتد السهل مسافة ستة أميال من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب تربته خصبة مبروكة الانتاج وتنتشر القرى في هذا السهل وكل واحدة مستورة بغاباتها الخاصة من أشجار الجنار والحور . ويسيل نهر ووردوان في سهل ووردوان ثم الى ملتان ثم ينصب في نهر الاندوس .

وقد وصف أحد الشعراء كشتوار بالفارسية قائلاً :

خوشا دلكش ديار كشتوار است
بهر ماه نوش صد بهاراست

أي : بوركت ديار كشتوار جاذبة القلب
كل شهر جديد فيها يأتي بمئة ربيع

وقد جاءت كذلك موصوفة في شعر توماس مور في ديوانه الموسوم « في أرض لاله روخ » حيث يقول بالانكليزية ما معناه :

«في كشتوار وفي الطريق المنحدر مع واردوان ، كل جبل يشمخ بكبرياء الشتاء متجلبباً بالجباب الازلية البيضاء ، بينما يكتسي الصيف حلة زاهية من الازهار »

وقد تساءل بيفرج في شرحه مذكرات الامبراطور جهانكير قائلا : هل كان هذا ما دعا جهانكير الى تفضيل زعفران كشتوار على زعفران كشمير ؟

وان قرية كشتوار هي اليوم اكبر قرية بين القرى الموصوفة آنفاً تعلو ٥١٠٠ قدم فوق سطح البحر وفيها ٣٢٣٥ نسمة تقع على بعد ٧٤ ميلاً الى جنوب غربي اسلام آباد عن طريق ممر ماربال . ولما كان المرحوم السيد فريدالدين

البغدادي وابنه اسرار الدين مدفونين فيها فقد دعاها أحد الشعراء بغـداد الثانية حين قال بالفارسية :

ثانى بغداد يا خلد برين يا كشتوار

جانفزا چوگان دلكش جنت المأوى است اين

ومعناه :

هل هذه بغداد الثانية أم جنة الخلد أم هي كشتوار

أيها الاحياء المحبون انها جنة المأوى .

كان عهد « ذواچه » في كشمير عهد سلب ونهب وظلم واستعباد فقـد ارغم الناس على ان يكونوا ارقاء في قصره كما استلب أموالهم بالاكراه ولم يكتف بذلك فاضرم النار في عاصمتهم سرينا كار .

وبعد ان أفقر الغزاة البلاد ومزت الأغذية خلال حكم لم يدم اكثر من ثمانية أشهر قرروا الخروج من الممرات الجنوبية ولكن الثلوج سدت الطرق بوجوههم فهلكوا مع قائدهم .

فدخل الهندوكيون من كشتوار يريدون احتلال كشمير ولكن تصدى لهم « رام چندرا » قائد عام « شاهاديڤا » فأرجعهم القهقرى . ويتلو هذا الحادث غياب « شاهاديڤا » أو بالاحرى زواله عن المسرح بصورة غامضة ويظهر اسم ملك تيبت القريبة أو « لاداخ » الذي دعاه المؤرخون بعدة اسماء « بهوطـا » او « باهوطا رينچانا » او « رين جان » او الامير رينچن ، الاله الا كبر (المزعوم) ابن الاله چن . وقد اشتبك مع رام چاندرا فقتله وتزوج بنتـه « كوتارانى » ابنة رام چاندرا فاعلن نفسه ملكاً في سنة ١٣٢٠ م وقـد اتخذ شاهمير المسلم وزيراً له لما توسم فيه من اخلاص لشخصه .

السلطان صدر الدين

وقد اهتدى « رين جانا » بهدى الاسلام اخيراً فدعى السلطان صدر الدين وقد توفي في يوم الجمعة المصادف ٢٥ تشرين الثاني ١٣٢٣ ميلادية نخلفه « اوديانا ديفا » اخو سيمها ديفا .

اوديانا ديفا

بعد ان ارتقى العرش اوديانا ديفا تزوج بأرملة المتوفي وقد غزا كشمير في عهده آجالا الذي قبل انه تلقى الامدادات من صاحب « مكاذا بورا » ولم يتناول المؤرخون عن شخصية هذا المهاجم اكثر من هذا القول . ولكنهم لم ينكروا هرب الملك كما فعل اخوه قبل ان تطأ اقدام الغزاة ارض كشمير . غير ان الشاه مير الذي لم يزل يحتفظ بمنصب الوزارة تصدى للغزاة فانتصر عليهم وردهم على اعقابهم في غياب الملك ثم عاد الملك واستوى على عرشه رمزاً وتمتع الشاه مير بالسلطان الفعلي .

كوتاراني

وعندما توفي اوديانا ديفا في سنة ١٣٣٨ م ارتقت العرش الملكة كوتاراني مدة خمسه اشهر فقط

السلطان شمس الدين شاه مير

هذا هو شاه مير وزير الملوك السابقين ارتقى العرش في سنة ١٣٣٩ م بعد ان خلع كوتاراني وقد اتخذ لنفسه شمس الدين كنية

وبارتقاء هذا السلطان العرش ينتهي دور الحكم الهندوكي في الهند ولاشك ان انتهاءه بهذه الطريقة السلمية الهادئة بعد ادوار الفتن والمظالم والحركات العنيفة ومن ثم انتقاله الى المسلمين دليل توغل المسلمين في كشمير ورسوخ اقدامهم فيها تدريجياً بعد ان مضى على وجودهم حولها مدة طويلة من الزمن .

كشمير في عهد اسلام اهلها

انتشار الاسلام في كشمير وأثر العلماء والسادة والزهاد
والدراويش في اسلام الملوك والامراء والقبائل
آراء أجنبية في الاسلام والهندوكية

الشيخ بلبل - السيد علي الهمداني وابنه - الشيخ نور الدين
الشيخ شمس الدين العراقي - الشيخ حمزه المخدوم
الشيخ فريد الدين القادري البغدادي

رأينا فيما تقدم كيف اتصل المسلمون بكشمير من أول عهد فتحهم الهند وكيف ان حمياً السوري ذهب اليها وأنشأ فيها مسجداً في عهد محمد بن قاسم فاتح الهند ثم رأينا بعد ذلك مكتاپيدا يفزع من العرب فيستنجد بامبراطور الصين إلى ان رأينا المسلمين يسترقّون الكشميريين بعد شرائهم من حقيده ثم رأينا ملك كشمير هارشه يأتي برؤساء المئة من المسلمين ليقودوا فصائل جيشه إلى أن رأينا وزيراً مسلماً يخلص لملك غير مسلم هو رينچانا الداخي ثم انتهى بنا الامر الى اسلام هذا الملك وتسميته بالسلطان صدر الدين وبعد عهد قصير رأينا وزيره شاه مير يرتقي العرش ، وهذا التطور يدل على ان الاسلام دخل كشمير بصورة سلمية ، وتقبله الأهلون بحرية ومن غير اكراه وبعد ان أقبل الأهلون على الاسلام أصبحت كشمير بلداً مسلماً كمصر وافغانستان وايران وغيرها .

قال ستين : « لم يدخل الاسلام كشمير عن طريق الفتح بالقوة بل دخل بالاهتداء التدريجي بعد ان مهد لذلك تسلل المغامرين من الجنوب ومن أواسط آسيا .

وقد اهتدى الأهلون بجموع كثيفة عند انتهاء العهد الهندوكي حيث أصبح الاسلام أمراً واقعاً في النصف الثاني من القرن الرابع عشر . »

ولا ريب أن قبول رينچانا الاسلام وتسميته بالسلطان صدر الدين لا يمكن ان يعتبر أمراً فردياً مفاجئاً بل على العكس أنه يدل دلالة واضحة على سبق تمركز الاسلام في كشمير بحيث لم يعد يخشى الملك اعلان اسلامه

يؤيد ذلك ما ذكره السائح الفنيسي ماركوبولو عن وجود المسلمين في كشمير في نحو سنة ١٢٧٧ المصادفة ٤٩٥ هجرية . وقد اكد ستين هـذا الرأي حين قال ان العشائر « الداردية » التي تقطن على ضفاف الاندوس تقبلت الاسلام ونبذت البوذية في القرن الثاني عشر الميلادي وهذا يتقدم اسلام رينچان بنحو مئتي سنة .

وكتب السير هربرت رايزلي في كتابه « سكان الهند » المطبوع سنة ١٩٩٥ يقول ان الاسباب التي عجلت في اسلام سكان كشمير هي : (١) القناعـة الحقيقية بنقاوة الاسلام وبساطته وقد حصلت هذه القناعة لدى كبار البرهميين والراجبوت والموظفين الهندوكيين الذين أسلموا بعد ان درسوا تعاليم الاسلام في مدونات المسلمين وسمعوها من أفواه الشيوخ والزهاد والمولوية الذين اعتادوا ان يجوبوا القرى . (٢) رغبة المنبوذين في تحسين أحوالهم بقبول دين يفسح لهم مجالاً وافياً في الحياة . (٣) المثل القائل « الحب يهزأ من الطبقات » هو من الاسباب التي أدت الى تحول كثير من الهندوكيين إلى الاسلام (٤) قضية الطعام والشراب والحواجز التي تقوم بين الطبقات الهندوكية في تناولها[١]

---

(١) ينقسم الهندوكيون الى أربع طبقات حسب تعاليم الدين البرهمي هي :

(أ) طبقة البرهميين الذين يزعم انهم أبناء الآلهة . ولا يترتب عليهم ان يعملوا أو يكسبوا ويقتصر عملهم على دراسة الدين والقيام بطقوسه ويتناولون معيشتهم مما ارضه دينهم على الآخرين وهذه الطبقة هي أعلى طبقة في نظام الطبقات الهندوكي .

(ب) طبقة رجال الجيش على اختلاف رتبهم وتدعى طبقة « كاشت » =

وقد نشر الاسلام في باكستان فريق من أفاضل العلماء والسادة والزهاد والدراويش رأينا أن نتناول سيرهم في هذا الفصل قبل ان ننتقل الى تاريخ ملوك كشمير المسلمين .

بلال أو بلبل شاه

يعتبر « بلال » أو « بلبل شاه » في طليعة العلماء والزهـاد والشيوخ الذين نشروا الاسلام في كشمير فقد عزى اليه غير واحد من المؤرخين اسلام رينچان الذي دعي السلطان صدر الدين مع انهم لم ينكروا أثر الوزير شاه مير في هذا الامر .

وقد وجد الشيخ بلال في كشمير في أوائل القرن الميلادي الرابع عشر ويدعوه البعض « بلال شاه » والبعض الآخر بلبل شاه وقـد يحلو للبعض ان يدعوه « بابا بلال » أي « الاب بلال » كما قال الشاعر بابا داود المشكوتي في وصفه بشعر فارسي :

آنكه در راه الهى روشن ازبدر وهلال
بلبـل باغ ولايت شـاهباز لا مثـال
شد به كشمير اول ازدستش درخت دين نهال
شيخ ومرشد عارف حق ، حضرة بابا بلال

= (ج) طبقة التجار والزراع وتدعى « ويشي »
(د) طبقة المنبوذين « اشودا » وهم الخدم والكناسون .
ولا تجوز العقائد البرهمية اختلاط هذه الطبقات باي وجه لا بالزواج ولا المعيشة ولا تجوز هبوط فرد من طبقة عالية الى طبقة واطئة ولا ارتقاء فرد من طبقة دنيا الى طبقة عليا . واكثر هذه الطبقات شقاء هي طبقة المنبوذين لانها طبقة لا تمس حتى انه اذا مر منبوذ الى جانب برهمي فامتد ظله الى البرهمي وجب على البرهمي الاغتسال كذلك ليس في وسع المنبوذ استقاء الماء من البئر ولا ان يشرب الماء بأناء وعليه ان يمد كفيه ليصب له الماء فيه . لذلك وجد المنبوذون الاسلام خيرا مما يتقدم من الاضطهاد فاقبلوا عليه ، ولو لم يوقف فاتدي اضطهادهم — بعض الشيء — بصيامه من أجلهم لوجدناهم يستمرون في دخول الاسلام أفواجاً أفواجاً .

أي : «ذلك الذي يسطع في طريق الله بنور من البدر والهلال
بلبل روضة الايالة ملك الصقور الذي لا مثيل له
هو اول من نمت وترعرت شجرة الدين بيده
هو الشيخ والمرشد العارف بالحق حضرة الاب بلال»

وقد قيل أنه جاء كشمير أول مرة في عهـــد (الراجا سهاديفا) سلف رينجان وقد ذكر ان اسمه الحقيقي لم يكن لا « بلال » ولا « بلبل » ولكنه بين أن يكون عبد الرحمن وبين ان يكون شرف الدين أو كلاهما إذ دعاه البعض « شرف الدين السيد عبد الرحمن التركستاني » والمعروف عنه أنه من السادة الموسوية أقام في بغداد مدة طويلة ثم تصوف وأخذ الطريقة السهروردية[١] عن خليفة الطريقة الشاه نعمة الله ، وقد نسب إلى الشيخ بيتان من الشعر هما :

كان الـكشمير لسكانهـــا	جنـــة عدن المؤمنين
قد كتب الله على بابهـــا	من دخلها كان من الآمنين

---

(١) تنسب هذه الطريقة الى الشيخ شهاب الدين السهروردي الذي قتل في حلب سنة ٥٨٧ هجرية بأمر الملك الظاهر غازي بن أيوب بناء على تألب العلماء عليه وطعنهم في آرائه وينسب اليه أو الى أبيه الجامع الكائن في بغداد المعروف بجامع الشيخ عمر السهروردي وكان شافعي المذهب وله مؤلفات منها «التلويحات في الحكمة» و«التنقيحات في أصول الفقه» « وحكمة الأشراق » و « هياكل النور » وغيرها وهو شاعر من شعره قوله :

واني في الظلام رأيت ضوءاً	كأن الليل بدل بالنهـــار
الى كم اجعل الحيـــاة صحبي	الى كم أجعل التنين جاري
وأرضى بالاقامـــة في فلاة	وفي ظلم العناصر أين داري ؟
ويبدو لي من الزوراء برق	يذكرني بـــها قرب المزار
اذا ابصرت ذاك النور اني	فما أدري يميني من يساري

وفي باكستان كثير ممن ينتسبون الى السهروردي وقد بلغوا أرفع المقامات في الادارة والجيش . وسهرورد بلدة قديمة كانت تقع في جنوب زنجان لا اثر لها اليوم وقيل انهـــا « كردية » .

ولكن من كان في منزلة الشيخ علماً لا يمكن ان ينظم مثل هذا الشعر الركيك الدال على عجمة ناظمه كما ان معناه لا ينطبق على عهد وجود الشيخ في كشمير وهو أول عهد الانتقال الى الاسلام لذلك نرجح رواية القائل بأن البيتين هما من نظم شهاب الدين السندي الكشميري .

وقيل أنه لما استطاع ان يرشد رينچان الى الاسلام اهتدى معه أخو زوجه القائد العام وعدد كبير من الاتباع بلغوا على رواية عشرة آلاف نسمة . وقد توفى بلبل شاه في سنة ٧٢٧ هـ المصادفة ١٣٢٧ ميلادية

وكان قد جاء معه الى كشمير بأحد أتباعه المدعو الملا أحمد فعين أول شيخ اسلام للدولة عندما أصبح الاسلام دينها الرسمي وعاش هذا الى عهد السلطان شهاب الدين فصنف له كتابين دعى احدهما « فتواى شهابى » والثاني « شهاب ثاقب » وعندما توفى دفن الى جانب بلبل شاه ومرقدهما موجود الآن على نهر جيلوم في سرينا گار عاصمة كشمير .

السادة

ثم جاء كشمير فريق من السادة فعملوا على اهداء الهندوكيين الى الاسلام يذكر منهم السيد جلال الدين البخاري المعروف باسم « مخدوم جهانيان جهانگشت » وقد دخل كشمير في ٨٤٨ هجرية ثم عاد منها بعد مدة وجيزة ومنهم السيد تاج الدين ابن عم مير السيد علي الهمداني الذي اشتهر باسم شاه همدان وقد جاء كشمير في سنة ٧٦٠ هجرية في عهد السلطان شهاب الدين وكان يصحبه من مريديه السيدان مسعود ويوسف وقد دفنا الى جانبه في محلة شهامبور في سرينا گار ومنهم السيد حسين السمناني وهو الاخ الاصغر للسيد تاج الدين جاء في ٧٧٣ هجرية ويقال ان الاخوين تاج الدين وحسين السمناني جاءا بايعاز السيد علي الهمداني ليكشفا الوضع وليمهدا لهرب هذه الاسرة من جور تيمورلنك . والسيد حسين مدفون في ضريح جميل في تحصيل كلفام في

منطقة اسلام آباد والاخ الآخر مدفون على الطريق المؤدية الى اسلام آباد بقرب (آفانقيبور) .

السيد علي الهمداني أو شاه همدان

يعرف السيد علي الهمداني في كشمير بشاه همدان او الامير الكبير أو علي الثاني ولد في ١٢ رجب سنة ٧١٤ هجرية (١٣١٤ م) في همدان في ايران . امه فاطمة وأبوه السيد شهاب الدين ابن مير السيد محمد الحسيني وقد جاء في « خلاصة المناقب » ان نسبه ينتهي الى سيدنا الحسين بن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليهما السلام بعد خمس عشرة ظهراً .

حفظ القرآن منذ صغره وقد اخذ العلم والتصوف عن خاله السيد علاء السمناني . وكان اول الامر من مريدي الشيخ ابي البركات تقي الدين علي الروستي وانتقل بعد وفاته الى الشيخ شرف الدين محمود المزدكاني في الري وقد دون « الشيخ همدان » سيرة الشيخ المزدكاني الذي نصحه بأن يجوب الارض في الاستزادة من العلم . وقد فعل ذلك مدة ٢١ عاماً زار خلالها عدة عالك فالتقى بعلمائها وزهادها ومتصوفيها وانتفع بعلمهم وفضلهم . ذكر عنه في في كتاب « هفت اقليم » اي الاقاليم السبعة لمؤلفه أمين احمد الرازي [الف في ١٠٠٢ هجرية المصادفة ٩٤ ـ ١٥٩٣ م] انه جاب الارض كلها ثلاث مرات وقد عاد الى بلاده بعد ان اتم تجواله . وقد جاءت غزوات تيمور فارغمته على الخروج من بلده الى كشمير .

وقيل انه كان في ركابه (٧٠٠) سيد عندما جاء كشمير في سنة ٧٧٤ هجرية (١٣٧٢ ميلادية) في عهد السلطان شهاب الدين وكان السلطان شهاب الدين مشتبكاً في هذا الزمن في حرب مع ملك اوهند (او ويهند كما يدعوها المؤرخون العرب) وكان اخوه قطب الدين قائماً على العرش بالنيابة عن اخيه وبعد ان مكث شاه همدان اربعة اشهر اتجه الى ساحة الحرب فاقنع المتحاربين

بالصلاح ثم ذهب إلى مكة وبعد ان أدى فريضة الحج عاد مرة اخرى إلى كشمير في سنة ٧٨١ هجرية (١٣٧٩م) وكان قد جاء السلطان قطب الدين خلفاً لأخيه شهاب الدين وبعد سنتين ونصف أي في سنة ٧٨٣ هـ ذهب الى « لاداخ » قاصـداً تركستان وقد زار كشمير للمرة الثالثة في ٧٨٥ هجرية المصادفة (١٣٨٣ م) ولكنه اضطر ان يغادرها لاسباب صحية فذهب اول الأمر الى يخلى[1] وبعد أن مكث فيها عشرة أيام بطلب ملكها السلطان محمد ذهب إلى قرية كنار حيث أدركته الغيبوبة في ١ ذي الحجة سنة ٧٨٦ هجرية ولم يتناول الطعام مدة خمسة أيام وفي يوم الثلاثاء المصادف ٥ ذي الحجة راح يتناول الماء بكثرة وعندما جن الليل أخذ يتلو البسملة مرة بعد اخرى ثم اسلم روحه وهو في الثانية والسبعين من العمر وقد دفن في ختلان السكائنة في تركستان في شمال شرقي الحدود الافغانية الروسية .

وروي انه كان متصوفاً كبراوياً من اتباع الشيخ نجم الدين الكبراوي الخوارزمي (المتوفى سنة ٦١٨ هـ) ويروى ان الطريقة الكبراوية متفرعة من الطريقة السهروردية

ولا يشك المؤرخون في ان مجيء الشاه همدان إلى كشمير وضع كثيراً أعمال التبشير بالاسلام وهداية الهندوكيين وقـد أعاونه في هذا الامر السادة محمد حيدر وجمال الدين وركن الدين ومحمد وعزيز الله . فقـد انشأوا التكايا والمساجد في كل زاوية من كشمير اتخذوها مراكز للتبشير بالدين الحنيف ونشر تعاليمه السمحاء في كل ناحية مما سبب تزايد المهتدين بالاسلام وبازديادهم تكاثرت المعابد الدينية وقد حول المهتدون بعض معابدهم الهندوكية القديمة إلى جوامع ومساجد بتأثير الشاه همدان .

ومما يدل على سعة علم الشاه همدان المؤلفات الكثيرة التي خلفها بالعربيـة

---

(١) مدينة قديمة في بنجاب الآن تابعة الى منطقة هزره في ولاية الحدود الشمالية الغربية في باكستان .

والفارسية ولا سيما كتابه « ذخيرة الملوك » وقد ترجم الى اللاتينية في سنة ١٨٢٥ م والى الفرنسية سنة ١٨٢٩ وهو من أحسن الكتب في علم السياسة والاجتماع .

المير محمد همداني

بعد أن توفى شاه همدان تولى ابنه المير محمد الهمداني نشر الشريعة الاسلامية في كشمير . والمير محمد مولود في سنة ٧٧٤ هـ المصادفة ١٣٧٢ م أي انه كان في الثانية عشرة من عمره عندما توفي والده . ويقال ان الشيخ همدان بعث قبل وفاته بوصيتين وجه احداهما إلى الخواجــه اسحاق في ختلان وثانيتها إلى مولانا نور الدين جعفر في بدخشان وكان على ابنــه ان يدرس بمقتضى الوصيتين الآنفتي الذكر على هذين الشيخين ليكون له الحق في ان يخلف أبيه وقد فعل فجاء وهو في الثانية والعشرين من عمره وادي كشمير في سنة ٧٩٦ هجرية المصادفة ١٣٩٣ ميلادية . وقد استقبله السلطان اسكندر بمظاهر التعظيم والاجلال . وكان في هذه الآونة رئيس الوزراء وقائد الجيش هندوكياً يدعى مالك سوهابهاتا وكان قد تأثر بشخصية المير محمد وبساطة عقيدته واسلوب عيشه وتعاليم دينه فاهتدى بالاسلام مع جميع أفراد اسرته ودعي مالك سيف الدين وعندما توفيت زوج المير محمد زوجه بابنته وقد أنشأ مسجداً يعرف حتى اليوم بمسجد « سوهيار »

وقد حمل المير محمد الحكومة على منع تقطير الخمور وبيعها وتحريم تضحية المرأة بحياتها عند وفاة زوجها وفق التقاليد الهندوكية التي كانت تقضي بحرق المرأة نفسها وهي حية مع جثة زوجها الميت وقد منع كذلك القمار ومزاولة النساء الرقص .

وكان قد أهدى المير محمد السلطان اسكندر « ياقوته » بدخشانية فوهبه السلطان لقاءها ثلاث قرى كبيرة أوقفها المير محمد على تكيته .

وقد مكث المير محمد ٢٢ سنة في كشمير ثم غادرها في ٨١٧ قاصداً مكة

المكرمة لاداء فريضة الحج وعندما عاد من الحجاز ذهب إلى ختلان فتوفى فيها يوم ١٧ ربيع الاول ٨٥٤ المصادف سنة ١٤٥٠ ميلادية ودفن إلى جوار والده.

وقد قيل ان الشاه همدان جاء معه بـ ٧٠٠ سيد عندما جاء كشمير وان ابنه جاء بـ ٣٠٠ مما لو صح يبرهن على ان حملة الاهداء إلى الاسلام قام بها الف سيد في كشمير ويروى ان الشاه همدان استطاع ان يهدي إلى الاسلام ٣٧٠٠٠ وكان قد اهدى بلبل شاه عشرة آلاف .

ويلي السادة في الأهمية الدراويش ويدعون في كشمير « ريشى » و « ريش » في الفارسية « اللحية » لذلك يقصد بالريشى « ذا اللحية » وقد اشتهر من اولئك الشيخ نور الدين وبابا ناصر الدين وبابا بام الدين والشيخ حمزة المخدوم والسيد احمد الكرماني والسيد محمد الحصاري وبابا زين الدين وبابا لطيف الدين وشكر الدين وحنيف الدين وشاه ولي البخاري وسعيد بابا وخواجه حسن قاري' وقد ساعدوا بتقاهم وورعهم وزهدهم على اهداء اكثرية سكان الوادي الى الاسلام .

قال جهانكير في مذكراته عن الدراويش[1] انهم لم يدرسوا علم الدين وليسوا على شيء من الثقافة ولكنهم يمتازون بالبساطة والتواضع . انهم لا يحتقرون أحداً ويمصمون ألسنتهم ويكبتون رغباتهم ويكمشون أقدامهم عن السؤال . انهم لا يتناولون اللحوم وهم محرومون من الزوجات ولكن ديدنهم غرس الأشجار في الحقول ليستفيد منها الآخرون دون ان يطلبوا لانفسهم نفعاً .

وقد رأى السائح فيكنه بابا سعيد عندما كانت كشمير راضخة لحكم السيخ وقد ذكر انه رفض الحضور لدى حاكم الايالة . وقد زار المهراجا رنجيت سينك مرة أحد الدراويش المدعو شاه عبد الرحمن فعرض عليه استمداده

---

(١) درويش كلمة فارسية معناه فقير .

ليحقق له مطلباً بيد انه طلب اليه ان لا يزوره مرة اخرى فكان مثله مثل ديوجانوس السكابي حينما قال له اسكندر الكبير هل يستطيع ان يقوم له بخدمة فقال للفاتح اتركني أتمتع بنعمة الشمس.

الشيخ نور الدين

لعل الشيخ نور الدين هو أول مرشد يقوم بنشر الاسلام في كشمير من الوطنيين ولد الشيخ في سنة ٧٧٩ هجرية الموافقة سنة ١٣٧٧ ميلادية في يوم عيد الأضحى في قرية « كيموث » الكائنة على بعد ميلين عن قرية « بيج بهارا » في غربها وعلى بعد ٢٨ ميلاً في جنوب غربي سرينا گار كان أبوه الشيخ سالار الدين وامه « سادرة موجى » أو « سادرة دادي » — و « موجى » تعني في كشمير « ام » و « دادي » تعني « كبيرة » - وقد عرفا بالزهد والتقى . وكان سالار الدين منحدراً من اسرة كشتوار المالكة أسلم على يد « الريشي ياسمان » فدعي سالار الدين بعد ان كان اسمه « سالارسانز » وكانت زوجته « سادره » من اسرة من الراجبوت ذات مكانة مرموقة وكان قد توفى زوجها فاتصل بها « الريشي ياسمان » وزوجها بسالار الدين بعد ان اسلمت هي الاخرى .

وعندما ولد الشيخ فنشأ كان الجو مساعداً لتدريسه وتربيته تربية دينية إذ كان قد جاء كشمير السيد حسين السمناني ثم جاء الشاه همدان وغيره من السادة . وقد حاول اخوته من أبيه ان يصرفوه عن الدين الى التجارة أو الصناعة بيد انهم فشلوا إذ لم يكن مخلوقاً لها . وفي الثلاثين من عمره اعتكف في كهف وأخذ يتعبد ويجوب البلاد بنشر الاسلام وقد خرّج في نفس الوقت عدد من المريدين الذين تولوا العمل بعده وكان ابرزهم الشيخ ناصر الدين والشيخ بام الدين والشيخ زين الدين والشيخ لطيف الدين وقد توفى في الثالثة والستين من عمره في عهد السلطان زين العابدين في سنة ٨٤٢ هجرية المصادفة ١٤٣٨

ميلادية ودفن في «شرار شريف» في البلدة الصغيرة الرابضة على تل يبعد ٢٠ ميلا عن سرينا كار في جنوبها الغربي . ويزور ضريحه ألوف الناس كل عام . وقـــد روي انه عاش عيشة بسيطة جداً منقطعاً عن تناول اللحوم والاطعمة اللذيذة مكتفياً بالقليل البسيط جداً . وقد يكون هو الزاهد الوحيد في الدنيا يحظى بتقدير ملك فتضرب النقود باسمه اجلالا وتعظيماً وهذا ما فعل عطا محمد خان حاكم الافغان في سنة ٢٥ ـ ١٢٢٣ هجرية الموافقة ١٠ ـ ١٨٠٨ ميلادية .

وقد جاء في بعض المؤلفات ان الشيخ بام الدين والشيخ لطيف الدين والشيـخ زين الدين الذين خلفوه في نشر الدعوة الاسلامية كانوا غير مسلمين أسلموا على يده ثم تتلمذوا عليه . وكان اسم الاول منهم « بهيا ماذى » وعلى رواية « بهيا جاهى » فاصبح بعد الاسلام بام الدين وكان الثاني هندوكياً موظفاً في (مرفا واردان) وقد اسلم بعد جدل طويل مع الشيخ نور الدين وكان الثالث يدعى زيا سينك من كشتوار قتل ابوه من قبل أعدائه وقد تولى امره الشيخ نور الدين فاهداه الى الاسلام .

الشيخ شمس الدين العراقي

انتعشت حركة التبشير بالاسلام وزادت قوة عند ما وصل كشمير في سنة ١٤٥٠ م الشيخ شمس الدين محمد الاصفهاني المشهور بالشيخ شمس الدين العراقي . كان واعظاً في « طاليش » الكائنة في شمال ايران على شاطىء بحر خزر في منطقة كيلان التي استولت عليها روسية في سنة ١٨١٣ م . أبوه ابراهيم وامه علوية من اسرة السادة القزاونة وقد استطاع الشيخ شمس الدين أن يهدي الى الاسلام عدداً كبيراً من غير المسلمين في كشمير .

جاء عنـــه في التاريخ الرشيدي للمرزه حيـدر دوغلات ان الشيخ شمس الدين جاء من العراق الى كشمير مباشرة في عهد السلطان فتح شاه فاهتدى بارشاده عدة آلاف من غير المسلمين وقد نسب اليه وضع كتاب حاول فيـــه

التوفيق بين السنيين والشيعيين وانشاء مذهب « نوبخشي » ولكن نفى عنه بعض المؤرخين هذه النسبة مع وجود فرقة النوربخشيين في بالتستان .

وقد جاء ان السلطان فتح شاه سلمه جميع الاموال المصادرة للدولة وقد استطاع أن يدخل « الشاك » في حضيرة الاسلام .

والشيخ شمس الدين مدفون في محلة « جاري بال » في مدينة سرينا گار وقد انشأ له ضريح فخم في عهد السلطان أمام شاه يدعى ضريح « الشيخ العراقي » يقدسه ـ على ما يقول الدكتور صوفي ـ الشيعة الذين يميلون الى المدرسة العراقية « Pro-Iraqi Party »

الشيخ حمزة المخدوم

هذا أيضاً من الشيوخ الوطنيين ولد في ٩٠٠ هـ المصادفة ١٣٩٤ م أبوه عثمان من اسرة « جاندرافانجي » الراجبوتية . درس القرآن في قريته « تيجر » ثم ارسل الى بابا اسماعيل الكبروي السهروردي وكان مدرساً في مدرسته المعروفة بدار الشفاء الواقعة في سفح « كوه ماران »[1] فالتحق بها ودرس التفسير والفقه والعقائد ثم درس التصوف وما يتصل به من علوم .

وقد ساهم في تدريسه الاخوند الملا لطف الله والملا فتح الله الحقاني وهو ابن بابا اسماعيل الكبروي .

بعد ان أتم تحصيله أخذ يرشد الناس ويعمل على نشر الاسلام فالتف حوله المريدون والطلاب وأصبح قوة يحسب لها حسابها لذلك اعتقله الغازي شاه شاك في عهد حكمه فابعده الى قرية (بيرو) التي تبعد عشرين ميلاً عن سرينا گار ولم يعد الى المدينة إلا بعد وفاة غازي شاه . وقد عمل الشيخ حمزة في حياته على زيادة انشاء المساجد والجوامع وقد توفى في ٨٤ من عمره في سنة ٩٨٤ هـ الموافقة ١٥٧٦ م وقد دفن في محل مدرسته في سفح كوه ماران وفي عهد المغول انشأ

---

(١) « كوه ماران » بالفارسية تعني جبل الثعابين .

له النواب عنايت الله خان (الصبدار) ضريحاً في سنة ١١٢٥ هـ (١٧١٣ م) وقد جدد بناءه الشيخ غلام محي الدين في عهد السيخ وعند ما تزهر أشجار اللوز يزحف الوف من الناس لزيارة قبره .

الشيخ فريد الدين القادري البغدادي

زاد الاسلام قوة في عهد المغول وكثر المهتدون على أيدي فريق آخر من العلماء والفقهاء الذين جاؤا الوادي . وكان أبرز اولئك السيد شاه فريد الدين القادري البغدادي حيث أسلم على يده « الراجا جايا سينك » ملك الراجبوت في كشتوار في عهد الامبراطور اورنكزيب وقد دعي جايا سينك بعد اسلامه « بختيار خان » وأعقب اسلامه اسلام رعاياه جملة واحدة .

والشيخ فريد الدين هو السيد محمد فريد الدين ابن السيد مصطفى سليل الشيخ عبدالقادر الجيلاني قدس الله سره . ولد في بغداد سنة الف هجرية الموافقة (١٥٥١ ميلادية) وبعد ان أتم دراسته في بغداد قصد مكة لاداء فريضة الحج والتقى هناك بالشيخ جلال الدين المغربي ثم ذهب الى مصر فاتصل بالشيخ محي الدين القادري وقد عاد الى بغداد بعد سياحة طويلة قام بها في الأقسام الغربية من البلاد الاسلامية ثم قصد السند ليزور الاقسام الشرقية من البلاد الاسلامية. ومن السند ذهب الى (آ كره) ثم الى دلهي في اواخر أيام الشاه جهان . وعندما ارتقى (الراجا جايا سينك) عرش كشتوار في سنة ١٦٧٤ ميلادية قصد الشيخ فريد الدين الوادي وهو في الخامسة والسبعين من العمر . وكان يصحبه في هذه الرحلة الدرويش محمود والشاه عبدال والسيد بهاء الدين السماني ويار محمد فاخذوا يعظون الناس ويرشدونهم الى الاسلام . ويقول بعض المؤرخين ان « كرامات » الشيخ فريد الدين هي التي كانت سبب اسلام جايا سنيك وقد تلاه اسلام كيراط سينك في ١٦٨١ م على أثر توليه الحكم خلفاً لجايا سنيك ودعاه الامبراطور اورنكزيب « سعادة يار خان » في سنة ١٦٨٧ فعين الحافظ أبو القاسم القريشي

الاكبر آبادي ابن غياث الدين شيخاً للاسلام في كشتوار وقد تبع قيراط سينك بقية الرعية . وحول المعبد الكائن في وسط مدينة كشتوار الى جامع دفن فيه الشيخ فريد الدين مع ابنه الصغير انور الدين . وقد دفن ابنه الاكبر اسرار الدين في الجانب الآخر من المدينة في مرج كشتوار الواسع . وكان قد توفى هذا في الثامنة عشرة من عمره في ١٠٩٧ هجرية اما ابنه الثاني اخيار الدين فقد بقي الى ما بعد وفاة أبيـــه . وتلقى أخبار العلم في (باتالا) التابعة لكرداسبور في البنجاب من السيد بدر الدين « ديوان مسانيان » وكان من أشهر علماء زمانه ثم اتصل بعلماء لاهور وسيالكوت ودلهي فانتهل من منـــاهل علمهم المزيد ثم عاد الى كشتوار وأخذ يعمل على نشر الاسلام . وتوفى اخيار في ٧ ذي الحجة ١١٣٨ ه المصادفة ١٧٢٥ م .

كان عهد السلطان اسكندر من العهود التي انتشر فيها الاســلام انتشاراً واسعاً في كشمير ولكن بعض المؤلفين الهندوكيين خاصة الصقوا به تهمة اضطهاد الاديان الأخرى تعصباً ولكن لا تقوم الادلة على ذلك سوى ان المعروف عنه أنه حطم بعض الاصنام التي كانت يعبدها الهندوكيون فدعي « بت شيكان » أي محطم الاصنام .

ويتهم الامبراطور اورانكزيب أيضاً بتهمة تخريب المعابد غير المسلمة فان البراهمين الذين يصحبون السواح الاجانب يقولون لهم ان المعابد الهندوكية في اعالي نهر جيلوم هدمت من قبل السلطان اسكندر والتي في جنوبها هدمت من قبل اورنكزيب .

لا شك ان من يزور كشمير يجد كثيراً من المعابد البرهمية والبوذية مخربة ولكن لا يعزى هذا الى عهد انتشار الاسلام قدر ما يعزى الى القتال التاريخي بين البوذية والبرهمية قبل انتشار الاسلام بعصور . ولمـــا انتشر الاسلام في كشمير فأخذ الناس يقبلون عليه افواجاً افواجاً انهم هم انفسهم قلبوا معابدهم القديمة الى جوامع ومساجد ويروي بعض المؤرخين ان « مالك سهابهاتا » وزير

السلطان اسكندر الذي أسلم خرب بعض المعابد يوم كان اسكندر طفلاً إذ أنه ارتقى العرش في طفولته . فقد جاء في كتاب السير تي . دبليو آرنولد الموسوم «الهداية الى الاسلام» ما يأتي : قام سهابهاتا بافظع ما عرف من ضروب الاضطهاد لابناء دينه القديم وربما فعل ذلك للمبالغة في اظهار غيرته على دينه الجديد وقد ذكر « رانجيت سيتارام بانديت » ان السلطان اسكندر كان متزوجاً بسيدة هندوكية وكان واسع الصدر مع رجال الاديان الاخرى كما كان شأن اسلافه ولكن وزيره الهندوكي الاصل سهابهاتا كان شديد الكره لابناء دينه القديم فأنزل عليهم جام غضبه .

وقد ذكر ان سيد محمد الهمداني شجب عمله فذكره بالآية الكريمة « لا اكراه في الدين » .

وقد اسلمت قبائل « خاخا » و « هاتغال » الراجبوتية التي تسكن على ضفاف جيلوم اليسرى بين براmولا وكوهالا في عهد السلطان زين العابدين وقد عهد السلطان الى زعمائهم بالمناصب العالية في قصره وأقطعهم الاراضي .

استمر الهندوكيون على تقبل الاسلام في جميع الادوار التي تلت ما تقدم فقد كان الهندوكيون يسلمون على قارعة الطريق كلما مر شيخ او درويش او ملك مسلم فقد أسلم كثيرون في عهد الاباطرة المغول الذين كانوا يجوبون البلاد في تفقد أحوالها وقد ساعد العهد الافغاني أيضاً على نشر الاسلام ، ومما يذكر ان برهمياً من الراجوار انتقل الى سوفارا بقرب سرينا كار فاسلم على يد المير عبد الرشيد البيهقي في سنة ١١٨٠هـ المصادفة ١٧٦٦ ميلادية ودعي يومذاك الشيخ عبدالله وهو الجد الاعلى للشيخ محمد عبدالله الزعيم الكشميري الذي قبل – مع الأسف – أن يتعاون مع الهندوكيين فيمثل دور كويزلينغ في الدوج في الحرب العالمية الثانية .

ولم يتوقف الاقبال على الاسلام حتى في عهد الدوگرا في كشمير فقد أسلم في هذا العهد السردار يام سينك أحد تحصيلدارية كشمير .

ان انتشار الاسلام في كشمير بالصورة التي استعرضناها آنفاً ليس بالشيء الذي يستكثر على الاسلام فقد حمل الاسلام الى كشمير الدين السمح القائم على أسس العدالة والمساواة بين الناس ، فقد أزال مبادىء نظام الطبقات الهندوكية وأحل الاخاء والمودة بين الناس بدل التنازع والتنافس وأصبح الواحد ينظر الى الآخر نظرة الند للند بعد أن كان الواحد يتقزز من الآخر او يسجد له ، كذلك وجههم الى عبادة خالق ازلي أوحد فحررهم من الشرك وعبادة الاوثان ونظم حياتهم الدنيوية والاخروية بنظام متين قوامه القرآن والحديث .

قد يكون من المناسب أن نأتي ببعض أقوال الباحثين في حقيقة ما وجد الهندوكيون في الاسلام من العوامل التي حملتهم على تقبله ملوكاً وامراء وكبراء وقبائل وافراداً .

قال السير هربرت ريزلي[1] « الاسلام قوة بركانية تصهر وتسبك فتخلق شعباً عندما تؤاتي الظروف . يذيب الاسلام سلسلة من القبائل ثم يعود فيوجد منها كتلة متماسكة بعد ان يزيل خلافاتها الداخلية فيجعل منها شيئاً جديداً متسجماً لا يبقى على شيء من العوائد القديمة وتزول الفروق التي تفصل بين الطبقات وتتحطم الصفات المتحجرة فلا يبقى لها أثر معروف ويحتل مكانها مجموعة من النصوص الشرعية والتقاليد المتينة .

أما الهندوكية فهي نوع من التعبد الرمزي الذي يحتار في تفسيره العقول . انها تستند إلى فلسفة ذات تعاليم خفية لا تعترف لا بالاهتداء الحر طوعاً ولا بالاهتداء الالزامي ولكن لها طريقتها الخاصة المنطوية على كثير من الغش والخداع ولا يمكن ان تعلل هذه الطريقة او تفسر بوجه ما . وهي تترك المجتمع على حاله دع عنك صهر عناصره شأن الاسلام . ومن شأن الهندوكية

---

(١) في كتابه « شعب الهند » THE PEOPLE OF INDIA الطبعة الثانية سنة ١٩١٥ صحيفة ٢١٧

تعديد الطبقات الى مالا نهاية له . وكل قبيلة تدخل دائرة الهندوكية الساحرة لا تستطيع الا ان تلبس عوائدها الاصلية حلة براهمية ومن مساوىء الهندوكية انها تجيز الزواج بالطفلات بغض النظر عما يرافقه من ويلات وانهـا تمنع زواج الارامل ولا تقبل الطلاق رغم ان للطلاق دوراً هاماً في المجتمعات القبلية »

لقد جاء في كتاب الهند والديموقراطية[1] « ان الهندوكيين الذين نشئوا مبادىء الطبقات من طفولتهم يعتبرون عدم المساواة بين البشر حقيقة ثابتـة لا يمكن الرجوع عنها اما الاسلام فعلى العكس دين المساواة والعدالة التي رضخ لها حتى الملوك . »

وسواء اعتبرنا الهندوكية عبادة وثنية مشركة أم لم نعتبرها فانها تنطوي على أبشع انواع العبادات بعكس الاسلام الذي يعمل دوماً على فضح الاباطيل وبالرغم من تظاهر الهندوكية باهتمامها بامور الدنيا انهـا تميل الى التقشف والخوف من الآخرة اما الاسلام فبالرغم مما تنطوي عليه مذاهبه من الزهد هو دين يشجع على التنعم بنعم الحياة . ان الناحية العاطفية في الهندوكية تنص على الراحة بينما يحض الاسلام على العمل رغم « القسمة »[2] والهندوكية تميل الى الزخرفة والاغواء والاسلام بسيط مجرد من الزخرفة »

---

(١) الف هذا الكتاب السيد جورج شيستر عضو مالي سابق في حكومة الهند بالاشتراك مع كاي وينت سكرتير بعثة عصبة الامم الاقتصادية الى الصين طبع في لندن سنة ١٩٤١ .

(١) يظهر ان الكاتب يقصد « القدرية » .

آخر صحيفة في سفر الحكم الهندوكي

اسلام ثم ردة موقتة

رأينا فيما تقدم ان الحكم الهندوكي في كشمير انتهى بانتهاء حكم الراجا ساهاديفا إذ اختل نظام الادارة وانتشرت المفاسد بين الشعب بعد أن رأى تحلل مليكه من الضوابط الاخلاقية وارتماءه في أحضان الرذيلة . وقد أدى هذا الوضع الى ترجرج مالية الدولة وانهيار اقتصادياتها ومن ثم تدهور البلاد تدهوراً عاماً .

ومثل هذه الأوضاع لابد وان تثير مطامع الطامعين ففي أوائل القرن الرابع عشر جاء « ذولجه » أو « زولجو » كما يدعوه المؤرخون الكشميريون على رأس قوة مؤلفة من ٦٠ ألف فارس فدخل كشمير من طريق (زوجي ـ لا) في اخريات أيام حكم ساهاديفا . وقد جاء عن ذولجه في المصادر التاريخية المختلفة انه كان قائد الملك المظيم كارماسينا . وكان سهاديفا من الجبن بحيث لم يستطع الوقوف بوجه « ذولجه » فقد وجد السلامة في الهرب وأصبح ذولجه سيد الموقف وأخذ اتباعه بنهب الشعب وارهاقهم فقد عانت المدن والقصبات والقرى من الظلم ما لا يمكن وصفه . وعانى السكان من التقتيل والتشريد والاستعباد مالا يدخل تحت حصر . فقد وضع السيف في رقاب السكان دون رعاية عمر أو جنس وأخذ الاقوياء من الرجال للخدمة الالزامية فلم يكن ظلم ذولجة وفتكه بأقل من ظلم جنكيز وهولاكو وبطشهما .

كان ذولجة في كشمير في سنة ١٣١٩م وكانت هذه السنة من البرودة بحيث لم يستطع المعتدي الظالم تحملها . فلم يجد وسيلة للتخلص من البرد والجوع إلا بالهرب وقد وصف غزوة ذولجه البانديت بير بال كاشور قائلاً :

« جاء فنهب وقتل وغصب ثم خرج »

لم يستطع المؤرخون حتى اليوم تشخيص هذا السفاك . فقد قال بعضهم انه تركي وقال آخرون انه مغولي أو تاتار وقد دعاه البعض « ذو القدر خان » ولكن لم يقرر أحد هويته بالضبط وبقي الاعتقاد السائد أنه كان بوذياً من المون البيض .

بقيت كشمير بلا حكومة بعد ان غادرها ذولچو وكانت النتيجة الطبيعية انقسام البلاد ورضوخ كل قسم لسلطان رئيس محلي . وفي هذا الدور يظهر « رينچانا » على المسرح .

كان « سهاديڤا » رغم انانيته على قدر كبير من السخاء يتحلى بفضيلة الكرم والاحسان واغاثة الملهوف . فخلال حكمه الذي دام ١٩ سنة و٣ أشهر و٢٥ يوماً دخل مملكته شخصان لعبا دوراً هاماً في تاريخ كشمير الاسلامي وقـد اكرم وفادتهما واقطعهما الاراضي ليتمكنا من العيش في بلاده .

كان أحد الاثنين « لانكار شاك » جد « اسرة شـاك » الملكية التي خلفت سلاطين اسرة « شاه مير » في حكم كشمير . كان هذا من « الداردين » في شمالي كشمير وقد حدث نزاع بينه وبين أخيه أدى الى القتال ولما اندحر أمام أخيه لم يجد بداً من الالتجاء الى كشمير فوجد فيها الأمن والاطمئنان والعناية الكريمة . وكان الثاني « شاه مير بن طاهر » وقد جاء من « باچا كاهڤرا » وقد عيّن المسيراور ل ستين هذا المحل في الوادي الكائن بين « بوديل » و « راجوري » وبـعـيـن من سيول « بانچا كاهڤرا » ولـكن بعض المؤرخين قالوا انه في « سواد » أو « سواد كبير » . كذلك كان موضع حفاوة « سهاديڤا » ونال منه « قرية »

وبينما كان ذولچو يغزو كشمير دخلهـا رجل آخر من نفس الطريق الذي جاء منه ذولچو أي من ممر « زوجي ـ لا » الذي يوصل بين لاداخ وكشمير ويؤدي الى الصين . كان هذا رينچانا سليل الاسرة المالكة في لاداخ[1]

---

(١) انظر خريطة ولاية الحدود .

وقد جاء وادي كشمير على رأس أنصاره وأعوانه وقوة من جيش ابيه الذي قتله الوجهاء الثائرون . وقد ذهب بعض المؤرخين الى كونه شريك ذولچه في الغزو .

وقد رأينا ما ساد البلاد من انحلال وتدهور قبل مجيء « ذولچه » ثم رأينا هرب الملك سهاديفا فلم يبق أمام « ذولچه » سوى « رام چاندرا » القائد العام وهذا أيضاً لم يجرأ على مقاتلة الغازي مكتفياً بالاعتصام في قلعة « گاگانگير » فلما خرج ذولچه وبقيت البلاد بلاحكومة وانقسم الشعب كانت الفرصة مؤاتية لارتقاء رينچانا العرش بعد ان كسب الانصار وأحبه الشعب وقد فعل ذلك ولكن القائد رام چاندرا لم يعترف به وبقي ملازماً قلعته يحاول مقاومة الملك الجديد بيد ان رينچانا لم يكاشفه العداء . ومع اتخاذه التدابير العسكرية ضده لم يهاجمه الا بعد ان بعث بكشافته من التبتيين الى معسكره متخفين بزي التجار فأخذوا يبيعون بضايع رخيصة هناك ويتعرفون في نفس الوقت على الأوضاع . ولما تمكن من ازالة شكوك القوم في رجاله أوعز الى المتسللين بالقيام بثورة في داخل المعسكر عندما تصل قواته جدران القلعة واستطاع بهذه الطريقة ان يقبض على رام چاندره فيذبحه وان يعتقل ابنه « روانچاندرا » وهكذا أصبح رينچانا في سنة ١٣٢٠م ملك كشمير من غير منافس او منازع . ثم تزوج « كوتا » ابنة رام چاندرا فجعلها ملكة وعين ابنه روانچاندرا قائداً واقطعه تيبت الغربية « ولار » فانتزع من نفسه روح الحقد والانتقام .

وقد رزقت زوجته « كوتا » ولداً دعاه « حيدراً » في عهد اسلامه .

اشتهر رينچانا بالعقل والحكمة والعدالة وعمل الخير ، فانه لم يتأخر من انزال العقاب بأقرب الناس اليه اذا ما أساء الى أحد الناس أو غصب حقاً . فكان عهده عهد انشاء واصلاح وامن وسلام لم يقلقه سوى فوضى المذاهب والاديان وانقسام الشعب على نفسه بدوافع الخلافات الدينية وتعصب البعض الى الآخر . لذلك فكر في جمع شعبه تحت راية دين واحد فيه من المزايا ما يحبب للجميع

ويعاشي الحياة فيذال مساوىء المجتمع فقد رأى أول الامر ان يسترشد برجال الدين الهندوكيين بيدانه بعد ان سمع تعاليمهم لم يجد لديهم ما يقنعه بصلاح عقائدهم وكلما اتصلوا به وحاولوا جذبه اليهم لم يزدد الا ريبة وجحوداً وقد وجد أخيراً نفسه في مأزق حرج لابد من الخروج منه فأخذ يتعبد ويتضرع الى الله ان يلهمه الرشد وان يهديه الصراط المستقيم .

بتأثير هذه الحيرة والخوالج حلم ليلة بأنه سيجد مخرجاً من مأزقه لدى رؤيته أول شخص في الصباح . ولما كان الصباح وقف في شرفة قصره الملكي يتطلع الى ما حوله «فرأى شيخاً قد اتجه الى الغرب يتعبد بشكل لم يعهده الملك . فقصده رينجانا وسأله اسمه ودينه ونبيه ، فقال له :

اسمي عبد الرحمن والاسلام ديني

اعبد الله الواحد الاحد لا شريك له

واتبع نبياً نسخت رسالته كل رسالة جاءت قبله[1] »

وكان هذا « بلبل شاه » الذي مر بنا ذكره ثم أخذ الشيخ يتلو عليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبويه ويشرح له تعاليم الاسلام وقد تأثر الملك بما سمع من الشيخ فانشرح قلبه للاسلام وتقبل هذا الدين الحنيف قبولاً حسناً في سنة ٧٢٠ هجرية المصادفة ١٣٢٠ ميلادية ودعي « صدر الدين » وكان الملك المسلم الأول في كشمير .

ويصادف هذا العهد حكم السلطان غياث الدين طوغلق شـاه في دلهي وسميه في هرات . وحكم ابو سعيد المتولي الايلخاني في خراسـان بين ١٣١٧ و١٣٣٤ ميلادية وحكم السلطان ناصر في مصر وحكم ملوك الطوائف في الاندلس والملك ادور الثاني في انكلترة وچارلس الرابع في فرانسه ولودفيك البافاري في المانية وروبرت الأول في اسكوتلنده وقد تولى كرسي البابابوية بنديكت الثاني عشر على أثر وفاة جون الثاني والعشرين .

---

(١) الدكتور صوفي في كتابه « كشير »

وقد دخل الاسلام أخو زوجته وقائده العام روانچاندرا بعد اسلام رينچانا وتبعهما كثير من أفراد اسرته والاعيان والوجهاء فلم تمض سنتان إلا وقد أسلم عدد كبير من السكان .

توفي السلطان صدر الدين بعد حكم دام ثلاث سنوات وشهر و ١٩ يوماً في ٢٥ تشرين الثاني ١٣٢٣ م (سنة ٧٢٣ هجرية) وقيل انه مات باصابة برد شديد . وقد ترك بعد موته طفله حيدر خان وزوجته كوتا التي يعتقد انها بقيت تخفي عقيدتها الهندوكية طوال وجودها معه .

وتولى مستشاره ووزيره ميرشاه تربية ولده بناء على وصية السلطان المتوفى وقد عهد الى امه « كوتا » بوصاية العرش خلال طفولة ابنها حيدر .

كوتا تعيد الحكم الهندوكي

بعد ان تولت كوتا وصاية العرش استدعت « اوديانا ديڤا » أخو زوجها الملك « ساهاديڤا » الذي تزوجته قبل الملك صدر الدين وكان اوديانا ديڤا هارباً الى قندهار منذ هجم ذولچو على كشمير ومع ان الدين الهندوكي لا يبيح زواج ارملة اخ بأخ آخر تزوجت كوتا اوديانا ديڤا وأجلسته على العرش ولكنه لم يكن جديراً بالملك لجبنه وحمقه لذلك كان ملكاً بالاسم فقط أما الحكم الحقيقي فكان بيد الملكة « كوتا » يساعدها شاه مير وبهيكشانا : الاول وزيراً والثاني قائداً وقد تعرضت كشمير في هذا العهد إلى هجوم جديد قام به « اوروان » على رأي بعض المؤرخين و « اورديل » على رأي بعض و « آچالا » على رأي آخرين . وكانت النتيجة فرار الملك « اوديانا ديڤا » الى تبت الغربية أو لاداخ تاركاً وراءه الملكة تتخذ تدابير الدفاع .

وقد وجهت الملكة نداءاً إلى الشعب تدعوه فيه الى الدفاع وتذكره بمآسي غزوة ذولچو وقد نشط الشاه مير فعبأ الجيش واضطر العدو الى الانسحاب .

وبعد ان خرج العدو عادت الملكة كوتا فدعت الملك اوديانا ديڤا للعود

الى العرش رغم ما اقترف من عار الهرب . وقد دام حكمه الاسمي ١٥ عاماً وشهرين ويومين اذ هلك في سنة ١٣٣٨ وعلى أثر ذلك تولت الملكة كوتا الحكم مباشرة .

الملكة « كوتا » أو « كوتارانى »

بعد ان تولت كوتاراني العرش نقلت العاصمة الى قلعة « اندار كوت » وعينت بهيكشانا رئيساً للوزراء وعزلت ميرشاه الذي كان اكبر مساعد لها على ادارة الحكم وانقاذ البلاد من الغزاة كما كان في زمن الملك صدر الدين ويظهر انها فعلت ذلك اذ أحست بقوته وزيادة نفوذه في البلاد خلال ٢٥ سنة قضاها فيها منذ أتاها لأول مرة في عهد الملك « سهاديڤا » . وكانت نتيجة هـذا العمل الطبيعية ثورة الشاه مير وهو يرى الملكة تتناسى خدماته واخلاصه للعرش طوال الوقت فتتعمد اهانته بعزله .

ولكنه لم يشهر الحرب عليها قبل ان ينذرها . فارسل اليها يدعوها الى الاقتران به ولكنها استخفت بهذا الطلب وردت عليه بالرفض مقروناً بالازدراء . بعد ان تلقى مير شاه هذا الرد سار الى قلعة « اندركوت » على رأس جيش قوي وبحركة عسكرية سريعة قبض على رئيس وزرائها بهيكشانا فاعدمه ، تلا ذلك انصراف الاعوان والانصار عن الملكة والتفاف الشعب حول شاه مير . فلم تجد بدآ من الرضوخ لحكمه ووضع نفسها طوع اشارته وارادته بأمل ان تصبح ملكة للمرة الرابعة فتكسب حياتها مدة اخرى من الزمن .

ولكن « شاه مير » لم يكن مغفلاً شأن أزواجها الذين وضعوا لها مجال الحكم والسلطان فلم يتقبلها زوجة سوى ليلة واحدة مليئة بالازدراء والتقريع ثم بعث بها الى السجن . ويقول بعض المؤرخين انها انتحرت في السجن ويقول آخرون انها قتلت ولكن المعقول المقبول هو انها ماتت في السجن موتة طبيعية وبموتها انتهى عهد الردة عن الاسلام وانتقل الحكم الى سلالة شـاه مير التي حكمت كشمير نحو ٢٠٠ عام .

السلطان شمس الدين

من سنة ٧٤٠ الى ٧٤٣ هجرية المصادفة

من ١٣٣٩ ميلادية الى ١٣٤٢ ميلادية

ارتقى العرش شاه مير باسم السلطان شمس الدين في سنة ٧٥٣ هجرية (١٣٥٢ م) على رواية المؤرخ مالك حيدر (وفي سنة ٧٤٣ هجرية (١٣٤٢ م) على رواية الباندت بيربال كاچرو . وقد ذكر هذا المؤرخ انه توفى في سنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦ م) ولم يذكر بعض المؤرخين تاريخ وفاته مكتفين بالقول انه حكم ثلاث سنوات وخمسة أشهر فاذا علمنا ان كوتاراني خلعت في سنة ١٣٣٩ ميلادية نستطيع القول بانه ارتقى العرش سنة ٧٤٠ هـ المصادفة في تلك السنة الميلادية . ويعتبر هذا التاريخ اول عهد تأسيس الدولة الاسلامية الثابتة في كشمير من الوجهتين الدنيوية والدينية بعد ان قضي على ردة الملكة كوتاراني ويعتز الكشميريون بهذا العهد لأنه انقذ كشمير من الاعتداءات الخارجية وأقام دعائم استقلالها وصرح حريتها . يعزى كل ذلك بلا شك الى السلطان شمس الدين (شاه مير) اذ لو لم يقم بذلك لكانت كشمير ولاية تتبع الحكومة الطغلقية في دلهي . وقد حكم خلفاؤه الذين دعوا بالشاهميرية مدة قرنين حافظوا خلالها على استقلال كشمير .

فضلا عن السلام الذي ساد كشمير في عهد السلطان شمس الدين سادها الاستقرار الداخلي أيضاً . وقد استرجع الأهلون ما اغتصب منهم من أموال في العهود الماضية وعمرت المنشآت التي خربها ذولجو وفرضت ضريبة الارض بنسبة سدس الحاصل وابتكر التاريخ الكشميري الشمسي - القمري من تاريخ اسلام رينچانا في ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) وقد بقي هذا التاريخ معمولاً به بصورة رسمية

يدون على الرسائل والقبور الى عهد مجيء المغول الى الوادي سنة ١٥٨٦م ولكن رغم الغاء هذا التاريخ رسمياً لا يزال يستعمله بعض الملاكين الاقطاعيين في كشمير .

وقد وجه السلطان عنايته الى اسرتين هما اسرة « الشك Chacks واسرة مارجه‌شا Margesha ولعلها اسرة « ماگره » التي لعبت هي واسرة الشاك دوراً خطيراً في تاريخ كشمير الاسلامي ولا سيما في عهد اسرة « الشاه ميرية » .

وقد أثنى ولزلى هيك Wolesley Haig مؤلف تاريخ الهند على السلطان شمس الدين قائلاً : « انه استخدم ما كسب من سلطان وقوة بأساليب حكيمة عادت على البلاد بالنفع الجزيل . لقد كان الملوك الهندوكيون ظالمين جائرين نهجوا مع رعاياهم نهجاً مفضوحاً لا يترك لهم سوى ما يسدون به الرمق أما حكم السلطان فكان قائماً على اسس مبادىء منطوية على أوفر نصيب من الحرية . »

وجاء عنه في « تاريخ هادى » بالفارسية :

در عدالت موشكافي كرد شاه شمس الدين
بود اندر شغل حق اوبى نظير وبى قرين

أي : كان السلطان شمس الدين بارعاً في اقامته العدل ولم يكن له نظير أو شبيه في احقاق الحق .

كذلك مدحه الخواجة نظام الدين احمد في كتابه « طبقات اكبرى » قائلاً :

رايت بادشاه دين پرور	سايه افگند برجهان يكسر
مسرعان فلك رسانيدند	خبر عدل او بهر كشور
قالب فتنه گشت زار وزار	خانهٔ ظلم گشت زير وزبر

أي : راية الملك حامي الدين ، القت ظلها على الدنيا كلها
فنقل رسل السماء أنباء عدله الى كل البلاد .

وقد ضعف هيكل الفتنة وخف . واندك صرح الظلم رأساً على عقب .

كانت وفاته في سنة ٧٤٣ هجرية الموافقة سنة ١٣٤٢ ميلادية في الثمانين من العمر وأرخ وفاته بالشطر التالي :

« آمده شمس باز زير سحاب »

أي : ثم توارت الشمس تحت السحاب .

السلطان جمشيد

خلف السلطان شمس الدين ابنه الاكبر جمشيد في سنة ٧٤٣ هـ ولكنه لم يبق على العرش فخلع في نفس السنة على أثر اندحاره أمام أخيه الأصغر علي شير الذي ارتقى العرش باسم السلطان علاء الدين .

السلطان علاء الدين

حكم السلطان علاء الدين ١٢ سنة و ٨ أشهر و ١٣ يوماً ، منصرفاً إلى إصلاح الشؤون الداخلية وازالة البؤس الذي خلفته غزوتا ذولجه وآچالا . فأخذ السكان الذين هربوا من بلدانهم بالعودة اليها ومزاولة أعمالهم فيها فانتعشت الحالة الاقتصادية بازدياد ثقة السكان بالحكومة واطمئنانهم إلى قوتها وعدالتها . ومما يذكر انه سن قانوناً حرم فيه المرأة الفاجرة من ارث زوجها إن لم يكن لها ولد . وقد أنشأ ضاحية باسمه دعاها « علاء الدين پور » أصبحت محلة من محلات سرينا گار كذلك أنشأ صرحاً دعاه « بوذا كيرا » خصصه لراحة المسافرين وقد استعمله تجار « لاداخ » وبالتستان بصورة خاصة .

توفي السلطان علاء الدين في سنة ٧٥٥ هجرية الموافقة ١٣٥٤ ميلادية فترك وراءه ولدين هما سيامو ك (الذي أصبح السلطان شهاب الدين) وهيندال (الذي أصبح السلطان قطب الدين)

السلطان شهاب الدين

خلف أبوه على العرش تواً على أثر وفاته وكان اسمه قبل ان يتولى الحكم سياموك وهو مصحف من « شير ـ آشاماك » اي « الرضيع » أي « راضع اللبن الصغير » .

بدأ السلطان شهاب الدين أول ارتقائه العرش تنظيم الجيش وتقويته فقد اختار له الرجال الأشداء من الانحاء الجبلية : بونچ وراجوري وبودبل والمناطق الممتدة بين مظفر آباد وبرامولا وهي تدعى « كوهستان » أي بلاد الجبل وقد عين السيد حسن بهادر ابن السيد تاج الدين الهمداني وزيراً للحربية وبعد ان اتم اعداد جيشه سار به الى خارج بلاده ليفتحها . وقـد استولى على تبت الكبرى (لاداخ) وتبت الصغرى (بالتستان) وكانتا محكومتين من قبل ملك كاشغر . ثم استولى على كشتوار وجمو . وبعد ان وطد النظام في البلاد التي احتلها سار على رأس جيش مؤلف من خمسين الف فارس ونصف مليون ماشٍ إلى البنجاب فأقام معسكره على ضفاف الاندوس وهنا قابله ملك السند الموصوف أو المدعو « جم » وبعد مقاومة عنيفة دحره فاستولى على بلاده . « وقد ردد البلدان المجاوران قندهار وغزنه[1] صدى هذا الاندحار الهائل نخشي ملكاهما ان يأتي دورهما بعد جم السند » وكان ذلك إذ أنه اتجه بعد هذا النصر إلى عاصمة قندهار «اوند» أو « اوهند » أو « ويهند » في طريقـه ودحر الافغانيين في پيشاور فقتل عدداً كبيراً من الذين قاوموه ثم توغل في مضايق جبل هندكوش وممراته المخيفة وهبط منها على كاشغر وبدخشان وكابل فاخضعها لحكمه .

« لم تكن افغانستان (على ما جاء في تاريخ أفغانستان للجنرال السير برسي سيكس) في معظم أدوار التاريخ إلا مجموعات من المقاطعات يحكمها رؤسـاء

---

(١) الملا عبد الحميد باقي النهاوندي في كتابه « مآثر رحمي »

ظالمون يقاتلون بعضهم . وكانت في بعض عصورها تابعة إلى امبراطوريات كبرى ثم اقتسمتها تركستان وايران والهند ولم تصبح حكومة مستقلة إلا في عهد السلطان أحمد الدّراني (من ١٧٢٤ الى ١٧٧٣ م) وقد استولى هذا على كشمير فانتقم بعد أربعة قرون من الكشميريين الذين احتلوا كابل في عهد السلطان شهاب الدين »

ولما عاد من هذه الغزوة اقام معسكره في السهول الكائنة على ضفاف « ساتلوج » حيث التقى في سنة ١٣٦٩م (٧٦٣هـ) بملك ناگاركوت وكان قد عاد من هجوم قام به على مملكة فيروز طوغلق حوالى دلهي ، فوضع ملك ناگاركوت كل ما اتى به من غنائم بتصرف السلطان شهاب الدين معترفاً له بالسيادة .

لقد اتسع نفوذ حكومة كشمير في عهد السلطان شهاب الدين فامتد الى يرقنـد والاى طاغ شمالا وما وراء هندكوش غرباً والى بحر العرب جنوباً واصبحت كابل وغزنة وقسماً من بخارى وقسماً من تركستان وبنجاب (بقسميها الشرقي والغربي الحاليين) وجميع السند تابعة إلى السلطان شهاب الدين .

ولم تشغله الفتوحات عن اعمار البلاد فقد انشأ مدينة لاچهمى ناگار في سفوح جبال هارى پاربات على اسم زوجته الملكة لاكشمي وانشأ بلدة شهاب الدين پور التي تدعى اليوم شاديپور كذلك انشأ الثكنات لاقامة جيوشـه واستأنف اصلاح الخرائب التي خلفها ذوالجو وآچالا اتباعاً لنهج والده . وقد عنيت حكومته بتقدير ضريبة الارض وجبايتها . وعني بنفسه بالادب والعلم والدين واصبح مريداً للشيخ تاج الدين الذي بعث به الشاه همدان . وكانت ادارته ادارة رشيدة تتسم بسمة العدل للجميع . ان رفضه العمل باقتراح رئيس وزرائه « اودايا جرى » القائل بأخذ المعادن الموجودة في معبد بودا الكبير وصهرها بغية صنع نقود منها من ابلغ ما يعبر عما انطوى عليه حكمه من التسامح مع الأديان الاخرى .

لقد كان السلطان شهاب الدين محبوباً في داخلية بلاده لما اتصف به حكمه من الرأفة والتسامح وما انطوى عليه من مبادىء انسانية وكان مرهوب الجانب في الخارج لمزاياه العسكرية وقدرته على الفتح . بيد انه رغم كل ذلك أخطأ مع ولديه حسن وعلي إذ حرمهما من وراثة العرش بتحريض بنت خالتهما « لاسا » التي تزوجها على امهما الملكة لا كشمى فاضطرهما إلى الهرب إلى دلهي ومع أنه استدعاهما قبل وفاته برسائل وجهها اليهما بخطه ولكنهما لم يرضيا بالعود فاناط ولاية العهد بأخيه الاصغر هيندال .

وقد توفى السلطان شهاب الدين بعد حكم دام ١٩ عاماً في سنة ٧٧٥ هجرية الموافقة لسنة ١٣٧٣ ميلادية .

السلطان قطب الدين

من ٧٧٥ إلى ٧٩١ هجرية = ١٣٧٣ إلى ١٣٨٩ ميلادية

تولى العرش بعد وفاة السلطان شهاب الدين اخوه الاصغر هيندال ولقب السلطان قطب الدين . وقد عطف على ابن أخيه الاكبر حسن خان شهاب الدين فاستدعاه واناط به ولاية العهد . وكانت الثورات والمؤامرات والدسائس فاتحة هذا العهد وقد ثار قبل الكل سكان لاهورا الجبليين وحينما بعث السلطان بجيشه لاخماد الثورة اندحر الجيش وقتل القائد .

وقد دبر « اودايا جرى » (رئيس وزراء السلطان شهاب الدين في اخريات أيامه) مؤامرة لخلع السلطان قطب الدين واجلاس ابن أخيه حسن خان على العرش ولكن لم تنجح المؤامرة إذ استطاع رجال السلطان القبض على اودايا جرى ثم قطع رأسه وهرب الامير حسن خان إلى خارج البلاد . وحل كشمير في سنة ٧٨١ مير سيد علي الهمداني للمرة الثانية (وقد مر بنا بحثه) فاستقبله السلطان بمظاهر التعظيم والاجلال وأصبح السلطان بتأثير السيد عالماً ومتصوفاً يقضي

معظم وقته في الصلوة والعبادة وقد نظم الشعر بتوقيع « قطب »

ولم يرزق السلطان قطب الدين حتى ادركته الشيخوخة ثم ابتهجت الاسرة بمولود سمي على قول الباندیت جوناراجا[1] « شرینا کا » وعلى قول مؤلف (الطبقات) « سیکار » ورأينا الباندیت جوناراجا يدعوه في محل آخر من كتابه « شاکانذارا » والظاهر ان هذه الاسماء كانت مصحفة من اسمه الحقيقي « اسكندر » وتلا هذا مولود آخر سمي هيبت.

وقد توفي السلطان قطب في سنة ٧٩١ هجرية المصادفة ١٣٨٩ ميلادية وقد ترك وراءه ولدين طفلين ، وتصادف وفاته الزمن الذي احتل فيه تيمورلنك بغداد .

السلطان اسكندر

من ٧٩١ إلى ٨٩٦ هجرية = ١٣٨٩ إلى ١٤١٣ ميلادية

توج السلطان اسكندر على اثر وفاة أبيه يوم كان الملك ريشارد الثاني ملكا على انكلترة ثم عاصر هنري الرابع وهنري الخامس وقد عملت امه « حوراء » على ادارة دفة الحكم خلال طفولته مستعينة بالوزراء والقواد وابدت في ادارتها من الحزم والقوة والحكمة ما اثار اعجاب اهل البلد وتقدير المؤرخين . وقد ظهرت قوتها ازاء المعارضين وعناصر السوء الذين كانوا يحوكون المؤامرات لاغتصاب العرش فقد ارهبتهم بالعقوبات الصارمة التي انزلتها بهم . وعندما ظهر لها ان الرأس المفكر للمؤامرات هو صهرها الشاه محمد لم تتأخر عن الفتك به وبزوجته ابنتها .

ولما بلغ اسكندر الرشد فتولى مهام العرش اعار الجيش جل عنايته . وقد

---

(١) مؤلف « ملوك كشمير »

برهن جيشه على كفاءة وفائقية عندما هاجم شمال غربي الهند في ١٣٩٥ ميلادية إذ استطاع ان يخضع ويهند (اوهند) فيزوج « ميرا » ابنة حاكمها فيروز سوبهانا وقد رزق منها الامير فيروز وجاء في بعض المؤلفات ان « ميرا » كانت أم ثلاثة أبناء أصبح ثانيهم « شاهي خان » الملك العظيم زين العابدين .

وقد حدث موت أخيه « هيبة » مسموماً فحامت شبهات الجريمة حول الوزير « راى ماكره » ولكن السلطان لم يعاقبه خشية ان يؤدي نفوذه الى اضطراب . وقد شعر الوزير بعزم السلطان على معاقبته فتطوع لقيادة حملة تأديبية إلى تبت الصغرى الثائرة وكان غرضه من هذه الحملة ايجاد معقل يلجأ اليه فيعلن استقلاله وقد وافق السلطان على ان يتولى وزيره المجرم قيادة الحملة املا بتخلص منه نهائياً ولكنه ذهب وانتصر فأعلن استقلاله بيد ان السلطان اسكندر لم يرضخ للامر الواقع فسار على رأس جيش قوى مزق جيشه ودك معقله فقبض عليه والقاه في السجن حيث بقي إلى ان مات .

وحينما هبط تيمورلنك على الهند اظهر السلطان براعة دبلوماسية ازاءه بارساله وفداً لتحيته وقد اجاب تيمورلنك مظهراً مودته باهدائه حلة ملكية مقصبة بالذهب ، وقد جاء في ظفر نامة « انه ارسل هذه الحلة من دهلي بواسطة حفيده رستم وسفيره معتمد زين الدين وقابله السلطان اسكندر بأن بعث اليه هدايا عينة صحبة الشيخ نور الدين بخش احد اتباع « شاه همدان » . وقد اجاب تيمور على هذه الهدايا بدعوته السلطان إلى الاجتماع به وقيل ان كبار حاشية تيمورلنك بعثوا يطلبون إلى السلطان ان يمد ٣٠ الف جواد ومائة الف قطعة من العملة الذهبية لتقديمها الى تيمورلنك وقد غضب تيمورلنك حينما سمع بذلك ولما وصل السلطان ضفاف نهر الاندوس في ١٣ رجب ٨٠١ (١٣٩٨ م) علم ان تيمورلنك عبر النهر متجهاً إلى سمرقند فعاد ادراجه الى كشمير مكتفياً بايفاد ابنه الامير شاهي خان لمقابلته ولكن لا يوجد ما يبرهن على انه التقى به .

لم يكن السلطان اسكندر عسكرياً عبقرياً فحسب ولا دبلوماسياً عبقرياً

فحسب بل كان في نفس الوقت اداريا حازماً ومشرعاً فذاً وراعياً للدين والعلم والادب . ابطل في زمنه ضريبتي « الباج » والدامغه[١] وأسس المحاكم الشرعية في جميع أنحاء البلاد وعمل على اخضاع جميع السكان لحكم الشريعة السمحاء ومنع كل ما يخالفها . فقد منع صناعة الخمر والقمار والبغاء وفرض العقوبات الصارمـــة على مقترفي هذه المحرمات .

ولزيادة عنايته بالعلم والادب استقدم العلماء للتدريس من جميع انحاء العالم الاسلامي ولا سيما خراسان وما وراء النهر والعراق والمعروف انه انشأ مدرسة لمولانا ابي الفضل البخاري في المسجد الجامع وأوقف عليها قرية « نا گام »

كذلك عني عناية فائقـــة بانشاء المساجد والجوامع والتكايا والزوايا وفي عهده دخل « الكاشاني » كشمير إذ قام بصنعتـــه في كشمير السيد محمد اللورستاني والسيد صدر الدين الخورساني من اتباع شـــاه همدان وقد حظى السيد محمد الهمداني ابن شاه همدان باحترام السلطان ولما رأى السيد تجاوز بعض المهتدين الحدود في معاملة غير المسلمين نصح السلطان بايقاف تيار الاضطهاد لأن الاسلام لا يقوم بالاكراه بل بالقدوة الحسنة والمودة وقد عمل السلطان بنصحه .

دام حكم السلطان اسكندر ٢٤ سنة حكم في نصفها حكماً مباشراً وكانت امه حوراء تحكم خلال النصف الأول حين كان السلطان قاصراً . فعندما انتابته

---

(١) لم يستطع احد من المؤرخين ان يعرف ضريبتي « الباج » و « الدامغة » تعريفـــاً صحيحاً . ولما كانت الضرائب متناسقة تقريباً في العالم الاسلامي ربما نستطيع ان نجد للضريبتين الآنفتي الذكر شبيهاً في العراق ومصر فقد كانت ضريبـــة الباج موجودة في العراق في اول تأسيس الحكومة العراقية وكانت تستوفى من قبل رئيس عشيرة شمر وعنزه عن كل رأس من الغنم تقصد المراعي الصحراوية ولعل كلمة « باج » تركية أصلها «باش» اي رأس وقد منعت الحكومة جباية هذه الضريبة بعد استقرار الحكم الوطني . اما ضريبة الدمغة فلا تزال موجودة في مصر وهي مفروضة على ما يصاغ من الذهب الفضة .

حمى شديدة دعا أولاده الثلاثة (١) ميرخان (٢) شاهروخ أو على رواية شاهي خان (٣) محمد خان فأوصاهم بالاتحاد وعدم الانشقاق واعلن ميرخان خليفة له ملقباً اياه « علي شاه » وذهب إلى رحمة ربه في ٢٢ محرم سنة ٨١٦ هـ الموافقة ١٤١٣ ميلادية .

السلطان علي شاه

من ٨١٦ هـ الى ٨٢٣ هـ = ١٤١٣ م الى ١٤٢٠ م

هو مير خان الملقب علي شاه ابن السلطان اسكندر ارتقى العرش بعد وفاة أبيه في سنة ٨١٦ هجرية . تاريخه غامض مرتبك مختلف فيه . وقد فقد العرش عندما قرر الذهاب إلى مكة فأناط العرش بأخيه شاهي خان ولكنه قبل ان يخرج من البلاد قصد حاكم جمو أبا زوجته وهناك شعر بعزم اخيه على خلعه والاحتفاظ بالعرش فندم على فعلته وعاد ليستعيد العرش يعاونه عمه (أبو زوجته) وراجا راجوري وقد استطاع ان يدحر شاهي خان فيسترجع العرش ولكن شاهي خان التجأ الى جسارة خان رئيس الخاكار وقد أعانه هذا في حرب أخيه واستطاع في الأخير ان يقبض على أخيه السلطان على شاه فيخلعه ويلقي به في السجن وتم ذلك في سنة ٨٢٣ هـ = ١٤٢٠ ملادية وقيل ان السلطان على شاه مات في السجن والحادث الذي يلي في الأهمية حادث خلعه هو خروج تيبت الصغرى من يد سلطان كشمير بعد ان كانت من البلدان التابعة لها ويعزى هذا الحادث الى عدم كفاءة علي شاه .

السلطان زين العابدين

من ٨٢٣ الى ٨٧٤ هـ = ١٤٢٠ الى ١٤٧٠ م

السلطان زين العابدين هو شاهي خان بن السلطان اسكندر اخو السلطان

علي شاه وقد تولى العرش في حزيران ١٤٢٠ ميلادية وهو ابن التاسعة عشرة ويعتبر عهده من عهود كشمير الذهبية وقد حكم خمسين سنة شمسية مما لم يسق ان اتفق لاي ملك في كشمير .

لقد ساد السلام كشمير في عهده وزاد الرخاء واتسعت رقعة البلاد وعني عناية خاصة بالقضاء فتولاه بنفسه إلى ان حل في كشمير القاضي جمال الدين قادماً من الهند ، أنشأ عدداً من البلدان على أحسن ترتيب وأقام عدداً من البنايات في الطرق العامة وفي البلدان المهمة لراحة المسافرين واقامة المغتربين .

الصنائع والفنون في زمانه

وقد عني بالصناعات الرائجة في زمانه خير عناية فاستقدم من إيران وطوران وتركستان والهند مهرة الصناع والفنيين ومنحهم المنح والامتيازات التي تشجعهم على السكنى في كشمير فازدهرت الفنون والصنائع واشتهرت بضائع كشمير خارج البلاد فانهالت عليها الطلبات بأسعار عالية مما أدى إلى تحسن وضع البلاد الاقتصادي .

صنع البارود في كشمير وازدهرت صناعة الألعاب النارية فيها وصنعت العدد الحربية من مختلف المعادن بما فيها المدفع ولعله يستعمل لأول مرة في كشمير وانتشرت صناعة الحفر في الخشب ونشأت صناعة الورق ونسج القماش الصوفي المعروف بالكشميري وكذلك صناعة السجاد وقد عني حتى بالموسيقى وظهر أثر هذه العناية في نشوء موسيقاريين لم يسبق لهم مثيل في كشمير . ولم يكتف باستقدام الفنيين والصناع من الخارج بل بعث هو البعوث من الكشميريين ليتعلموا في الخارج ، كذلك شجع البحوث الطبية وانشاء المستشفيات لمعالجة المرضى ويؤكد غير واحد من المؤرخين كون الاسر التي اشتهرت بزاولة الطب في دلهي ولكنو جاءت من كشمير . وقد ذكر من المؤرخين الخواجه عزام أنه جاء بالقابلات والمرضات من سمرقند مما ساعد على انشاء دور الامومة ومحلات

التوليد للامهات وقد تقدم السلطان بهذه الاعمال كثيراً من الملوك والحكام والسياسيين في العالم .

وفي سبيل تيسير الصنايع للشعب ومنع الاحتكار منع التجار من خزن البضايع في بيوتهم والزمهم بعرضها في الاسواق وبيعها بربح معقول .

الادب

لم يكن زين العابدين أقل عناية بالأدب من الصنايع والفنون فقد أعار حياة الشعب الادبية والاقتصادية نفس العناية وعمل على ان يكون شعبه مثقفاً ومنتجاً في وقت واحد . لذلك شمل العلماء والادباء والباحثين برعايته شأن ما فعل مع الصناع والمفتنين . وهذه الرعاية شجعت الادباء والعلماء على المجيء إلى كشمير والاشتغال فيها وكان السلطان زين العابدين نفسه عالماً وأديباً درس السانسكريتية بالاضافة إلى العربية والفارسية وشجع البحوث الهندسية وسمح بتدريس بعض الكتب الفلسفية التي وضعها مؤلفون هندوكيون ولا سيما علم المنطق .

يحدثنا بعض المؤرخين بأنه كان من الملوك القلائل الذين استذوقوا الشعر وقد امتلأ قصره بالشعراء الذين لا يعرف لهم عد . ولعله أول من أوجد للشعر عرشاً أجلس عليه ملكاً دعاه باللفظ العربي الفصيح «ملك الشعراء» وكان ذلك الملا أحمد الكشميري الذي اتخذ لنفسه «قطب» توقيعاً مستعاراً .

الجيش والفتوحات

عندما ارتقى السلطان العرش كان جيش البلاد مؤلفاً من ٠٠٠ ١٠٠ جندي ماش و ٠٠٠ ٣٠ جندي خيال فعمل على تنظيم الجيش وزيادة كفاءته بحيث يكون مرهوب الجانب في الداخل والخارج وقد أعار القواد والضباط قدراً كبيراً من العناية ورفع مستوى تدريبهم ورفه عليهم سبل العيش في نفس

الوقت . فسرت فيهم روح الاطاعة والتفادي وأصبح كل واحد من الضباط والجنود اسداً هصوراً يحسب له الاعداء الف حساب . وقد تمكن من فتح البنجاب بكاملها ولكنه أخفق في فتح دلهي ثم أضاف إلى ما كه تيبت الغربية (ولاية الحدود الآن) في سنة ١٤٦٠ و ١٤٧٠ وقد أنقذ في هذه الغزوة تمثالاً ذهبياً لبوذا كاد يحطمه المسلمون .

دبلوماسيته وصلاته الخارجية

بعد ان قضى السلطان على عوامل الدس والتآمر في بلاده فأقر فيهما السكينة والنظام فكر بتأسيس الصلات الودية مع البلاد المجاورة والبعيدة وذات الشأن الخطير منها على وجه التخصيص . فبعث بالسفراء يحملون رسائل المودة والهدايا إلى ملوك خراسان وتركستان واذربيجان وكيلان وسيستان (سجستان) والسلطان محمد الثاني العثماني فاتح استانبول وإلى شريف مكة والى السلطان بهلول لودي سلطان دلهي وجم نظام الدين ملك السند فقابلوه جميعاً بالمثل .

معاملة الهندوكيين

يدلنا تاريخ هذا الملك المسلم العظيم على انه كان اكثر ادراكاً لحقوق الانسان من رجال الهند في القرن العشرين . لاننا إذا ما قسنا ما يلقاه اليوم المسلمون في الهند من ضروب التقتيل والتشريد والتعذيب والنهب والسلب وتخريب الممتلكات ، في عهد الامم المتحدة وحقوق الانسان وفلسفة غاندي المسالمة ودعوة نهرو العلمانية، بما كان عليه الوضع في زمن السلطان زين العابدين الكشميري الذي أصدر قانوناً خاصاً لمعاملة الهندوكيين عقتضى شريعتهم وحرم تعصب رجال الأديان المختلفة على بعضهم لوجب علينا ان نرجع حكم الهند العتيد إلى القرون الوسطى وان نقدم حكم زين العابدين إلى القرن العشرين وان نعت حكم الهندوكيين العتيد بالحكم البربري الظالم وان نصف حكم السلطان زين العابدين

بالحكم التقدمي العادل الحر ولاعبرة لتمايز حكومة الهند الحاضرة بالنظام البرلماني وفقدان هذا النظام في عهد السلطان زين العابدين الديكتاتور العادل المنصف .

وقد بلغ به التسامح مع الهندوكيين إلى حد انه لم يستحسن قيام المسلمين بنحر البقر والغاء ما منح الهندوكيين من امتيازات اكتفى بأن يتعهد له الرؤساء الروحانيون بعدم تجاوز حدود ما ورد في كتبهم المقدسة . فقد عاش المسلمون والهندوكيون في ذلك العصر سوية متحابين وإذا ما حصل بينهما خلاف فان السلطان اعتاد ان يجمع مجلساً برياسته مؤلفاً من ممثلي الطرفين فينهي الخلاف بطريقة ودية مسالمة .

ومن الزائد ان نقول ان المستر نهرو لم يتوصل حتى الآن الى مثل هذه النتيجة بدليل حوادث اضطهاد المسلمين التي تنقلها الينا البرقيات كل يوم .

اصلاحات السلطان

وضع السلطان سلسلة من القوانين أمر بان تكتب على لوحات من النحاس فتعلق في الاسواق والمحاكم ليطلع عليها الناس . فقد حرم سفك الدماء ولم يسفك هو نفسه دم اي مجرم لاقترافه جرماً بسيطاً . وكان حازماً وعادلاً لا يحابي لا أولاده ولا وزراءه ولا أصدقاءه إذا ما أجرموا ، فقد أعدم أحد رجاله مريشايه يوفانه لانه قتل زوجته في حالة السكر وأعدم أخاه بالرضاعة لانه قتل أخاه مسعوداً من امه وأبيه .

وقد منع حكام الولايات والانحاء من فرض الغرامات العرفية .

أطلق سراح السجناء الذين حكم عليهم في زمن الملوك السابقين وأسس سجوناً جديدة للمجرمين أدخل فيها بعض الصناعات ومنع كي السجناء ووضع قاعدة تشغيلهم في اصلاح الطرق .

وقد أعار صنف الزراع اهتمامه فاتخذ التدابير التي ترفه عليهم وتساعدهم على ترقية شؤون زراعتهم . واشرف بنفسه على شق الأنهر واقامة النواظم

وتوسيع نطاق الري . وقد حمى القرويين من تعسف موظفي المـال بتشريع أصدره يمنع موظفي الحكومة من قبول الهدايا من المراجعين . وقد حدد اسعار البيع ببيانات كان يصدرها شهرياً .

منابع الايراد

إن اتساع نطاق أعمال الحكومة وتكاثر مشاريعها أوجب بلا شك زيادة الحاجة إلى الأموال للانفاق . فقد تضاعفت نفقات القصر ونفقـات الجيش ونفقات اعاشة الادباء والعلماء والاختصاصيين ونفقـات التعمير والانشاء والاصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بحيث لم تكف الايرادات الاعتيادية لملاقاتها . وقد بحث السلطان عن الأموال للاغراض المهمة اليها وقد وجدها . فقد وجد مناجم النحاس في بلاده فاستثمرها ووجد الذهب في تيبت في نهر لاداخ وعـدا هذين الموردين أدت مشاريع الري إلى زيادة غلال الاراضي .

زين العابدين في اخريات أيامه

من المؤسف ان نجد هذا الملك العظيم يتلظى في اخريات أيام حياته بنار الألم المتأججة في فؤاده بسبب ما ثار من أحقاد بين أولاده الذين أخـذوا يغارون من بعضهم ويحسدون بعضهم، وحين لم يجد الملك وسيلة لاحلال الوئام والمودة بينهم رأى من الخير ان يفرقهم عن بعضهم . لذلك أمر ابنه الاكبر آدم خان ان يغزو لاداخ أي تيبت الغربية وكانت هـذه المنطقة تابعة لكشمير في جميع أدوار التاريخ ولكنها كانت مصدر الاضطرابات في جميع الأدوار أيضاً . وقد أمر ابنه الثاني الحاجي خان ان يتوجه لقتال « لوهكوت » في البونج وقد بقي أصغرهم بهرام مع الملك . وقد انتصر الولدان فعادا منتشيين نشوة النصر . ولكن الحاجي خان محبوب الملك وجه سلاحه إلى أبيه الملك . وقـد وقف آدم

خان الولد الاكبر الى جانب أبيه وقد حاول الاب ان يقنع ابنه بالرضوخ لمشيئته من غير قتال ولكنه أبى ثم فاجأ معسكر الاب وبدأ القتال مع بزوغ الشمس ولم ينته إلى الظلام . ولما وجد الحاجي من العسير ان يقف بوجه جيش الملك فر من الميدان والتجأ إلى « هوراپور » ثم انحدر إلى بلدة « نروان » الكائنة على الطريق المؤدية إلى عاصمة كشمير وقد تبعه آدم خان ولكنه توقف عن ملاحقته بناء على أمر تلقاه من السلطان . ثم أمر بأن يهاجم « سوپور » قلعة « كاراج » ليؤثر على العناصر المشايعة « لحاجي » وبعد ان أعدم عدداً من انصاره هرب جنود كاراج الذين شايعوا حاجي خان وقد رأى السلطان في هذا الدور ان يعلن آدام خان ولياً للعهد لما أبدا من شجاعة واقدام في تنفيذ أوامر أبيه ولكنه فشل في ادارته وقام بتصرفات في كاراج أوجبت انهيال الشكاوى على الملك وقد اضطر الملك الى استدعائه ولكنه أبى الرضوخ ورفع لواء الثورة على أبيه فكانت هذه فرصة مؤاتية لاستدعاء حاجي خان للتعاون مع أبيه على آدم خان وقد أدت الحركات التأديبية إلى هرب آدم خان والمناداة بالحاجي خان ولياً للعهد ومع ان آدم خان ندم أخيراً بيد ان السلطان زين العابدين لم يرض عنه ولم يقبل خضوعه .

بعد هذا الحادث بمدة وجيزة توفى السلطان زين العابدين في الخامسة والستين من العمر في سنة ١٤٧٠ ميلادية المصادفة ٨٧٤ هجرية وكان أول سلطان دعي « پادشاه » في كشمير وكان هذا لقب السلاطين الاتراك الى آخر عهد سلاطين آل عثمان في عصرنا ومعنى « پادشاه » الملك العظيم .

السلطان حيدر شاه

السلطان حيدر شاه : هو حاجي خان بن السلطان زين العابدين تولى العرش على أثر وفاة أبيه ولقب حيدر شاه . وقد اختار اخوه الاصغر بهرام خان رئيساً للوزراء ولقب ابنه حسن خان أميراً للامراء وكان هذا الملك عكس

أبيه مستهتراً منغمساً بالملذات والشهوات سكيراً . لذلك حاول الوجهاء والنبلاء دفع بهرام خان على خلعه واغتصاب العرش منه بيد أنه رفض . وقد أدى سلوكه السيء الى انتشار الفوضى ورواج الدسائس وقد توفى فى ١٤٧٢ ميلادية بصورة لا تزال تعتبر سراً من الاسرار اذ قال بعض المؤرخين انه هوى من طنف بينما كان سكراناً وقال آخرون انه سم من قبل أحد المتعاطين بالكيماء .

السلطان حسن شاه

تولى العرش بعد حيدر شاه ابنه حسن خان أمير الامراء ولقب السلطان حسن شاه . وقد استهل عهده باطلاق الاسرى الذين جاء بهم جده وأبوه من بلاد « بهوتا » . ولما كان الشاه مديناً بفوزه بالعرش رغم وجود عمه بهرام خان لاحمد أبو الاسود فانه لقبه « مالك » وجعله رئيساً للوزراء . وقد تزوج السلطان بحياة خاتون ابنة السيد حسن البيهقي ابن السيد ناصر الدين البيهقي الذي عاش فى عهد البادشاه زين العابدين وقد انجبت له ولداً دعاه محمد شاه . وقد هرب عمه بهرام الى الهند ليسلم على حياته .

أحيا حسن شاه عادات جده السلطان زين العابدين واستأنف الاعمال الاصلاحية التي أهملها أبوه حيدر شاه وأنعش العلوم والآداب . ولكن أعماله الاصلاحية لم ترق للبعض فحرضوا بهرام خان على اغتصاب العرش ولكنه لم يفلح وقد قبض عليه ففقئت عيناه ومات بعد ثلاثة أيام .

ازداد بعد ذلك السيد حسن البيهقي أبو الملكة نفوذاً فتولى هو رياسة الوزراء وعزل مالك احمد ثم القاه فى السجن حيث قضى نحبه . وفى ١٤٨٣ عادت تيبت الغربية الى حركتها الانفصالية وعاد السلطان الى ارسال جيش تأديبي بيد انه خاب فعاد الجيش مدحوراً ، وقد توفى السلطان حسن شاه فى ٨٩٢ هجرية (١٤٨٤ م) وقد ترك وراءه نزاعاً حول العرش بين ابنه محمد شاه وابن

عم ابيه فتح شاه إذ انه اوصى عند الوفاة السيد حسن البيهقي ان يختار للعرش احد اثنين اما فتح شاه ابن آدم خان واما يوسف خان ابن بهرام خان .

السلطان محمد شاه

يظهر ان السيد حسن البيهقي فضل ان يجلس على العرش محمد شاه ابن السلطان حسن شاه وان يهمل اجلاس احد الاثنين اللذين اوصاه بهما السلطان حسن شاه . ومحمد شاه هو ابن حياة ابنة السيد البيهقي كما رأينا في الفصل المتقدم ولكن محمد شاه كان في هذا الزمن طفلاً في السابعة من عمره لذلك تولى السيد البيهقي وصاية العرش مما أثار الاستياء والحقد . فانقسم الوجهاء والنبلاء واخذ البعض يؤيد محمد شاه والبعض يطالب بفتح شاه وقد اصطدم اعوان فتح شاه بجيش الملك فاندحروا وعادوا ثم نظموا صفوفهم واعادوا الكرة مرة بعد الخرى الى ان فازوا في الاخير فخلعوا السلطان محمد شاه وقد هرب به أعوانه ولكنهم لم يتمكنوا من الخروج من البلاد وقد قبض عليهم أعوان شاه محمد فأتوا بهم اليه حيث أمر باعتقالهم وقد خصص للسلطان محمد شاه معتقلاً في القصر وأمر بالعناية في شؤونه وتهيئة طعامه حسب أوامره . وكانت نهاية عهد السلطان محمد شاه في سنة ٨٩٢ هـ الموافقة ١٤٨٦ ميلادية .

السلطان فتح شاه

تولى مهام الحكم فتح خان ودعي السلطان فتح شاه في ١٤٨٦ ميلادية ولكن رغم مجيئه العرش بأسلوب القوة لم يكن هو نفسه على شيء من القوة والكفاءة تمكنانه من حسن إدارة البلاد وضمان الامن والسلام والاستقرار فيها لذلك رأينا « الشاك Chacks » يظهرون على مسرح السياسة في هذا العهد وتأخذ اسرة « الشاه ميرية » بالتدهور .

فقد ظهر من اسرة الشاك شمس الدين وبعد ان كان موظفاً بسيطاً لدى

السيد محمد البيهقي ابن السيد حسن البيهقي أخذ يطمح بالسلطان وباقترانه بابنة عمه حسين شاك أصبح على شيء من النفوذ يستطيع ان يلعب به دوراً وقد اتفق مع كاجي شاك فأخذ يدبر المؤامرات ويثير الفتن ، وقد أدت هذه الفتن إلى اصطدامات جديدة هرب على أثرها فتح شاه إلى بنجاب والتحق به شمس الدين شاك وأعيد محمد شاه إلى العرش للمرة الثانية في سنة ٨٩٨ هـ الموافقة ١٤٩٣ ميلادية .

السلطان محمد شاه (للمرة الثانية)

عاد محمد شاه إلى العرش في السادسة عشرة من عمره وكان الفضل في عوده لخاله السيد محمد البيهقي . وقد كان السيد محمد رجلاً ذكياً حساساً يحسب للوقائع حسابها مقدماً وقد رأى بصائب فكره وثاقب نظره قبيلة الشاك تزداد قوة ونفوذاً لا سيما بعد ان اتجهت إلى التشيع على أثر توغل مير شمس الدين العراقي بينها . وكان قد فر الشيخ شمس الدين من خراسان إلى كشمير كي لا يقسى الحاكم خراسان اعتقاله . وقد أثرت دعايته في قبيلة الشاك خاصة ومال إلى مذهبه رؤساء القبيلة أولاً ثم بقية أفرادها . وقد رأى السيد محمد البيهقي ان خطب السيد شمس الدين العراقي تكاد تحدث مشكلة جديدة في كشمير هي مشكلة التفريق الطائفي بين المسلمين لذلك أبعد الشيخ شمس الدين العراقي عن كشمير بيد ان هذا الابعاد أدى إلى عكس ما كان يتوخى إذ اعتبر الشاك الشيخ العراقي زعيمهم الديني ، وقد ساءهم ان يعامل مثل هذه المعاملة المنطوية على عدم التقدير . لذلك اتجهوا إلى السلطان السابق فتح شاه وحليفه شمس الدين شاك .

وكانت النتيجة عود السلطانين محمد شاه وفتح شاه إلى ساحة القتال وجهاً لوجه وكاد ينتصر محمد شاه على فتح شاه بما أبدا السيد البيهقي من ضروب البسالة ولكن سقوط البيهقي في خندق وتأخره عن إدارة دفة القتال غير اتجاه الحوادث واستطاع الخصوم دحر قوات الملك وابادتها فعاد فتح شاه إلى العرش وأنزل جام غضبه على أسرة السيد البيهقي .

السلطان فتح شاه (للمرة الثانية)

عاد السلطان فتح شاه إلى العرش في ٩١١ هجرية الموافقة ١٥٠٥ ميلادية واتخذ شمس الدين شاك وزيراً مكافأة له على ما بذل من جهد في سبيل اعادته إلى العرش كذلك أسند منصباً مهماً لموسى رينا الذي ساهم في هذا العمل وقد شعر شمس شاك بمرارة احتمال منافس له في القصر الملكي لذلك أخذ يحوك المؤامرات ضد موسى رينا . بيد أنه لم يقع في الفخ الذي نصبه لموسى سواه ، فقبض عليه موسى والقى به في السجن ثم بعث اليه من يقتله ، وقد دافع عن نفسه بالعصى والحجارة والطابوق فقتل على رواية بعض المؤرخين ستين شخصاً من المهاجمين قبل ان يقتل .

وقد اعتلى منصب الوزارة موسى رينا على أثر هـذا الحادث فألقى تبعة قتل الوزير على وجهاء « الماكر » وبهذا بدأ دور النزاع بين الوزراء والتنافس على المناصب دون ان يستطيع السلطان التدخل وهـذا النزاع شجع السلطان محمد شاه على اعداد جيشه لاستعادة العرش وبانضمام بعض العناصر المستاءة من النزاع الداخلي انتصر جيش السلطان محمد وفر السلطان فتح شاه مرة اخرى في سنة ٩٢٠ هـ الموافقة ١٥١٤ م

السلطان محمد « للمرة الثالثة »

لقد اعتلى السلطان محمد شـاه العرش « للمرة الثالثة » بفضل ابراهيم ماكر ولكنه لم يستطع البقاء على العرش اكثر من خمسة أشهر فجاء فتح شـاه بجيش قوي دحر جيش السلطان محمد وهرب السلطان مع السيد ابراهيم البيهقي إلى « نوشهرا » .

فاعتلى العرش السلطان فتح شاه للمرة الثالثة في ٩٢٠ هـ الموافقة ١٥١٥ ميلادية .

السلطان فتح شاه « للمرة الثالثة »

لم يدم هذه المرة حكم فتح شاه أكثر من سنة وشهر إذ أنه قسم بلاده إلى أربعة أقسام بغية اقلال مسؤولياته فأناط إدارة هذه الأقسام بكل من « جهانكيربدر » و « كاجي شاك » و « سنكررينا » ولكن لم يرض هذا العمل اولئك فثاروا عليه ودعوا الشاه محمد ليقاتل من أجل العرش وقد استعان الشاه محمد باسكندر لودي من كشمير فاستطاع ان يقتنص العرش للمرة الرابعة وان يقبض على السلطان فتح شاه فيلقي به في السجن حيث توفي في نوشهرا الكائنة في طريق بير بانجال بعد ثلاث سنوات اي في ٩٢٥ هـ المصادفة ١٥١٩ ميلادية .

السلطان محمد شاه « للمرة الرابعة »

كان قد بلغ السلطان محمد التاسعة والثلاثين من عمره عندما ارتقى العرش للمرة الرابعة وكان لكفاءة كاجي شاك وبسالته الفضل الاكبر فيما تم لذلك كافأه بمنصب رئيس الوزراء وقد دعاه بالعربية منصب «مدار المهام » أي مرجع الشؤون العامة ولكن يظهر ان موت السلطان فتح شاه لم ينه النزاع ولم يساعد على استقرار الحالة فقد أصبحت كشمير أرضاً خصبة للمؤامرات والدسائس وسفك الدماء . فقد اتجهت الانظار هذه المرة إلى « مدار المهام » واستهدفت المؤامرات القضاء عليه ولكنه استطاع ان يحبطها وان يفتك بالمتآمرين وظهرت في هذه الآونة جماعة تدعو لاسكندرشاه ابن فتح شاه الاكبر . وقد انتهز فرصة هذه الأوضاع بابور مؤسس السلالة المغولية في الهند فبعث بجيشه إلى كشمير وقد صادف هذا الحادث الزمن الذي اعتزل فيه كاجي شاك السياسة ولكن الحكومة لم تجد غيره لهذا العمل فطلب اليه ان يقود الجيش للدفاع عن البلاد بعد ان استثيرت عواطفه الوطنية . وقد انتصر كاجي على جيش الهند فاعاده القهقرى مما أحيا ثقة السلطان به . ولكنه لم يجد في نفسه قدرة على التعاون

مع السلطان لذلك خلعه وأجلس ابنه ابراهيم شاه على العرش وكان ذلك في سنة ٩٣٤ هجرية المصادفة ١٥٢٨ ميلادية .

السلطان ابراهيم شاه الاول

يذكر ان « عبدال ماكر » أحد زعماء الشعب في كشمير ظهر على المسرح في هذا العهد إذ كان قد التجأ إلى قصر الملك المغولي بابور فاعد جيشاً قوياً بقيادة قائدين مغوليين هما علي بك ومحمد خان وقد اتصل عبدال ماكر بنادر خان ابن فتح شاه الاصغر فجعل هدف حركته اقصاء السلطان ابراهيم شاه واجلاسه على العرش لكي لا يتصور الكشميريون سلطة أجنبية تدبر الحركة لأغراضها الخاصة . ثم تحرك الجيش واصطدم بجيش السلطان ابراهيم تحت « باتان » في تحصيل برامولا واسفرت المعركة عن تحطم جيش السلطان ابراهيم وهرب السلطان من كشمير .

السلطان نازوك شاه « للمرة الاولى »

بعد ان انتصر الجيش المغولي نصب نادر شاه ملكاً على كشمير باسم السلطان نازوك شاه في سنة ٩٣٥ الموافقة ١٥٢٩ م وعين عبدال ماكر رئيساً للوزراء . وقد أغدقت النعم على المغول الذين قادوا الجيش واتباعهم قبل ان يعودوا إلى الهند . وبعد ان بلغ عبدال غايته لم يعد في حاجة إلى ابقاء نازوك على العرش فخلعه واستدعى السلطان محمد شاه ليتولى العرش المرة الخامسة لاسباب مجهولة لدى المؤرخين .

السلطان محمد شاه « للمرة الخامسة »

ارتقى العرش السلطان محمد شاه في ٩٣٦ هجرية المصادفة ١٥٣٠ ميلادية . يمكن ان يعتبر عهد السلطان محمد شاه للمرة الخامسة والأخيرة عهد سيطرة رئيس

قبيلة ماگره إذ بعد أن أصبح عبدال ماگره رئيساً للوزراء جعل السلطان محمد شاه رئيساً اسمياً للدولة ليس له من الأمر شيء . وقد قسم عبدال البلاد بين أعوانه وأنصاره . مما أدى إلى زيادة الاحقاد وانقسام النبلاء والوجهاء وقد انتهز هذه الفرصة المغول فبعثوا بجيش إلى كشمير ولكنهم لم يفلحوا في اخضاع كشمير لأن الكشميريين تناسوا اختلافاتهم واحقادهم فاتحدوا ازاء هذه الغزوة الاجنبية فصدوا الغزاة على أعقابهم .

بعد ان صدوا هذه الغزوة جاءتهم غزوة « ابي سعيد ميرزة » ملك كاشغر إذ بعث بابنه الثاني سلطان زاده اسكندر خان على رأس جيش لغزو كشمير . وقد انتصر اسكندر خان فدخل عاصمة كشمير فقتل وحرق وخرب ونهب بحيث لم يبق جندي من جنوده لا يحمل شيئاً من المنهوبات .

مكثت هذه القوة ثلاثة أشهر في كشمير على رواية بعض المؤرخين . حيث قرأت خطبة الجمعة باسم ملك كاشغر وضربت النقود الكشميرية باسمه أيضاً وتزوج اسكندرخان باحدى بنات السلطان محمد شاه وعادوا إلى بلادهم بعد ان عقدوا صلحاً ملائماً لأغراضهم .

تلا هذا العهد مجاعة حلت بالبلاد مات بسببها عدد كبير من الناس وبينما كان السلطان شاه يعمل على تخفيف وطأة هذه المجاعة اصيب بالتيفوئيد فمات في ٩٤٣ هجرية المصادفة ١٥٣٧ ميلادية في الستين من عمره .

السلطان شمس الدين الثاني

شمس الدين الثاني هو الابن الثاني للسلطان محمد شاه وكان من طراز أبيه قليل الذكاء متحللاً من المسؤولية متكلاً على وزيره كاجي شاك . وقد دعي السلطان شمس الدين « الثاني » لان مير شاه مؤسس سلالة المير شاهية ارتقى العرش باسم السلطان شمس الدين . وقد اتسع الخلاف في هذا العهد بين الشاك

والماكر ولكن كاجي شاك استطاع أن يسيطر على الموقف بدهائه وحكمته كذلك استطاع ان يمهد لانتقال العرش إلى اسرته بمصاهرته الاسرة المالكة .

السلطان اسماعيل شاه الاول

لقد خلف السلطان شمس الدين الثاني اخوه السلطان اسماعيل صهر كاجي شاك وكان ذلك في سنة ٩٤٤ هجرية الموافقة ١٥٣٨ ميلادية وقد استمر السياسي المحنك شاك على تدوير شؤون المملكة محتفظاً بمركزه المرموق رئيساً للوزراء ولكنه فقد أخيراً نفوذه لزيادة تحامله على الوجهاء . ورأى نفسه مؤخراً ملزماً بالهرب إلى جبال غاكخار ليحفظ حياته ولم يستطع العود إلى البلاد إلا بعد ان وقف السيد ابراهيم البيهقي الى جانبه فساعده على استعادة قوته وسلطانه . وعند عودته قسم كشمير إلى ثلاثة أقسام أعطى قسمين منها للملك والسيد ابراهيم البيهقي واحتفظ لنفسه بالقسم الثالث . وبعد ان وطد سلطانه أعلن المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في كشمير وفرض على جميع السكان اتباع التعاليم التي وضعها المير شمس الدين العراقي في امورهم الشرعية .

توفي السلطان اسماعيل شاه بعد ١٨ شهراً من توليه العرش في سنة ٩٤٥ هجرية المصادفة ١٥٣٩ ميلادية .

السلطان ابراهيم شاه الثاني

ارتقى العرش بعد السلطان اسماعيل ابنه السلطان ابراهيم الثاني وكان الأول السلطان ابراهيم بن السلطان محمد شاه ولم يدم حكم السلطان ابراهيم الثاني اكثر من أربعة أشهر وقد حدث خلال حكمه حادثان مهمان كان أولها هرب كاجي شاك من جراء ثورة النفوس عليه بسبب تحامله على الآخرين وكان الحادث الثاني محاولة خلفاء « بابور المغولي » الاستيلاء على كشمير . وقد أظهر في هذا الدور « الماكره » أشد العداء لكاجي شاك وطلبوا إلى المغول

امدادهم بقوة تتقدم من كاجي شاك . فقد أجاب النداء سلطان كاشغر أبوسعيد خان وبعث هذا جيشاً بقيادة الميرزه حيدر دوغلات ابن عمه وابن عم «بابور» حاكم دلهي . وحيدر دوغلات من علماء عصره المعروفين فضلاً عن كونه قائداً وسياسياً . وهو مؤلف « تاريخ رشيدى » . وصل حيدر دوغلات كشمير بينما كان الكشميريون في حرب أهلية يقاتل بعضهم بعضاً فاستطاع ان ينتصر رغم مقاومة الكاجي شاك العنيفة وقد أبقى كشمير مقسمة إلى ثلاثة أقسام كما كانت وقد احتفظ لنفسه بقسم وأعطى عبدال ماكره قسماً ومالك رانيه قسماً لقاء ما أديا من خدمات .

السلطان نازوك شاه « للمرة الثانية »

عندما توفى السلطان ابراهيم شاه الثاني لم يجد الميرزا حيدر نفسه مستطيعاً تولي مهام العرش وفضل ان يجلس على العرش مليكاً رمزياً وان يواصل هو التمتع بالسلطان الحقيقي وممارسة الحكم . لذلك رفع نازوك بن فتح شاه إلى العرش وقد حكم هو البلاد حكماً أوجب ارتياح جميع السكان على اختلاف أديانهم ومذاهبهم .

وصادف ان كان قد زوج كاجي شاك ابنة اخته بسحرشاه سور وبعد مضي نحو سنة على هذا الزواج أخذ شاك فيلين وخمسة آلاف فارس بقيادة حسني خان الشيرواني فأغار على كشمير ولكنها ظهرت منيعة ليس من السهل اقتحامها . وقد ذكر الميرزة حيدر هذا الحادث في تاريخه قائلاً : في يوم الاثنين المصادف ٨ ربيع الثاني ٩٤٨ عند صلاة الظهر دحرنا جيشاً يتألف من ٥٠٠٠ فارس وعدة آلاف من المشاة مع وحدة مؤلفة من ٣٠٠ رجل . وبعد سنتين ثار « ريكي شاك » ولما اندحر فر إلى خارج البلاد فالتحق بكاجي شاك . وقد وحد الاثنان قواتهما وزحفا مرة اخرى على كشمير ولكن الميرزة حيدر استطاع ان يفتك بقواتهما وان يرجعها على اعقابها ممزقة شر ممزق مما عجل في

موت كاجي جاك في ٩٥١ هجرية المصادفة ١٥٤٤ ميلادية .

وبعد ان خلا الجو للمرزه حيدر فلم يبق احد من منافسيه أو مقاقيه راح يعمل على احياء الحركة الصناعية التي بدأها السلطان زين العابدين وقد عمل في نفس الوقت على استعادة تيبت الصغرى وبخلي وراجوري وكيشتوار فضمها إلى المملكة .

وقد واصل الاقتداء بالسلطان زين العابدين في الدبلوماسية وحسن معاملة الطوائف وكسب عطف الرأي العام فاستطاع ان يزيل بعض الشيء كره الشعب له لكونه أجنبياً . ولكن لم يدم الاستقرار والسلام طويلاً . فقد بدأت منازعات داخلية جديدة قتل فيها الميرزا حيدر بسهم طائش لم يعرف راميه وكان ذلك في سنة ٩٥٨ هجرية الموافقة ١٥٥١ ميلادية وعلى أثر ذلك انسحب أعوان الميرزا حيدر من المغول وغيرهم الى كاشغر .

انتقلت السلطة بعد ميرزه حيدر الى أيدى رينه ولكن قيام هيبت خان نيازى بمهاجمة كشمير باسم سليم شاه سور خليفة سحر شاه سور وقيام « دولت شاك » بصد هذا الهجوم ساعدا على تقوية مركز دولت شاك بحيث استطاع ان يقضي أخيراً على حزب « آيدى رينه » ومن ثم وفاة آيدى رينه في سرينا گار في سنة ٩٥٥٩ م ساعد على انتقال السلطة الى الشاك . وقد كان هذا مقدمة لانتقال العرش الى هذه الاسرة اذ بعد ان استوثق دولت شاك من قبضه على ناصية الامور خلع السلطان نازوك شاه في نفس السنة .

السلطان اسماعيل شاه الثاني

لقد اختلف المؤرخون في هوية الملك الذي خلف السلطان نازوك شاه فقد قال بعضهم ان ابراهيم بن نازوك شاه تولى العرش بعد أبيه ثم خلع بعد خمسة اشهر فارتقى العرش اسماعيل شاه الثاني ابن ابراهيم شاه الاول ابن السلطان

محمد شاه . وقد قال بعضهم ان السلطان اسماعيل شاه ارتقى العرش مباشرة بعد خلع السلطان نازوك .

مهما كان الأمر فان الملك كان ملكاً اسمياً وكان دولة شاك الملك الفعلي الآمر الناهي ، غير ان الاضطراب الداخلي لم يسمح له بالاستمرار على الحكم مدة طويلة . وقد بدأ النزاع أولاً بين دولة شاه وغازي شاك لا سيما وكان دولت شاه قد تزوج بأرملة كاجي شاك أم غازي شاك فحينما تحرك عليه غازي هرب دولة شاك ولكن الرعاة قبضوا عليه فأتوا به إلى غازي شاك حيث أعدمه . وكان أفول نجم دولت شاك مؤذناً بأفول نجم السلطان اسماعيل الثاني في نفس الوقت .

السلطان حبيب شاه

آخر ملك من سلالة مير شاه

في سنة ٩٦١ هـ = ١٥٥٥ ميلادية خلع غازي شاك السلطان اسماعيل شاه ونصب ابن اخته حبيب شاه ابن اسماعيل شاه الثاني حفيد السلطان محمد شاه . وهذا هو آخر ملك من سلالة مير شاه يرتقي عرش كشمير وقد ارتقاه كما ارتقاه أسلافه من زمن محمد شاه وفتح شاه إلى زمن أبيه ملكاً رمزياً لا حول له ولا قوة إذ أصبح السلطان الحقيقي للوجيه الذي يرتقي كرسي رياسة الوزراء فيخضع الآخرين بالقوة .

فقد كانت مقدرات الملوك المير شاهية خلال هذا الزمن في أيدي رئيس الوزراء له ان يبقي الملك أو ان يخلعه في أية لحظة شاء .

لم يظهر « الشاك » في العهود الماضية ما يدل على طموحهم بالعرش ولكنهم جهروا بهذا الرأي في عهد السلطان حبيب فقد أخذ غازي شاك يتهم الملك علانية بسوء التصرف وعدم الاخلاص ودون ان يستطيع الملك ان يحرك ساكناً وفي يوم من أيام سنة ٩٦٣ هـ المصادف ١٥٥٥ ميلاديه بينما كان الملك مستوياً على عرشه وقد أحاط به الوزراء والنبلاء قام علي شاك فرفع التاج من رأس الملك ووضعه

على رأس أخيه غازي شاك . فهتف الحاضرون لغازي شاه ملكاً واخذ حبيب إلى السجن .

وهكذا انتهى عهد السلاطين الشاه ميرية غير مأسوف عليه إذ كان قد هزل ملوك هذه الاسرة في عهودهم الأخيرة وأصبحوا أدوات مسيرة للشاك .

حكم الشاك CHACKS

عندما تحدثنا عن الملك « سهاديفا » في أواخر عهود الحكم الهندوكي أشرنا إلى مجيء اسرة الشاك إلى كشمير وما لقيت من رعاية الملك ثم رأينـا مؤسس سلالة المير شاهية يزيد في رعاية رجال الاسرة فيختار البارزين منهم للمناصب الحكومية وبتوالي حكم سلاطين المير شاهية رأينا اسرة الشاك تزداد نفوذاً وسلطاناً فتؤثر في سياسة كشمير ثم رأيناها تحكم البلاد حكماً مباشراً في عهود السلاطين الهازيل الرمزيين فتمهد لنفسها السبيل لاقتناص العرش . وقد قام بذلك غازي شاك في سنة ٩٦٢ هجرية الموافقة لسنة ١٥٥٥ ميلادية فأصبح أول ملك من اسرة الشاك على عرش كشمير .

حكمت هذه الاسرة ٣١ سنة شمسية أو ٣٣ سنة قمرية من ١٥٥٥ ميلادية إلى ١٥٨٦ ميلادية أو من ٩٩٥ هجرية وتولى العرش خلال هذه المدة ثمانيـة ملوك لقبوا « بادشاه » بعكس ملوك الشاه ميرية الذين لقبوا « سلطان » وكان لقب « بادشاه » مستعملاً عند المغول الذين بالغوا في نعت ملوكهم . ويمتاز حكم الشاه ميرية عن الشاك بعمل الشاه ميرية على الاحتفاظ باستقلال كشمير إلى آخر ملك من ملوكهم رغم الفتن والثورات والاضطرابات التي سادت عهودهم وسعى ملوكهم في اعمار البلاد وتثقيف أهلها وزيادة كفاءاتهم العلمية والأدبية والصناعية ورغم ما ساد البلاد من فترات اضطراب بذلوا جهدهم على اجتناب الخلافات الطائفية والدينية وحماية مختلف العناصر من الاضطهاد بغض النظر عن الدين والمذهب والجنس . وكانت فترة حكم الشاك فترة اضطرابات وخلافات

مذهبية انتهت بفقد البلاد استقلالها إذ اضطر أهلهـا الى دعوة الامبراطور المغولي اكبر الى احتلالها للتخلص من الاضطرابات وتدخل الحاكمين في عقائد السكان .

غازي شاك

كان هذا أول ملك يرتقي عرش كشمير من اسرة شاك حكم ثماني سنوات من سنة ٩٦٢ هجرية الى ٩٧٠ هجرية (أي من ١٥٥٥ ميلادية الى ١٥٦٣ ميلادية) . بدأ حكمه بازالة مساوىء العهود الماضية واسترجاع أقسام المملكة التي انفصلت عنها بسبب ضعف الملوك واختلاف الوجهاء والنبلاء وقادة البلاد وقد اختار لهذه الاقسام بعد استرجاعها حكاماً من الاذكياء ذوي الخبرة .

عرف غازي شاك بالعدالة والصرامة في وقت واحد وقد أدت صرامته الى افاضة حتى أبناء اسرته فقد ثار عليه « نصرة شاك » و « يوسف شاك » أبنا ريكي شاك كما ثار خلفاء مومى رانيه وأبو المعالي السيد ابراهيم البيهقي وقد استطاع اخماد كل هذه الفتن ولكنه اضطر الى التنازل عن العرش لاخيه حسين شاك لابتلائه بمرض البرص وقد توفي بعد سنتين من تاريخ تنازله عن العرش .

حسين شاك

ارتقى العرش في سنة ٩٧١ هجرية المصادف ١٥٦٣ ميلادية وقد دام حكمه سبع سنوات انتهى بتنازله عن العرش في ١٥٧٠ ميلادية وتوفي بعـد سنتين من تنازله عن العرش .

كان حسين ملكاً معتدلاً أقل من أخيه غازي تعصباً وقد عمل في سبيل تحسين حالة الشعب ولكنه جابه منازعات عديدة مثل أخيه وكان أول الثائرين عليه أخوه شنكر فقد حاول اغتصاب العرش لدى تعيينه حاكماً على « راجوري »

وقد تمكن الملك من دحره واخماد ثورته بفضل وزيره مالك محمد ناجي وعلي شاك خان . تلا ذلك ثورة فتح شاك الملقب « خان الزمان » وابنه بهادر خان وكانا قد انتهزا فرصة خروج الملك للصيد في منطقة اسلام آباد فثارا بغية اغتصاب العرش ولكن مالك محمد ناجي استطاع ان يقضي على الثورة حينما كان في العاصمة يتولى شؤون البلاد في غيبة الملك . وقد توالت الثورات والمنازعات مما حمل اكبر امبراطور الهند على التدخل فبعث بأحد رجاله المدعو مرزه مقيم الى كشمير ولكنه علم أخيراً ان المرزه مقيم ساهم في اثارة الاحقاد بين طائفتين مسلمتين لذلك أعدمه لدى رجوعه الى دلهي .

ان استمرار الثورات حمل دولة شاك على ان يقترح على الملك التنازل عن العرش لأخيه علي خان . وكان الرأي العام منقسماً يوم ذاك في كشمير اذ كان البعض يريد علي خان والبعض يريد السيد مبارك البيهقي وكان البعض يفضل الأمير الصغير يوسف خان ابن حسين شاك . وقد تنازل الملك فعلاً لعلي خان .

علي شاه شاك

ارتقى العرش في ٩٧٨ هجرية (المصادفة ٢٥٧٠ ميلادية) وحكم تسع سنوات ثم توفي في حادث لعبة بولو في ٩٨٧ هجرية المصادفة ١٥٧٩ ميلادية .

كان علي شاه مثل أخيه عاقلا وحازماً ومع ان اسرة الشك هم شيعيون فقد عمل هذا الملك كما عمل أخوه حسين على ازالة الخلاف بين الطائفتين وقد عين السيد محمد مبارك البيهقي بن السيد ابراهيم البيهقي رئيساً للوزراء وهو سني المذهب وكان السيد مبارك رجلا باسلا حازماً اقام دعائم السلم في البلاد ولاءم بين السكان فقضى على ما كان بينهم من روح الحقد والانتقام .

وقد جاء في عهده سفراء اكبر امبراطور الهند الى كشمير وعلى أثر ذلك أمر بأن يخطب باسم اكبر عند أداء فريضة الجمعة وان تسك النقود باسمه اعترافاً له بالسيادة .

وفي سنة ١٥٧٥ ميلادية حاول حيدر خان وسليم خان ولدا نازوك شاه استعادة العرش لاسرة الشاه ميرية [ولكنهما خابا اذ قبض على سليم خان فقطع عنقه بالسيف وفر حيدر خان .

وقد سادت كشمير مجاعة دامت ثلاث سنوات في ١٥٧٦ ميلادية اضطر فيها الاهلون الى تناول لحوم البشر . يقول الدكتور صوفي ان الملك سأل احد الدراويش المدعو زيدي جاك او زيدي شاه من اتباع الشيخ حمزة مخدوم عن المدة التي تدوم المجاعة خلالها فأجابه الى ان تموت انت .

وقد توفي الملك عندما كان يلعب البولو اذ دخل سرج الحصان في بطنه ولكنه قبل ان يلفظ انفاسه الأخيرة ضمن تتويج ابنه يوسف خشية ان يغتصب العرش اخوه عبدال شاك وقتل عبدال شاك بالفعل من قبل السيد مبارك البيهقي الوزير الأعظم .

يوسف شاه شاك (لاول مرة)

تولى مهام العرش في ٩٨٧ هـ الموافقة ١٥٧٩ ميلادية وقد استبقى السيد مبارك البيهقي رئيساً للوزراء . ولكن انهماك الملك بالشهوات والملذات اضطر السيد الى الاستقالة فعين الملك محمد باط عجاله خلفاً للسيد البيهقي واستمر في سلوكه واهمال شؤون البلد .

قام الوجهاء على الأثر فتحالفوا على مخاصمة الملك وطلبوا الى السيد مبارك البيهقي ان يكون على رأس حركتهم ولكنه نصحهم بالهدوء ونصح الملك بمعاملة الناس بالحكمة والاعتدال ولكن الملك أصر على ان يؤتى له بخصومه مقيدين بالسلاسل وبعث بجيش لمقاتلة السيد مبارك فأسفرت حماقته عن فقده العرش وهربه الى الجبال .

السيد مبارك البيهقي

تولى السيد مبارك البيهقي العرش في نفس السنة وسلك مسلكاً لم يسبقه اليه ملك فقد استغنى عن مراسيم الجلوس ، وعن التاج المرصع بالحجارة الكريمة فقد كسر التاج ووزع حجارته الكريمة ولآلئه على الفقراء . ولم يلتفت الى الوجهاء والنبلاء ولم يجد ما يستوجب مجاملتهم لذلك استاءوا منه وراحوا يتآمرون عليه ليعيدوا يوسف شاه الى العرش . وقد رأى السيد ان يقوم هو باستدعاء الملك من المعتقل الذي اختاره لنفسه ، فبعث الملك لدى تسلمه الدعوة بولديه يعقوب خان وابراهيم خان على ان يتبعهما . ولكن عبدال باط قائد الجيش حذره من قبول الدعوة فصورها له مؤامرة حيكت خيوطها من قبل السيد البيهقي لذلك اختار الالتقاء به في ميدان القتال وقد خرج منه ملوماً مدحوراً . وقد دخل عبدال الميدان على رأس جيش يقاتل الطرفين : الملك والسيد البيهقي وبحركة بارعة أرباك الاثنين فتنازل السيد البيهقي عن العرش لـ « لاهور شاك » ولم ينتفع يوسف شاك من الدعوة التي وجهها اليه البيهقي وقد وردت روايات مختلفة عن مدة حكمه اذ قيل انها لم تتجاوز الشهرين وقيل ثمانية أشهر .

لاهور شاك

انه بديع الدين او گوهر شاه المعروف بلاهور شاه وهو ابن عم السلطان يوسف لانه ابن شنكر شاك . وقد تقلد عبدال باط منصب رئيس الوزراء بأمر البادشاه .

أما يوسف شاك فلما فقد العرش وهو في متناول يده هرع يوم ٢ كانون الثاني ١٥٨٠ الى معسكر « اكبر » امبراطور المغول الكائن في فتح بور وطلب اليه ان يعينه على استرجاع عرشه ، وجاء هذا الطلب ملائماً للامبراطور

أكبر بل كان الحدث المرتقب فقد بعث بجيش مع السلطان المخلوع يقوده « راجا مان سينك » و« مرزا يوسف » وقد التحق بهذا الجيش من لاهور محمد باط وزير يوسف شاه ولكن محمد باط أفهم الملك بأن الامبراطور اكبر يريد ازدراد كشمير . لذلك ترك السلطان راجا مان سنك وراءه وسار بجنوده بحجة انه تهمة تعاونه مع دولة أجنبية وليثير في نفس الوقت اهتمام سكان البلد بسلطانهم القديم ، وقد استطاع الملك ان يجمع حوله جيشاً مؤلفاً من اربعة آلاف مقاتل قبل ان يحتل كشمير . واجتاز نهر جيلوم بالقرب من قرية « دانه » على بعد سبعة اميال من برامولا ليوقف قوة « يوسف دار » المؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل وقد تكللت جهوده بالنصر المبين فدخل يوسف شاه سرينا كار العاصمة بمظاهر الابتهاج وقتل عبدال باط اما لاهور شاك فلم يجد وسيلة لحفظ حياته سوى التنازل عن العرش والفرار من البلد ولكنه لم يبق حياً بعد تنازله إلا مدة وجيزة .

يوسف شاك « للمرة الثانية »

بعد ان بقي يوسف شاه شاك بعيداً عن الملك سنة ونصف عاد إلى ارتقاء العرش في ٩٨٨ هجرية المصادفة ١٥٨٠ ميلادية وقام اول عوده الى الحكم بازالة اسباب الانشقاق ورعى شؤون البلاد وانشأ علاقات صداقة جديدة مع السيد مبارك البيهقي إذ زوج بنته على ابن السيد ، ولكنه سرعان ما عاد إلى إهمال شؤون البلد مما الب عليه الوجهاء والمتآمرين من الشيك والماكره . وقد التجأ بعض اعدائه إلى الامبراطور اكبر فبعث بحملة لاحتلال كشمير ولكنها فشلت لعدم انسجام القواد . وقد رأى احد القواد المدعو « راجا بها كاوان داس » ان يستر الفشل باسلوب دبلوماسي حكيم فاستدعى يوسف شاك إلى معسكره وتداول معه على عقد اتفاقية يدفع بموجبها جزية سنوية من الذهب والحرير والزعفران الى الامبراطور وفي غياب يوسف شاه اسرع ابنه يعقوب

شاه فاغتصب العرش وهكذا فقد يوسف شاه العرش للمرة الثانية في سنة ٩٩٤ هجرية المصادفة ١٥٨٦ ميلادية بعد حكم دام ست سنوات فقط .

يعقوب شاه شاك

هذا آخر ملك من سلالة الشاك ، وقد اختار عند ارتقائه العرش « علي دار » وزيراً ترك اليه تصريف شؤون البلاد وانصرف هو إلى ملذاته ومسراته وكانت العاقبة سوء إدارة افقدت البلاد استقلالها .

كان « علي دار » اول الثائرين على الملك في هذا العهد غير انه لم ينجح وفر من الميدان ثم مات غرقاً . اختار يعقوب شاه بعد ذلك محمد باط وكان من المتعصبين فاضطهد السنيين وحمل يعقوب شاه على إعدام رئيس القضاة موسى ويقول في هذا الصدد الدكتور صوفي في كتابه كاشير « يظهر ان يعقوب شاه طلب إلى القاضي ان يذكر اسم الخليفة علي عليه السلام في الصلوة (كذا) وان يهمل اسماء الثلاثة الآخرين . وقد اعترض القاضي موسى على ذلك فقال له ليس للسلطة الزمنية ان تتدخل في الشؤون الروحية مما اغاض يعقوب . فاستدعى الجلاد وطلب اليه اعدام القاضي موسى ، ثم اعقب ذلك نهب بيت القاضي » .

اثار هذا العمل استياء السنيين فقام الشيخ يعقوب سرفى وباب داود خاكي بتوجيه نداء الى الامبراطور اكبر لينجد السنيين بشروط وافق عليها اكبر وتلخص هذه الشروط بما يأتي :

١ ـ ليس للامير الحاكم ان يتدخل في الامور الدينية او امور بيع وشراء الحبوب وتعيين اسعارها .

٢ ـ ليس للوجهاء وكبار الموظفين في كشمير ان يتخذوا من الكشميريين او الكشميريات الهندوكيين او الهندوكيات المسلمين او المسلمات عبيداً .

٣ ـ يجب ان لا تساء معاملة السكان وان لا يظلموا .

٤ ـ لما كان وجهاء كشمير معروفين بالشغب فيجب ان لا تسند اليهم الوظائف الادارية في الوقت الحاضر .

أصدر الامبراطور بعد هذا أوامره إلى قاسم خان ليتوجه إلى كشمير في ٢٨ حزيران ١٥٨٦ ميلادية على رأس جيش يتألف من ٤٠٠٠٠ فارس و ٢٠٠٠٠ ماش . وقد احتل راجوري ثم توجه إلى سرينا كار . وبذل يعقوب جهداً كبيراً في إصلاح الموقف بيد أنه لم يفلح ففر من أمام ميرزا قاسم الذي دخل سرينا كار في سنة ٩٩٥ هجرية (١٥٨٩ ميلادية) وقد أصبحت كشمير من هذا التاريخ ولاية تابعة للامبراطورية المغولية .

كشمير في عهد المغول

من ١٥٨٦ ميلادية الى ١٧٥٢ ميلادية

يعقوب شاه يحاول العودة

لم يستقر الأمر للمغول في كشمير بمجرد احتلالها في سنة ١٥٨٦ ميلادية إذ حاول يعقوب شاه العودة إلى العرش يساعده على ذلك أخوه ابراهيم شاك وعلي مالك جودرا . وبعــد ان أعدوا عدتهم فاجأوا المغول على حين غرة في محل يدعى « جيرواني » في تحصيل بدكام فانتصر عليهم يعقوب شــاه ودخل سرينا كار فجلس على العرش مرة اخرى . ثم جاء السيد ابى المعالي البيهقي الولد الثاني للسيد مبارك خان البيهقي وشمس شاك والسيد حسين البيهقي وشمس دولي فأثاروا البلاد على المغول وأعدوها لمقاتلتهم ولمــا رأى قاسم خان (مير بحر) ـ فاتح كشمير ونائب الملك المغولي فيها ـ قيام الشعب قومة رجل واحد واشهار السلاح بوجه الفاتح استغاث بالامبراطور اكبر فاغاثه بعشرين الف فارس بقيادة السيد يوسف خان الرضوي المشهدي وأمر في نفس الوقت السيد محمد باط وبابا خليل الوجيهين الكشميريين اللاجئين إلى بلاطه بأن يرافقا الحملة للاتصال السياسي وتسهيل مهمتها في كشمير . وعند وصولها كشمير استطاعا ان يأخذا إلى جانبها عدداً من كبار الكشميريين المتنفذين . كان الشاه يعقوب في نفس الوقت ممعناً في اضطهاد قسم من السكان لأسباب طائفية وكما كان هذا الاضطهاد سبباً في استدعاء المغول أول مرة كذلك كان هو نفسه سبب سقوط يعقوب شــاه نهائياً في آب ١٥٨٩ إذ أنه بعد نضال دام ثلاث سنوات استسلم إلى الامبراطور اكبر فانسحب إلى كشتوار يصحبه السيد أبي المعالي البيهقي وابراهيم خان الملقب « ايباخان » وبهذا الحادث فقدت كشمير استقلالها نهائياً . وقد ذهب

بعد ذلك قاسم خان « مير بحر » إلى بلاط الامبراطور يصحب عدداً من نبلاء كشمير تاركاً السيد يوسف خان الرضوي المشهدي حاكماً في محله .

أما يوسف شاك أبو يعقوب شاه فقد اعتقل في أول الأمر في « بيهار » وعهد إلى « مان سينك » بالاشراف عليه ثم عهد اليه بقيادة خمسمائة في الجيش الامبراطوري تحت أمرة مان سينك براتب يتراوح بين ٢١٠٠ و ٢٥٠٠ روبية ومع ان مؤرخي عصر اكبر لا يذكرون عن عائلته شيئاً ، فقد ذكر حيدر مالك جادووه انه جن بسبب فقده عرشه وابتعاده عن بلاده وزوجته الكاملة الحبيبة اليه حبه خاتون ثم مات .

حكم الامبراطور اكبر

في أيار ١٥٨٩ اتجه الامبراطور اكبر إلى كشمير على ظهر جواد ، وركز علمه في مدينة سرينا كار في ٥ حزيران ١٥٨٩ وقد ذكر البانديت جونه انه وزع على الأطفال بعض الهدايا المصنوعة من الذهب ثم ذهب إلى مارتاندا فأعطى البراهميين بقراً مزينة باللآلئ والذهب .

مكث اكبر شهراً في كشمير زار خلاله كل بلدة وقرية والقيت أمامه القصائد حيثما حل .

وقد فتش اكبر شؤون الدولة والرعية في هذه الجولة فأمر بمنع الجنود عن الاعتداء على الأهلين ومساس عواطفهم واحساساتهم بأي وجه . وقد بحث في شكاوى تقدير الضرائب وجبايتها وعين لجنة لتحقق ما يشكو منه الاهلون فترفع اليه تقريراً . وعندما عاد الامبراطور رافقه في سفره السيد يوسف خان الرضوي المشهدي بعد ان ترك يادكار ميرزا « ناظماً » يدير شؤون البلاد وقد انتهز يادكار هذه الفرصة فأعلن نفسه ملكاً على كشمير . وبهذا الحادث عادت الاضطرابات إلى كشمير مرة اخرى ولكنها لم تدم اكثر من ٥٩ يوماً فقضي عليها واعتقل يادكار ثم قطع عنقه . ثم عين اكبر قليج خان حاكماً

على كشمير ، وحكم هذا ست سنوات كافح خلالها الشاك وغيرهم من عناصر السوء .

وقد أمر اكبر في زيارته الاولى لـكشمير ان ينشأ حصن « نا كار — نا كار » العظيم بالحجارة الضخمة وقيل انه أنشأ هـذا الحصن لمجرد تشغيل السكان العاطلين وقيل انه أراد انشاء هذا الحصن ليأوى اليه المغول فلا يستطيع الجند الاعتداء على الاهلين . كذلك أمر بانشاء القصور الملكية واقامة الحدائق الرائعة مما أضاف إلى جمال البلد الطبيعي جمالاً جديداً . وفي زيارته الثانية لـكشمير في ١٥٩٢ أمر بارسال حملة عسكرية إلى التيبت لاخضاع حاكمها الذي استمر على مقاومة حكم الامبراطور .

قضى اكبر صيف عام ١٥٩٧ م في كشمير حيث أخفض ضريبة الارض وطبق طريقة جديدة للتقدير اكثر ملائمة للسكان وعاد في أول الشتاء إلى لاهور . وفي أواخر عهد كشمير حلت مجاعة مخيفة في كشمير اضطرت الامبراطور ان يبعث بالحبوب والاغذية إلى كشمير من سيالـكوت وقد رافق الامبراطور في زيارته لـكشمير خلال المجاعة أثنان من القسس الاوربيين فذكرا في مذكراتهما أنهما وجدا الاهلين يبيعون أطفالهم للتخلص من معيشتهم .

وقد زادت الواردات في كشمير نتيجة تطبيق طريقـة التقدير الجديدة واتسعت حدود الايالة إلى ما وراء كابل وقندهار وانشىء طريق امبراطوري عبر بكوجرات وبهيمبار وشوبيان .

جهانكير

كان جهانكير محباً للطبيعة لذلك وجد ضالته في كشمير . وقد توالت زياراته على كشمير ثماني مرات مرتين في عهد والده وست مرات في عهد حكمه وقد رافقته في سفراته ملكته الجميلة « نورجهان » ولابد انهما قضيا أسعد الاوقات في أرجاء الوادي وفي بحيرة « دال » بينما كانت الانوار تتـلألأ



المساء في بحيرة دال في سرينا گار : عاصمة كشمير

والالعاب النارية تتصاعد من كل مكان والهواء يردد صدى الغناء والرقص .

ولزيادة تعلقه بكشمير هو والملكة نورجهان أمرا بانشاء القصور والصيفيات في أجمل بقاع كشمير ، ان انقاض هذه القصور في « مشابل » و « فيرناغ » وغيرهما من الاماكن الفاتنة تدل على اثر نورجهان في اختيار مواقعها . وحدائق شالامار هي الاخرى من روائع هذين الملكين العظيمين .

عهد جهانكير بمهمة الحكم في كشمير الى قليج خان وسعادة خان بالنيابة عنه وقد قام هذان الحاكمان باضطهاد الشالك إلى درجة ان كبارهم اضطروا إلى مغادرة البلاد وعاش صغارهم عيشة متواضعة فاصبحوا فلاحين أو خدماً أو سياساً للخيل . وقد ضغط اعتقاد خان على طبقة الزراع إذ ابتدع بدعة استملاك البساتين أو اغتصابها ، وقد سخر الناس للعمل في الحقول لا سيما عند قطف زهرة الزعفران المحتكر للامبراطور . وقد منع شاه جهان هذه التعاملات بمرسوم ملكي أصدره عند ارتقائه العرش .

لم يهمل جهانكير شؤون رعيته فقد صدر مرسوماً ملكياً في ١٠٣١ هـ = ١٦٢١ م يلغي به الضريبة التي كانت تدعى « رسوم فوجداري » ليخفف وطأتها عن الشعب والجنود[1] ولعل هذه الرسوم كانت مفروضة لاغراض عسكرية .

وقد منع ما جرت عليه العادة في « راجوري » من قيام المرأة المسلمة بتضحية نفسها مع اختها الهندوكية التي نذرت نفسها للنار عندما يهلك زوجها، ذكر فرانسيس گلادوين في تاريخ جهانكير ان فتاة تبلغ الثانية عشرة من عمرها دفنت حية مع زوجها المتوفى قبل ان يصل جهانكير كشمير في سنة ١٦١٩ وقد منع وأد البنات من قبل المحتاجين ، كذلك منع زواج الهندوكيين بالمسلمات وبذا قطع دابر ارتداد المسلمات وزواجهن بالهندوكيين ثم حرقهن مع أزواجهن وقد تبع

---

(١) الدكتور صوفي في كتابه كاشير .

شاه جهان مثل أبيه في هذه الشؤون إذ حينما تلقى شكوى تقول بان الهندوكيين يضطهدون المسلمين في بهيمبار ويحرقون القرآن عهد إلى الشيخ محمود الكجراتي بتحقيق الشكوى وبعد ان اطلع على تقريره أصدر مرسوماً ملكياً منع فيه تدخل الهندوكيين في أمر أقاربهم الذين يقبلون الاسلام . أما اليوم في عهد الدوكرا فان الهندوكي الذي يقبل الاسلام يفقد حقه في الارث .

وبناء على ما لاقى جهانكير من صعوبات عند زيارته كشمير أمر بانشاء دور الاستراحة في مراحل مختلفة في الطريق يأوي اليها مع الملكة .

عين جهانكير سبعة « صبه داريه » لادارة كشمير الواحد بعد الآخر باستثناء قليج خان الذي عين سنة (١٦٠٦) وارادة خان الذي عين سنة (١٦٢٠) وكانوا كلهم عادلين وقد عين جهانكير أحد علماء الهندوكيين قاضياً للاحوال الشخصية يحكم في قضايا الهندوكيين وفق شريعتهم وتقاليدهم وعاداتهم . وكاد التوسع خلال هذا العهد يقتصر على ضم كشتوار إلى ايالة كشمير .

شاه جهان

زار شاه جهان خلال حكمه كشمير أربع مرات بفاصلة خمس أو سبع سنوات . كانت أول زيارته في ١٠٤٣ هجرية (١٦٣٤م) حيث وصل سرينكار في يوم ٥ حزيران . « كان لجمال الولاية الساحر فعل الترياق على شاه جهان » على حد تعبير الدكتور بنارسي براساد ساكسينا مؤرخ الامبراطور ويواصل هذا المؤلف قائلاً : ومع انه لم يكن في ركاب الامبراطور رسامون يضعون جمال طبيعتها في الالواح ولكنه صحب عدداً من الكتاب البارعين الذين وصفوا كشمير ابلغ وصف كاد يكون شعراً مع انه كان نثراً . »

وقد زار شاه جهان كشمير المرة الثانية من كانون الثاني إلى تشرين الاول ١٦٤٠ م ثم زارها في ١٦٤٥ وزارها لآخر مرة في ١٦٥١ ولكنه جابه

عواصف وطغيانات في هذه الزيارة مما اضطره إلى قصرها . وفي زيارة جهانكير الاولى اسلم راجا بهيمبار الهندوكي فقلد لقب « راجاى دولتمند »

تعاقب على كرسي الحكم في كشمير تسعة حكام في عهد جهانكير تولى منهم ظفر خان وعلي مردان مهمة الحكم اكثر من مرة وبقي « اتقاد خان » المعين من قبل جهانكير في الحكم إلى أن اضطر شاه جهان إلى عزله بناء على ما ظهر من ظلمه وتلاعبه .

وقد زار الامير مراد كشمير سنة ١٦٤٠م وبقي فيها حاكماً سنة واحدة ثم خلفه علي مردان خان .

كان ظفر خان ابرز حكام الايالة واسمه الاصلي احسن الله خان احسن بيد ان شاه جهان دعاه ظفر خان بناء على ما لمس فيه من شجاعـة إلى جانب كياسة وبرد وحكمة . وقد قام جهانكير بعظم اصلاحاته في كشمير بمعرفة ظفر الله . وفي عهده اعيد اخضاع بالتستان (تيبت الصغرى) لحكم الامبراطور إذ كان قد التجأ اليها بعض الشاك والعناصر المتمردة فراحوا يعملون على مقاومة حكم المغول ويرفضون ذكر اسم الامبراطور في خطبة الجمعة وقد تم لظفر الله اخضاع المنطقة في ١٦٣٤ .

وفي عهده الغيت التعاملات المرهقة التي اسمها « اتقاد خان » وغيره من « صبته دارية » كشمير بعد ان عرض أحد الشعراء شكوى الايالة على الامبراطور بشعر بليغ رفعه اليه في عيد ميلاده قال :

خسروا ، دانش پژوها ، داورا ، دين پرورا
اهل كشمير اند در ديوان عدالت دار خواه
زعفران گويند خندان ساژد اند هناك را
آمدند از زعفران درگريه جمع بيگناه .

ومعناه :

أيها الباسل ، العالم ، العادل ، الدين

إن أهل كشمير يطلبون العدالة من ديوان عدلك
يقـولون الزعفران يضحـك الحزين
ولكنهم جاءوا يبكون جميعاً من الزعفران من غير ذنب

وكان في هذا اشارة إلى قيام الحكام بتسخير الأهالي لقطف الزعفران بدون اجر . وقد استطاع ظفر خان ان يحصل على فرمان يلغي التعاملات القديمة وان ينحت هذا الفرمان على صخرة فيدخلها في بناء باب المسجد الجامع في سرينا كار ولا تزال تلك الصخرة قائمة حتى اليوم . كتب هذا الفرمان على الشكل التالي :

الله اكبر
الملك شاه جهان حامي الدين

ثم النص وقد جاء في مقدمة نص الفرمان : بنـاء على طلب « اطوع معتمدينا المسمى ظفر خان لقد أمرنا بازالة تعاملات الصبـة دارية السابقين في كشمير الجميلة مما سبب شقاء الرعية والسكان ثم جاء في النص : منع اكراه أي رجل على جمع الزعفران بأية صورة كانت ويجب ان يجمع الزعفران المزروع في أراضي الدولة من قبل اناس مأجورين باجور ترضيهم . أما ما يزرع منـه في أراضي « الجا گرداريه » أي الاقطاعيين فلهم كامل الحرية في جمعه بالطريقة التي يرغبون فيها ولهم مطلق الحق في التصرف به » .

وقد ألغى ضريبة الاحراق المفروضة على الحطب وعدل الضريبة المفروضة على مشغلي الزوارق لجعلها حسب أعمار المشتغلين .

وقد اعتاد الصبـة دارية ان يضعوا الحراس في البساتين لمنع قطف الفاكهة الجيدة وتخصيصها لهم وقد منع هذا التعامل منعاً باتاً . وختم الفرمان بعبارات تحتم بقاء أحكامه معمولة مدى الدهر ومن يغير هذه الاحكام يستحق لعنة الله وغضب الملك .

كان ظفر خان عالماً فاضلاً وشاعراً ازدهر العلم والأدب في عهده وقد شجع على توسيع نطاق البساتين وزيادة المغروسات وادخل فواكه جديدة إلى كشمير .

وفي عهد علي مردان انشئت الطرق ودور الاستراحة والخانات للمسافرين ولما سادت المجاعة كشمير في عهد هذا الحاكم عين شاه جهان موظفاً خاصاً لادارة التموين وأخذ يبعث بالذخائر والحبوب من البنجاب والانحاء الاخرى من المملكة وأخذت الملكة وبقية أفراد الاسرة المالكة يتبرعون ويجمعون الأغذية والأموال فيبعثون بها إلى كشمير لتخفيف وطأة المجاعة .

وقد ذكر تافارنيه السائح عن حكم شاه جهان : « انه لم يحكم كملك يسيطر على الرعية بل كأب يحتضن أفراد اسرته واطفاله »

اورنكزيب

خلافاً لاسلافه لم يزر اورنكزيب كشمير إلا مرة واحدة في سنة ١٦٦٤ بمناسبة مرضه وضرورة الابتعاد من طقس الهند المحرق ، ولكن لم تكن السفرة مسرة وقد لاقى صعوبات جمة في جبل بيربانجال عندما زلق أحد الفيلة فهوى إلى الوادي مما أدى إلى موت أربعة من السيدات .

ويقول المؤرخون ان ثلاثة أشهر قضاها اورنكزيب علمكير في كشمير لم تؤثر على مهام الحكم . فقد كانت الأوامر تصدر من مخيمه إلى جميع أنحاء المملكة وكانت الرسائل تأتي من مختلف رؤساء الدوائر عن مختلف شؤون الدولة وقد استخدم رسل للنقل السريع وقفوا إلى جانب جيادهم طوال الوقت للسفر على جناح السرعة في كل لحظة وكان النبلاء يحضرون كل صباح معسكر الامبراطور كما كان شأنهم في دلهي وكان أصحاب المراتب يتدفقون على المعسكر وتمنح لهم بعض التعويضات من الخزينة العامة بسبب تحملهم تكاليف السفر .

وقد التحق الدكتور برنية في هذا الزمن بخدمة دانشمند خان وزير خارجية الامبراطور براتب قدره (٣٠٠ روبية) وقد زار كشمير فمعي بصحبة الامبراطور .

كان اورنكزيب من أحسن الملوك دقة ونظاماً في العمل كتب عن حكمه الزعيم الكسندر رو في سنة ١٧٧٢ - أي بعد مرور ٦٥ سنة على موت اورنكزيب - يقول « كان يعلم بما يقبض من الايرادات في كل لحظة وبما يجري في المحاكم في كل منطقة ويحيط بسلوك الحكام . لقد أمر بأن تكون سجلات الايجارات مفتوحة للناس يستطيع أن يراها كل شخص فيميز بين العدالة والاضطهاد . وقد أمر بأن يحضر العلماء في المحاكم ليدلوا بما يقضي به القرآن الكريم والحديث الشريف في القضايا التي تخص الفقراء على ان تدفع للعلماء اجور أتعابهم من الخزينة . وقد أسس اسلوباً للاستئناف بعد مبلغ معين وعاقب الحكام بعقوبات صارمة كلما ثبت عليهم سوء التصرف أو التحيز في الاحكام . كان نشاطه السبب المباشر لاستمرار ماكينة الدولة على العمل بقوة وانتظام وكانت نظرته الثاقبة تتعقب الامور إلى أقصى مراحلها وتزيح الستار عن الاعمال الظالمة في أية زاوية اقترفت ، وهكذا كانت عدالته سبباً مباشراً للهدوء والسكينة وحفظ الاموال في جميع أنحاء امبراطوريته الواسعة المترامية الاطراف » .

عين اورنكزيب ١٤ حاكماً لادارة كشمير طوال عهده وقد توالى تعيين ابراهيم خان ثلاث مرات وسيف خان مرتين . وكان السبب المباشر لعزل ابراهيم خان مرتين تحيزه للشيعة . وقد لاقى مظفر خان عقوبات صارمة لارهاق الشعب بالضرائب . وهذا يدل على ان « الصبه دارية » الذين عينهم أباطرة المغول لادارة كشمير لم يكونوا أحراراً يفعلون ما يشاؤون بغير حساب . وقد اشتهر معظمهم بالعدالة باستثناء مظفر خان ابى ناصر خان ومما يذكر عن عدل حكام المغول وعدم تحيزهم تحيزاً مذهبياً » إن الصبه دار سيف خان أمر

بجلد الخواجة محمد صديق النقشبندي حتى الموت لانه فعل نفس الشيء مع أحد الهندوكيين .

كان سيف خان عديل شاه جهان وقد حكم كشمير مرتين ، وقــد عين اعتماد خان وافتخار خان وحفظ الله خان واسلام خان وفضل خان بالتتابع وقد عمل كل منهم كل ما في وسعه لاحلال العدالة في كشمير ورعاية شؤون الناس بعناية زائدة ، وقام سيف خان في حكمه الثاني باحصاء نفوس الوادي في نحو سنة ١٦٧٠ م وقد دل هذا الاحصاء على ان سكان كشمير يبلغون ٢٤٣٫٠٣٣ر١ نسمة فيهم ٩٠٤٠٠ من المشاة و ٤٨١٢ من الخيالة وقد عمل الصبه دارية كذلك على انشاء الجوامع والبنايات العامة والحدائق واملاء القرى بالسكان والتشجيع الانتاج عمل الحكام على تخفيف الضرائب الزراعية . وقد اشتهر فضل خان بالمدرسة التي انشأها وبالشعرات النبوية التي جيء بها إلى كشمير في عهده وقد اقترح فضل تعيين الكشميرين في المناصب فأخذ الامبراطور بهذا الاقتراح فعين الخواجة عنايت الله وقد أصبح في سنة ١٧١٧ في زمن فروخ سيار وزيراً للواردات الامبراطورية .

وقد حصلت مجاعات وطوفانات وحرائق وزلازل في فترات مختلفة اربكت سبل الحياة على الاهلين لما أصابهم من أضرار بسببها . وفي حريق محلة كادوارا في سرينا گار بعث الامبراطور ابراهيم خان على عجل يحمــل الأوامر لاعادة انشاء البيوت الخربة واسعاف المتضررين وكانت قد التهمت النيران المسجد الجامع أيضاً فاجل انشاءه إلى ما بعد انشاء البيوت .

وقد حدث في هذا العهد بعض الحوادث الطائفية الطفيفة وجرت بعض المناوشات بين جيوش الامبراطور و « القلموق » وهم مغول بوذيون كانوا في تلك الآونة يعبثون بالأمن والسلام في آسيا الوسطى ويشنون الغارات على الممالك المختلفة بين تيبت وبحر حزر . وقد أسلم حاكمهم في الأخير فعاد إلى التيبت ليشيء جامعاً كبيراً وقد أسلم في نفس الوقت ملك راجوري وقد ثار راجا

جو أيضاً في عهد ابراهيم خان ولكنه استطاع ان يخمد ثورته ويحمله على الرضوخ في سنة ١٦٨٩

وقد استعان في هذا الزمن ملك كاشغر ارسلان خان بالامبراطور لتخليص عرشه من ابنه المغتصب ورفض الامبراطور امداده فطلب إلى حاكم كشمير ان يبلغه بمراجعة «كابل» في هذا الشأن. وقد قيل انه رفض بناء على رغبته في احتلال كاشغر وضمها إلى ملكه.

لم يبق اورنكزيب في الهند خلال النصف الثاني من حكمه إذ انشغل بتطورات الامور في «دكن» وتوفي هناك في ١٧٠٧ بعد حكم دام خمسين عاماً.

وفي عهد اورنكزيب أسلم أحد أجداد الشاعر المشهور السير محمد اقبال وكانوا من البرهميين الكشميريين.

وبعد ان توفي اورنكزيب بدأ نزاع قصير الأمد حول العرش أدى إلى قتل اثنين من أولاده وثلاثة من أحفاده. كان أكبر الاحياء من أولاده معظم شاه علام في «جمرود» بقرب بيشاور عندما علم في ٢٢ آذار ١٧٠٧ بموت أبيه فأسرع بالمجيء إلى آكره فتوج نفسه في جسر شاه دولة الذي يبعد ٢٤ ميلاً إلى شمال لاهور واتخذ لنفسه بهادر شاه لقباً، وارتقى العرش في نفس الوقت عزام شاه في ١٠ آذار بعد ان ذهب إلى معسكر أبيه في أحمد نا كار ولكن عزام خاب في المعركة وفقد ـ بعد الخيبة ـ حياته. والولد الآخر كرم بخش الذي توج نفسه في بيجابور خلع يوم ١٣ كانون الثاني ١٧٠٩ على أبواب حيدرآباد وبقي بهادر شاه يحكم إلى شباط ١٧١٢ حيث توفي في اليوم الـ ٢٧ من هذا الشهر.

آخر المغول

عندما توفي بهادر شاه كان أولاده الاربعة جهاندار شاه وعظيم الشان

ورفيع الشان وجهان شاه كلهم إلى جانبـه في لاهور . وقد حارب الاخوة بعضهم بعضاً ثم انتصر جهاندار شاه ولـكنه انصرف إلى اللهو والانس مما حمل فروخ سيار بن عظيم الشأن على خلعه وتولى مهام العرش في كانون الثاني ١٧١٣ وحكم حتى سنة ١٧١٩ حينما تآمر عليه السيدان الاخوان عبدالله وحسين علي خلعاه وأجلسا على العرش رفيع الدرجات وهو شاب في العشرين من العمر ولما كان مبتلي بالسل تخلى عن العرش لرفيع الدولة في ٤ حزيران ١٧١٩ وقد بقي أسير السيدين الاخوين الى ان توج روشن اختر ابن جهان شاه (الابن الرابع لبهادر شاه) بلقب نصر الدين محمد شاه في ٢٨ ايلول ١٧١٩ .
وبينما كان محمد شاه قائماً بمهة الحكم قام السيدان بتتويج الامير محمد ابراهيم اخي رفيع الدرجات ورفيع الدولة في ١٤ تشرين الاول ١٧٢٠ وضربا باسمه النقود. ولـكن محمد شاه أمر بالقبض عليه ولما جيء به استقبله بما يليق بالملوك ثم أمر بان يقيم تحت الرقابة والحراسة . ثم ظهر نادر شاه على مسرح السياسة حين هاجم الهند فضعضع حكم المغول . هاجم الهند في نفس الوقت أحمد شاه الدراني ولكنه دحر من قبل الامير أحمد شاه ابن محمد شاه في ١٧٤٨ م .
وقد توفي محمد شاه بالاستسقاء فارتقى العرش خلفاً له ابنه الامير احمد في ٢٩ نيسان ١٧٤٨ ولقب مجاهد الدين أحمد شاه بهادر .

وفي ١٧٥٦ طالب احمد شاه الدراني أحمد شاه ملك دلهي المغولي بولايتي البنجاب وملتان وحصل عليها بالفعل وباستملاكه بنجاب استطاع ان يستولي على كشمير في سنة ١٧٥٢ في هجومه الثالث على الهند .

وفي زمن الشاه علام بن اورنكزيب علمـگير بدأ حكام كشمير بتوكيل الوكلاء لحـكم كشمير بدلاً عنهم وفي هذا الزمن ثار الراجا مظفر خان بامبا وكان حاكم كشمير في هذا الزمن عناية الله ولم يتمكن من تأديبه بسبب وفاة الامبراطور جاهاندرشاه في ١١٢٤ هجرية ولكن حاكم كشمير علي محمد خان استطاع ان يخضعه في عهد فروخ خان وقد استطاع ان يخضع كذلك ه ابا

الفتح » اقطاعي بونيج ولكن هذا الحاكم كان الى جانب حزمه وبسالته ظالماً بجبي ضرائب زائدة من السكان مما أوجب عزله .

وفي عهد فروخ سيار أثار أعجاب الامبراطور في احدى زياراته لكشمير عالم يبحث اللغتين الفارسية والسانكريتية كان هذا الپانديت راج كول . وبطلب الامبراطور انتقل هذا العالم من كشمير إلى دلهي في ١٧١٦ وعرفت اسرته أخيراً باسرة « نهرو » من أعمال « الله آباد » ومن هذه السلالة انحدر الپانديت موتى لال نهرو وولده جواهر لال نهرو .

محمد شاه

ارتقى عرش المغول في دلهي في سنة ١٧١٩ م ناصر محمد شاه وكان شاباً جميلاً قوي العضلات لم يزل في السابعة عشرة من عمره . ولكنه عطل عن الحركة في الاربعين من عمره بسبب اسرافه في الملذات وجنوحه الى الكسل وابتلي في أواخر أيام حياته بالماليخوليا والرغبة في اطالة الحديث مع الدراويش وعندما كان نادر شاه على أبواب الهند قبل الالتجاء اليه أسيراً بدلاً من الهرب إلى البنغال وفق ما نصح به مستشاروه وقد تحمل آلام الاسر لمجرد انقاذ شعبه من القوة الباطشة .

ورغم انه كان منصرفاً إلى ملذاته لم يسمح باختلال نظام الادارة وارهاق الناس او ايذائهم ومع ان اسس الامبراطورية كانت مزعزعة فقد استطاع محمد شاه أن يمنع انهيار صرحها . مات محمد شاه في ١٧٤٨ بعد أن بقي على العرش ٢٩ سنة .

ولم يكن تاريخ كشمير في هذا العهد سوى تاريخ اضطرابات داخليـــة وتحول من حكم « الصبه دارية » المباشر الى حكم الوكلاء كما أشرنا آنفاً .

بدء الانتقال من حكم المغول الى حكم الافغان

كان لوجود نادرشاه في افغانستان وهجومه على الهند أبلغ الاثر في كشمير إذ كانت كابل عاصمة الافغان مدينة الشاه احمد الدراني وكان الامبراطور اكبر قد جعل من كشمير وقندهار وكابل منطقة واحدة يديرها صبه دار واحد ولما التجأ محمدشاه الى نادرشاه لتجنب بلاده ويلات الحرب وضع نادرشاه التاج على رأس محمد شاه وانحنى محمد لنادر شاه فوهبه كل ما يقع في غرب نهر الاندوس من الولايات من كشمير الى السند . ويختلف بعض المؤرخين في تفسير هذه الهبة وما اذا شملت كشمير ام لم تشملها ولكن الملا خليل المرجانبوري يذكر في تاريخه الموسوم « تاريخ كشمير » وكذلك بيرحسن شاه في تاريخه « تاريخ حسن » بان حاكم كشمير فخر الدولة تسلم امر تعيينه في ١١٥٢ هجرية الموافقة ١٧٣٩ ميلادية من نادر شاه . ويذهب بعض المؤرخين الى التوفيق بين الرأيين فيقولون ان نادرشاه عين فخر الدولة ولكنه بناء على اوامر اخرى تسلمها احال الايالة الى الصبه دار عناية الله خان الثاني المعين من قبل الشاه محمد . ولا ريب ان هذه وغيرها من الاوضاع زادت في اضطراب الحالة واختلال النظام في كشمير ولم يتحسن الوضع في عهد احمد شاه الذي ارتقى عرش المغول في دهلي خلفاً لمحمد شاه في ١٧٤٨ بعد مرور سنة على وفاة نادر شاه .

وعند ما خلف احمد شاه الدراني في سنة ١٧٤٧ كتب اليه نبلاء كشمير يطلبون الحاق كشمير ببلاده وقد وقعت هذه الرسالة في يد آفراسياب الفنصل المغولي الاسن الذي حمل اولئك النبلاء على الثورة المكشوفة وطلبوا الى الامبراطور المغولي في دهلي (احمد شاه) أن يعين حاكما للمقاطعة وقد أجاب طلبهم فعين المير مقام كنث ولكنه طرد من كشمير من قبل أبي القاسم ابن أبي البركات وفي سنة ١٧٥٢ حضر احمد شاه الدراني في لاهور فاخذ يعد العدة لغزو الهند وقد رغب في التعاون معه مير مقام والخواجة ظاهر الديداري من وجهاء كشمير .

فبعث الشاه أحمد الدراني قوة كبيرة بقيادة عبدالله خان اسحاق الاقاصي وبعد مفاوضـات غير مجدية اشتبك أبو القاسم آخر حاكم (ناظم) مغولي في كشمير مع الأفغانيين في كند نعمت (بقرب شوبيان) وقد دام القتال ١٥ يوماً هرب خلالها قائده العام « كل خان خيبري » فأسره الافغانيون ثم انتقلت ايالة كشمير إلى الافغانيين .

محاسن الحكم المغولي

امتاز اباطرة المغول بالعطف على السكان بوجه عام وقد كان لتتابع زيارات الأباطرة لكشمير اكبر الاثر في انتعاش التجارة والصناعة في كشمير . يقول المستر دبليو . س . سميث ان الامبراطورية المغولية قامت على اكتاف الطبقة المتوسطة وكانت هذه تستند إلى الارض . يظهر ان جهانكير شغل معادن النحاس في كشمير باعطائه امتياز استثمارها إلى أحد الافراد . كذلك كان جهانكير أول من فتح أبواب كشمير للسائحين الاجانب وخلال حكم المغول الذي دام ١٦٦ سنة تناوب على كرسي الحكم في كشمير ٦٣ حاكماً لم يتحامل منهم على الشعب سوى ستة . قال الكولونيل الكسندر دو المستشرق الذي التحق بخدمة شركة الهند الشرقية في ١٧٧٢ « إن الكفاءات التي تحلى بها معظم الامراء جعلت من الهند اسعد امبراطورية في الدنيا خلال قرنين كاملين » وقد ذكر السير جادوناث سركار الهبات التالية التي وهبها الحكم المغولي الهند :

(١) الادارة المتناسقة في جميع الصوبـات (جمع صوبة : أي ولاية) . (٢) لسان رسمي واحد . (٣) نقد متناسق موحد . (٤) ملاك موحد للخدمات العامة بحيث كان في الامكان تحويل الموظفين من ولاية إلى اخرى مرة في كل ثلاث أو أربع سنوات . (٥) سير جيوش كبيرة الفينة بعد الاخرى من ولاية إلى ولاية . (٦) ايفاد المفتشين من المركز إلى الولايات لتفتيش أعمالها . يضاف

إلى هذه رعاية أباطرة المغول للفنون والآداب بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية .

قال الدكتور ساچ چيداندا سينها في كتابه كشمير — ملعب آسيا
: Kashmir : The Playgroun of Asia

منذ ان ضم اكبر كشمير إلى ملكه خلع الوادي عليه وعلى خلفائه ابراد سحره وقد أصبحت كشمير مصدر الالهام للاباطرة طوال الزمن الذي كانت فيه مقاطعة تابعة إلى عرش دلهي . اتخذها كل من اكبر وجهانكير وشاه جهان واورنكزيب مضيفاً له وقد أعجب بها جهانكير فهتف قائلاً « الحق انها الجنة التي تحدث بها الانبياء وتغنى بها الشعراء » .

لقد جاء خلال قرن ونصف اولئك الاباطرة العظام من دلهي و « آكره » بمواكب فخمة ساطعة يسير في ركابها الحراس والجنود يجتازون سلسلة جبال بيربانجال من صحاري الهند المحرقة فينحدرون إلى وادي كشمير البارد الهادىء . ولما مرض جهانكير فعلم بدنو ساعته اختار هذه الارض من امبراطوريته الوسعة ومات في « بهرام كل » على بعد لا يتجاوزه البصر عن أرضه المحبوبة . ففى في كشمير ١٤ صيفاً إذ كان يأتي الوادي عندما يزهر الايلاك والزنبق في الربيع ويغادره إلى سهول الهند عندما يزهر الزعفران في الخريف »

كشمير في حكم الافغانيين

من ١٧٥٢ ميلادية الى ١٨١٩ ميلادية

(١) عرض عام للحكم الافغاني

أحمد شاه الدراني

هو فاتح كشمير في سنة ١٧٥٢ ابن محمد زمان خان المنحدر من سلالة عبدالى المنحدره من عشيرة « بوبلزاى » من قبيلة « سادوزاى » الافغانية التي تسكن في ولاية هرات . كان يدعى ابو محمد زمان خان عبد الله خان بن حيات خان سلطان . وقد دعيت القبيلة « سادوزاى » نسبة إلى رئيسها سادو الذي فاز بامتيازات كثيرة من الشاه اسماعيل الصفوي ملك ايران في القرن السادس عشر وكان رفيق سادو محمد الذي انجب الحاج جمال خان ابا پاينده خان وقد انجب هذا الامير دوست محمد خان الذي حكم فيما بعد كابل . وكان قد رحل محمد زمان خان الى ملتان حيث انجب أحمداً .

وعبدال مخفف « عبد علي » جد الاسرة ومؤسس هذه السلالة . ويقول بعض المؤرخين ان هذه القبيلة كانت شيعية في عهد عبد علي ثم أصبحت سنية وقد انجب عبدال أربعة أولادهم « پوپال » و « بركات » و « هالوكو » و « موسى » وانجب « پوپال » ستة أولاد كان يدعى ثالثهم « بامى » وقد دعا بامى اكبر أولاده سادو . قال « مونتستوارت الفينستون » : ان العشيرتين الرئيسيتين اللتين اسستا حكومات ديموقراطية في جميع الاحوال هما «پوپالزايس» و « باراكسايز » وان « سادوزايس » او السلالة الملكية هي متفرعة من « پوپالزايس » وسلالة « بامیزای » التي خصت بالوزارة كانت فرعاً آخر من

نفس القبيلة . والقبيلة التي تلي بوبالزايس في النفوذ ولكن اكثر منها عدداً وأوسع رقعة هي قبيلة « باراكزايس » .

كان ذو الفقار خان الاخ الاكبر لاحمد خان وكانت قد انتشرت الاضطرابات في ايران قبل زحف نادر شاه على الهند وصادف ان عاد في هذا الوقت : زمان وذو الفقار واحمد من « ملتان » إلى « هرات » .

وقد ثار الافغانيون على نادر شاه ولكنه استطاع ان يخمد ثورتهم وان يعاقبهم باجلاء قبيلة گيلزاى من قندرهار الى هرات وان يرغم قبيلة سادوزاى على الخروج من هرات والسكنى في قندهار . وعندما كانت تنفذ أوامر نادر شاه القاضية بهذا التبادل في محلات السكنى اعتقل نادر شاه ذا الفقار وأحمد بناء على ما أظهرا من شعور الاستياء تجاه ذلك التبادل وربما عملا على مقاومته . وقد وجد نادر هذين الشابين على قدر كبير من الفتوة والذكاء ووجد الامل يشع من ناصيتيهما فضمهما إلى بطانته وفي سنة ١٧٣٧ أصبح الاخ الاكبر قائداً ثم حاكماً لهرات حيث فقد حياته في معركة خاضها مع « گيلزاى » ، وقد احتفظ نادر شاه بأحمد خان ضمن أركان قصره وحاشيته الخاصة لما كان لشخصيته من بروز ولما كان يتحلى به من ذكاء وقاد وبسالة فذة .

قتل نادر شاه على مقربة من مشهد الرضا في شرقي ايران ليلة ٩ حزيران ١٧٤٧ وقد انتهز أحمد فرصة الارتباك والفزع الناشئين عن هذا الحادث فاخذ القسم الاكبر من الخزينة والحجارة الكريمة الشهيرة « كوه نور » فاسرع بالرجوع إلى قندهار .

وفي الطريق ولاه الرؤساء الافغانيون زعامتهم ونودي به أحمد شاه في تشرين الاول ١٧٤٧ وكان بين المرشحين لهذا الامر الحاج جلال - ابوبانيده خان وجد دوست محمد خان - فاعلن انسحابه وتنازله لاحمد شاه . وعندما وصل القوم قندهار أخذوا أحمد شاه إلى الجامع فسكبوا على رأسه الحنطة حسب

التقاليد الافغانية التي ترى في الحنطة فأل الخير والبركة ثم توجوه ملكاً. هذا هذا هو أحمد شاه الدراني الذي فتح كشمير وبدأ فيها حكم الافغان .

وقد اختلف المؤرخون في لقبه الدراني وقيل ان شيخه « بير محمد جابر شاه » دعاه « درّ دوران » أي درة الدهر وقيل ان احمد شاه كان يريد أن يكون لقبه « در درّان » أي « الدرة المختارة من الدر » ولكن لا أدري لِمَ لم يعلل المؤرخون اللقب باستيلائه على الحجارة « كوه نور » فقد تكون النسبة الى هذه « الدرة الثمينة » أقرب الى الصواب .

تولى احمد شاه العرش في الخامسة والعشرين من العمر وقد طالب لدى توليه العرش بالبلاد التي كسبها نادر شاه من الامبراطور المغولي محمد شاه وقد هاجم احمد شاه الهند عشر مرات وفي هجومه الثالث استولى على كشمير في ١٧٥٢ وفي هجومه الخامس اندحر « الماراتا » في معركة « بانيبات » الثالثة في ١٧٦٩

وقد أسس علاقة صهرية بأباطرة المغول باقترانه « بحضره بيكم » كريمة الامبراطور محمد شاه وبتزويجه ابنه تيمور على زهره بيكم كريمة علمكير الثاني .

توفي احمد شاه في تشرين الاول ١٧٧٢ (١١٨٦ هـ) بتدرن الانف وكان محترماً جداً من قبل الافغانيين لعلمه وأدبه وزيادة تدينه يقول عنه الفينستون « كان رجلاً روحانياً ومؤلفاً تتجه مطامحه نحو مراتب القديسين » .

تيمور شاه

تولى العرش تيمور شاه ابن احمد شاه خلفاً لأبيه وتيمور شاه مولود في سنة ١٧٤٦ في مشهد الرضا في ايران أيام وجود أبيه في حاشية نادرشاه ولم يكن تيمور شاه وحيد ابيه بل كان له ثلاثة اخوة هم سليمان شاه ، اسكندر شاه ، وپرويز . وكان الوزير شاه ولي ميالا الى تتويج صهره سليمان لذلك دفع الى تيمور من قتل الوزير واختار القاضي فيض الله رئيساً للوزراء ومنح السردار پاينده خان ابن الحاج جمال خان ورئيس عشيرة « بار اكسائي » لقب « سرفراز خان »

اي صاحب الرفعة لأنه انضم الى تيمور شاه تاركا شاه ولي .

وفي عهد تيمور نقلت عاصمة الافغان من قندهار الى كابل لأنها كانت اهدأ من قندهار . وقد هاجم الهند خمس مرات وبينما كان مشتبكا بقتال السيك في بنجاب ثار عليه حاكم كشمير آزاد خان . وقد حاول مراد شاه ملك بخاري مهاجمة الافغان ولكن تيمور شاه استطاع أن يدحره في ١٧٩٠ . اشتهر تيمور بكثرة ميله الى النساء فقد ذكر السيد جمال الدين الافغاني انقصره حوى ٣٠٠ مرأة لم تكن واحدة منهن افغانية وقد خلف ٣٢ ولداً .

توفي تيمور في ٢٠ أيار ١٧٩٣ ودفن في كابل .

زمان شاه

ارتقى العرش في الثالثة والعشرين من عمره بتعضيد پاينده خان الذي دفعته الى ذلك زوجة تيمور الملكة الحبيبة . وكانت مملكته تضم كابل وغزنه وقندهار وهرات وخراسان وبلخ وبيشاور وكشمير والسند وملتان وبهاولپور ودرجات اسماعيل خان وغازي خان .

وقد لاقى زمان شاه كثيراً من الصعاب وجابه قلاقل أثارها اخوته وأبناء اخوته والايرانيون . فقد كان البارزون من أبناء تيمور : (١) همايون (٢) محمود (٣) زمان (٤) عباس (٥) شجاع (٦) شاهپور (٧) فيروز ، وكان لفيروز ولده احمد ولمحمود نادر ميرزه وكامران وكان لزمان اربعة اولاد : حيدر وقيصر وناصر ومنصور .

وكانت قد ظهرت الاسرة القاجارية في ايران في هذا العهد فطالب آغا محمود خان مؤسس الاسرة ببلخ ولكنه اضطر الى العدول لتعرض بلاده الى هجوم الروس . وقد اضطرب الانكليز من غزوات زمان شاه على الهند ولا سيما عند ما جاء لاهور في سنة ١٧٩٧ .

وفي سنة ١٧٩٨ بدت حركة فتح علي شاه القـاجاري الذي خلف آغا محمود خان فجاء تيمور لاهور وعين رانجيت سينك (راجا) على لاهور وعين اخوه شجاع الملك حاكماً على هرات فاتجه لمقابلة فتح علي شاه . ولكنه سرعان ما وجد المؤامرات تدبر في بلاده وان السبب المهم لهذه المؤامرات عدم استشارته لرؤساء « بير اكرايس » وقزيلباش من الايرانيين المستوطنين في الافغان وغيرهم من الرؤساء الذين يملاون رحاب قصره . وقد زاد الطين بلة انه نبـذ سرفراز خان واختار للوزارة رحمة الله من قبيلة ساروزاي فلقبه وفادار خان وقد استعمل وفادار مركزه ضد سرفراز خان إذ اتهمه بالتآمر مع شجاع . وقد أدى سلوك وفادار خان الى تآمر النبلاء والوجهاء في سنة ١٧٩٩ ولم ينجح المتآمرون وكانت نتيجة فشلهم اعدام سرفراز خان مع بقية المتآمرين . وقد هرب فتح خان اكبر اولاد پاينـده خان الذين يبلغون ٢١ ولداً الى خراسان والتحق هناك بالامير محمود ابن تيمور الثاني . وقد زحف محمود على زمان شاه بتحريض فتح خان فدحر حليفه الاكبر احمد خان النورزاي وهرب زمان لينجو بنفسه فالتجأ الى صديقه ومؤيده عاشق خان الشنواري وبعد هربه اعدم الثوار وزيره وفادار خان .

وتقع قلعة شنواري التي التجأ اليها زمان شاه على بعد ٢٥ ميلاً في غرب جلال آباد . ولكن عاشق خان لم يخلص لضيفه وسلمه الى اسد خان أخي فتح خان حيث قلع عينيه في سنة ١٨٠١ م ويظهر انه قـد أحس بعاقبته فاخفى الحجارة الكريمة « كوه نور » في جدار قلعة عاشق خان التي التجأ اليها وقد اخرجت منه بعد تتويج شجاع .

وقيل انه التحق بعد هذا الحادث بالبريطانيين في لوذيانا حيث خصص له الانكليز مبلغاً قدره ٤٠٠٠ روبية في الشهر وعلى رواية انه توفى ودفن في لوذيانا وعلى رواية اخرى للسيد جمال الدين الافغاني انه التجأ الى امير بخارى

حيث اقترن بابنته الجميلة ثم طلبه فتح شاه القاجاري واستبقاه في ضيافته في طهران ومن هناك قصد بغداد فحل ضيفاً على الوالي داود باشا ومن بغداد ذهب الى الحجاز فتوفي فيها .

شجاع الملك

كان شجاع الملك حاكماً على بشاور عند ما انتهى عهد زمان شاه في سنة ١٨٠٩ فاعلن نفسه ملكاً على افغانستان ثم زحف على كابل في شهر ايلول من تلك السنة وقد اصطدم بفتح خان فتراجع امامه وفي هذه الفترة ارتقى عرش الافغان محمود خان الاخ الاكبر لزمان شاه وشجاع .

وقد اتخذ فتح خان الابن الاكبر لپاينده خان الملقب سرفراز خان وزيراً ولقبه « شاه دوست » اي صديق الملك كذلك اسند منصباً رفيعاً الى شير محمد خان ابن شاه ولي خان من قبيلة البامیزاي ودعاه « مختار الدولة » واطلق من سجن « بالاحصار » في كابل عبدالله خان « هالوكوزاي » والديار محمد خان ثم عينه حاكماً على كشمير . وقد بعث ابنه الامير كامران ميرزا ليقاتل الشاه شجاع الذي اعتصم في ممر خيبر . ومع ان محمود كان ميالاً الى السلم بيد انه لم يستطع أن يتغلب على الظروف التي خلقها التنافس على العرش والتنازع بين القبـائل والطوائف . فقد شق عليه عصا الطاعة الامير قيصر ابن زمان شاه الذي كان حاكماً على هرات في زمن أبيه وبعـد ان فقد الولاية أصبح هو الآخر من المنافسين الفارين . وقد اشتبكت قبيلتا گلزاي والدرانيين ببعضها ثم اشتبك القزلباش والافغان لاسباب دينية . وكان فتح خان خارج العاصمة مشغولاً بمقاتلة شجاع فاستدعى ولما وصل العاصمة وجد الامور قد فلتت من اليـد . وبينما كان شجاع يبيع مجوهراته في منطقة الافريدي ليؤمن معيشة حاشيته استدعي إلى كابل على عجل . وقد هرع اليها فوجد الثورة في عنفوانها وقـد

اتت اكلها إذ قبض على محمود فحجز في « بالاحصار » في كابل وتوج شجاع ملكاً في ١٣ تموز ١٨٠٣ وقد فر فتح شاه من الميدان واعدم عاشق خان الشنوازي لخيانته الشاه شجاع .

ومما يؤثر عن الشاه شجاع انه كتب مذكراته بنفسه وقد جاء فيها :

« بعد ان أقسم الشاه محمود بالقرآن بأنه لن يقترف جريمة الخيانة بعث يطلب عفواً ملكياً وقد عفونا عنه فنقل من القلعة الخارجية إلى القلعة الداخلية بما يليق بمقامه من احترام . وقد طلب فتح خان أيضاً العفو فاعفي عنه . توجه شجاع بعد ذلك إلى كشمير ليؤدب عبدالله خان هالوكوزاي الذي استقل فانتهز فتح خان هذه الفرصة وحرض الأمير قيصر على القيام باغتصاب العرش من عمه وقد عاد شجاع مسرعاً فأخمد الفتنة وقد اعفى عن الأمير الصغير بناء على التماس أبيه زمان ومختار الدولة الذي ترك محمود والتحق بشجاع . وقد جاءت بيشاور في هذا الوقت بعثة الفنستون فمكثت فيها من ٢٥ شباط إلى ١٤ حزيران ١٨٠٩ .

ثم يقول : انه وجد بعد ذلك الحالة تسوء في كابل بتحريض محمود فقد رأى شجاع ان يبعث بنسائه وأخيه الأعمى زمان شاه إلى روالبندي بأمل ان يبذل جهداً جديداً ليقيل حظه العاثر ولكنه مني بالخيبة بعد الخيبة . وقد زحف على بيشاور فاستولى على بالاحصار من حاكم بيشاور محمد عظيم خان البارك‍زاي ولكنه اخرج منها في ١٨١٢ من قبل جهاندار خان حيث التجأ أول الأمر إلى قلعة بيشاور ، ثم سيق إلى وادي كشمير حيث اعتقله عطا محمود خان بيزي اخو جهاندار وابن مختار الدولة .

ثم يقول شجاع في مذكراته : لما سمع محمود خان بالمعاملة السيئة التي عوملنا بها ثارت عواطف الاخوة الكامنة في نفسه فبعث بجيش إلى باراكزاي فنهب وسلب قبيلة عطا محمد ثم أسر رجالاً ونساء وأطفالاً . ولكن لم تؤد هذه الحركة إلى الغاية المتوخاة وهي اطلاقنا من الأسر فبعث بجيش إلى كشمير

بقيادة فتح خان . وخرج عطا لاغاثه ولكن رجاله التحقوا بالوزير ولما وجد عطا نفسه في مركز حرج في أوائل ١٨١٣ التجأ الينا يطلب العون إذ كان من الصعب ان يهرب بدون مساعدتنا فجاء إلى معتقلنا حاسر الرأس يحمل القرآن بيد وسيفاً بيد وقد وضع حبلاً في عنقه وأخذ يلتمسنا العفو بحق المصحف الشريف فعفونا عنه »

وقد طلب فتح خان إلى رنجيت سينك ان يعاونه فبعث اليه بمحكم چند وقاد هذا حملة السيخ إلى كشمير من جهة بينما كان يهاجم الوادي فتح خان من الجهة الاخرى . فاستلم الناظم الثائر (الحاكم) وجاء محكم چاند يبلغنا (يقول شجاع) بان رانجيت سينك حريص علينا ويريد ان نذهب الى لاهور حالما نتحرر من الاسر وان نقصد قصرنا الملكي في لاهور . وقد تقدم الينا فتح خان بنفس الرجاء فقبلنا الذهاب إلى لاهور بصحبة محكم چند وغيره من السيك وعاد فتح خان إلى الشاه محمود في كابل . وقد فهم حينئذ ان رنجيت سينك يطمح إلى الحصول على الحجارة الكريمة « كوه نور » اذ جاءنا رسول من رانجيت سينك في ثاني يوم وصولنا لاهور يطلب الحجارة الكريمة لسيده . وقد طلب شجاع امهاله ليفكر في الامر .

وقد مضى شهر كان خلاله رجال رانجيت سينك يتجسسون ليروا حاجتنا إلى المال وأخذوا يتساءلون عما إذا كنا على استعداد لتوقيع معاهدة أو اتفاق مع رانجيت سينك قبل ان نسلم « الجوهرة » . فرددنا عليهم بالايجاب . ثم جاء رام سينك يحمل الينا ٤٠ أو ٥٠ الف روبية وطلب الحجارة « كوه نور » فوعدناه بتسليمها عندما يتم التوقيع على معاهدة بين الطرفين . بعد يومين جاء رانجيت سينك بشخصه وأقسم بعظمة بابانانك ومؤسس عقيدة السيك ، وبسيفه ثم وقع عهداً يتضمن ما يأتي :

انه يسلمنا الينا وإلى ورثتنا ولايات « كوت كاليا » و « جهان سيال » و « كالانور » ويساعدنا بالمال والرجال لاستعادة عرشنا . وقد تعهدنا له بدورنا ان نعتبره حليفاً دائماً إذا ما ارتقينا عرشنا . ثم اقترح ان نتبادل « العمة »

وهو شعار الصداقة الدائمة لدى السيك وبعد ذلك سلمناه الحجارة « كوه نور »

قال جون ويليام كي : ان رنجيت سنيك سلب الملك المنكوب كل شيء فلم يترك لديه ماله أية قيمة . ويقول شجاع : رغم كل ذلك انه لم يف بأي وعد من وعوده . فقد كان الجواسيس يحفون بنا والحراس يحيطون بمحل سكنانا . ففكرنا بالصداقة التي عرضها علينا البريطانيون ورأينا ان نلتجأ اليهم في لوذيانا . وقد أمكن نقل نساء القصر ورجاله وحواشيهم بملابسهم الوطنية إلى معسكر لوذيانا ، وبقي شجاع في لاهور يفكر بالهروب . « وقد احيط شخصنا (يقول شجاع) بسبعة حلقات من الحرس المسلح يحمل بعضهم المشاعل فيرقبوننا عند النوم . وقد دام الحال على هذا المنوال عدة اشهر »

ثم هرب شجاع في زي سائل يرافقه اثنان من أعوانه وبعد ان ساروا في الشارع دخلوا في الخندق المحيط بسور المدينة وبعد ان خرجوا من لاهور لم يتجهوا إلى لوذيانا بل إلى « جمو » وقد التحق بهم بعض السيك الساخطين على رانجيت سينك فوصلوا « كشتوار » حيث استقبلهم ملكها « الراجا » واستضافهم لديه فاكرمهم . وقد وعدهم بالمال والرجال . وخلاف ما كان يؤمل شجاع منيت حملته على كشمير بالخيبة والخذلان .

يقول شجاع نفسه : « وكنا على بعد ثلاثة فراسخ من معسكر عظيم خان وكانت مدينة كشمير الفاتنة (سرينا كار) ملء أبصارنا حين بدأ الثلج يهطل وحين هاجت العاصفة وظلت تهب يومين كاملين بكل عنف من غير هوادة . وقد أثر الثلج على جنودنا وهم لم يعهدوه في بلادهم وقد سد الطريق التي جئنا منها فحال بيننا وبين الذخائر والارزاق . وقد اضطر جنودنا إلى احتمال الجوع ثلاثة أيام وقد مات كثير من الجنود فلم يكن لا الزحف ممكناً ولا التراجع مضمون العاقبة ، وقبل ان نقرر التراجع رأينا البعض يفقدون أيديهم والبعض أرجلهم من شدة البرد . » وقد تراجع شجاع أخيراً بعد ان أدى الثمن غالياً بما قدم من ضحايا وقد بقي ضيفاً لدى « راجا كشتوار » تسعة أشهر بناء على

التماس الراجا والحاحه . ثم لم يبدأ من الانسحاب والالتحاق باسرته في لوياذنا في شهر ايلول ١٨٩٦ .

وحينما تقبل شجاع الملك في لوديانا فيتداول المخصصات من الانكليز لم تكن الحالة مستقرة في كابل فقد كان النزاع بين القبائل والاسر والامراء على قدم وساق وكان القتال بين الافغان والايرانيين القاجار سجالاً . وعندما كان فتح خان في الغرب بعد غزوة القاجاريين كان اخوه الاصغر دوست محمد خان في كابل وقد حضر يوماً في قصر الامير كامران فزق مناط الحلي من صدر تقية بيكم اخت الامير كامران بشيء من الحمق فاعتبر كامران هذا العمل اهانة له فأقسم بان ينتقم منه . هرب دوست محمد على أثر هذا الحادث إلى أخيه عظيم خان حاكم كشمير حينذاك . قام الامير كامران على الاثر بالانتقام من فتح خان إذ قلع عينيه أولاً ثم أباده بعد ان قطعه اربا اربا . لم يشر الشاه شجاع إلى هذا الحادث في مذكراته سوى انه اكتفى بالقول ان الوزير فتح خان طمح إلى العرش فاعدمه الامير كامران وكانت نتيجة هذا الحادث ان قرر دوست محمد الانتقام لابيه ومع ان عظيم خان لم يقره على الخطة التي خطها بيد انه دفع اليه بين ثلاثمائة الف واربعمائة الف روبية لقاء نفقات الحملة . كان الامير الصغير الجميل جهانكير ابن كامران ملكاً اسمياً في كابل في هذا الوقت وكان الحكم الفعلي بيد عطا محمود خان بامبزاي حاكم كشمير السابق وهو الذي حرض كامران على قتل فتح خان . فزحف دوست محمد خان على كابل وبعد ان قتل عطا محمود خان جعل نفسه حاكماً على كابل ولكنه اجلس على العرش الامير سلطان علي أحد أولاد تيمور . ولما بلغ هذا التطور مسامع كامران زحف هو ومحمود من هرات وقد جاء عظيم خان أيضاً من كشمير فقال ان جميع أقرباء فتح خان أقسموا باعادة الشاه شجاع إلى العرش وانه على استعداد ان يأتي بالرجال والاموال من كشمير وقد اتخذت التدابير من أجل ذهاب عظيم الى بيشاور ليستقبل شجاع بعد ان احيط بالتدابير ولكن

حركة عسكرية بارعة أدت إلى هرب كامران ومحمود من الميدان تلا ذلك حرمان شجاع من العرش وقد احتفظ دوست محمد خان بكابل وغزنه وقسم بقية الولايات على اخوته وفي هذه المرحلة من التاريخ انتهت علاقة الافغان بكشمير حيث استولى عليها السيك في ١٨١٩ .

(٢) وقائع الحكم الافغاني في كشمير

بدأ الافغان حكمهم في كشمير بالارهاق والاضطهاد فان عبد الله خان ايشاق آقاسي[1] حاكم كشمير الافغاني حكم ستة أشهر خرج خلالها من كشمير غانون من كبار التجار مولين وجوههم شطر الهند بلدهم الاصلي لانهم لم يطيقوا الحالة التي سادت كشمير نتيجة لسياسة السلب وزيادة فرض التكاليف على الشعب .

وقد ركدت التجارة وتضرر التجار وكبار الملاكين . وقبل أن يغادر عبدالله كشمير عين « سوخ جيوان مال » ناظماً يساعده نائبان هما الخواجة عبدالله الياس مدير رواتب الجيش الافغاني في كشمير وخواجة كيجاك وقد عين الخواجه أبا الحسن بنده مستشاراً لسوخ جيوان مال . وعندما وصل عبدالله خان كابل وضع امام سيده عشرة ملايين روبية سلبها من الكشميريين التعساء . وقد صحب معه الى كابل أبو القاسم خان صافي نائب الحاكم في عهد المغول ونواب فيروز الدين ابن النواب أبي البركات خان فيروز جنك صوفي وقد استقبلهم احمد شاه الدراني فغمرهم بلطفه واحسانه .

لقد حكم كشمير في العهد الافغاني ٩٤ حاكماً حاول معظمهم الانفصال والاستقلال لأن ملوك الافغان كانوا مشغولين طوال الوقت اما بمقاتلة الايرانيين

---

(١) اعتبر بعض المؤرخين أصل هذا اللقب مغولياً محرفاً من شاه غاسي بمعنى رئيس الديوان ولكننا نعتقد ان ايشيق اقاسي أو اوشاق اقاسي اقرب الى الحقيقة فان ايشيق اقاسي تعني سيد النور واوشاق اقاسي سيد الاولاد بمعنى رئيس .

او بغزو الهند او بالاضطرابات الداخلية والفتن والثورات الناشئة عن الاحقاد القبلية او المنازعات الطائفية او التنافس على العرش . وقد تمتع بعض « النظـام » بالاستقلال في فترات من الزمن ولكنهم سرعان ما اخضعوا الى حكم المركز . وكان سوخ جيوان أول من حاول الاستقلال بمعاضدة ابي الحسن بنـده أحد وجهاء كشمير .

ويقال ان السبب الذي حمله على محاولة الاستقلال هو طلب الشاه احمد الدراني مبلغاً كبيراً من المال ليلاقي به نفقات حروبه ولم يجد سوخ جيوان امكاناً لايجاد هذا المبلغ بعد أن أخذ عبدالله خان كل ما يمكن تحصيله من الشعب . وقاومه الخواجه كيجاك ومالك حسن خان الايراني وعزام خان وميرزا خان ولكنهم دحروا في براهولا . وقـد اتصل سوخ جيوان بالامبراطور المغولي علمكير الثاني في دهلي وأخذ يقاوم الشاه احمد الدراني فلما بعث بحملة ثانيـة بقيادة عبدالله خان ايشاق كذلك منيت بالخيبة والخذلان . وكان الشاه احمـد الدراني نفسه مشتبكاً في هذه الآونة في حملة بنجاب وقد استطاع أن يخضع المارانا في معركة بانيبات الثالثة ٦١ ـ ١٧٥٩ .

صادف ان حلت في هذا الزمن مجاعـة خطيرة في كشمير فاشغلت سوخ جيوان وقد برهن أبو الحسن بنـــده على كفاءة فائقة في تخفيف آلام السكان . فقد أقرض السكان كميات من الحبوب لم يسترجعها كاملاً إلا في سنة ١٢٥٠ هجرية (١٨٣٤ م) ولما رأى سوخ جيوان مال حالة البنجاب المضطربة حاول انتهاز هذه الفرصة للاستيلاء على سيالكوت وبهمبار وآخنور ولكنه تلقى ضربة قوية من حاكم سيالكوت يارخان بسبب حسد رانجيت ديو راجا جمو .

ولما علم الشاه احمد الدراني بان سوخ جيوان مال حصل على لقب « راجا » من علمكير الثاني وأخذ يضرب النقود باسمه ويتصرف تصرف الحكام المستقلين استناداً الى اعتراف علمكير به هيأ له قوة بالاتفاق مع راجا رانجيت ديف ملك

جو فوضعها بقيادة نور الدين خان بامبزاي وقد خابت هذه الحملة في شهر تموز لأن جميع الممرات المؤدية الى كشمير كانت محروسة حراسة قوية ولم يكن في وسع القوة أن تعبر الانهر الطاغية لذلك جهز حملة اخرى في تشرين الاول ١٧٦٢ حاول سوخ جيوان مال أن يقاومها على رأس قوة مؤلفة من خمسين الف رجل ولكن تنحى قائده العام بخت مال أدى الى انحداره حيث فقئت عيناه بالرمح ثم اخذ بالسلاسل والاغلال الى احمد شاه الدراني في لاهور فأمر باعدامه .

كتب عنه أحد معاصريه غلام علي آزاد بيلغرامي في كتابه خزانه يي أمير يقول :

كان المشار اليه (أي سوخ جيوان مال) جبل الظلمة متصفاً بالصفات الطيبة قريباً من الاسلام . وقد عمر جميع اضرحة الكبراء وعمر بساتين كشمير وكان يدعو كل يوم بعد الانتهاء من عمل الديوان مائتين من المسلمين يتناولون ألواناً من الاطعمة على مائدته . وكان يأمر كل شهر بتوزيع ٩٢و١٩ وجبة (كذا) من الطعام على الفقراء وكان يرعى كل درويش يأتي البلاد او يخرج منها وكان يقيم كل اسبوع مجلساً للشعر يحضره جميع شعراء كشمير ويتناول الجميع الطعام في آخر المجلس .

وقد عين خمسة من العلماء لتدوين تاريخ كشمير من أول سكانها الى زمانه جعل على رأس اولئك الخمسة محمد توفيق وهـذا لقبه ولكن اسمه « لاله جو » وليس له نظير اليوم بين علماء كشمير .

يقول مؤلف تاريخ حسن انه اختلف مؤخراً مع أبي الحسن بندة فعزله وأحل محله مير مقام ثم عزل هذا أيضاً وأحل محله الباندیت ماهانند دار وفي عهد هذا انقلب سوخ جيوان ظالماً وأخذ يضطهد المسلمين ويمنعهم حتى من المناداة للصلوة .

خلفه نور الدين خان مصلح الدولة بامبزاي حاكماً على كشمير وقد حاول

هذا أن يصلح البلاد الهندكي وأن يعيد اليها سعادتها . وقد شعر السكان بشيء من الرفاه في عهده . وقـــد تلاه بلند خان ففرض على الاهليين ضرائب عالية وعامل المسلمين والهندوكيين معاملة واحدة .

عين نور الدين خان راميزاي مرة ثانية حاكماً على كشمير في سنة ١٧٦٥ يساعده المستشاران مير مقام كنث وبانديت كيلاش دار وكان الثاني مسؤولاً عن ايرادات البلد .

وقد حرض مير مقام نور الدين على أن يطالب الى بانديت كيلاش دار دفع الواردات يومياً وقد وجد كيلاش دار في حكيم مير وسيلة لقتل خصمه مير مقام بصورة سرية . ولما افتضح الامر لم يحاول نور الدين تقديم المجرم الى العدالة تاركاً جان محمد خان ابن أخيه في محله فقصد الى كابل يعرض الامر على احمد شاه إذ خيل اليه ان الحادثة تخفي وراءها احداثاً لا يريد أن يتحمل مسؤولية انبثاقها . تقدم لال خان خاتاق في هذه الآونة فاخذ الحكم من جان محمد خان فبدأ عهداً من الجور والارهاب . وقد عين حزم خان خلفاً لنور الدين خان من كابل ولكنه لم يتمكن من تسلم مهمته قبل أن يدحر لال خان الذي أخذ يقاوم الحاكم الجديد وقد اسفرت المعركة في الاخير عن هربه والتجائه الى قلعة بيرو الكائنة في غرب سرينا گار بالقرب من پاتان . ظهر في هذه الآونة فقير الله ابن مير مقام كنث يريد أن ينتقم لأبيه من القاتل . وقد ظهر في سوبور يعاونه جيش السلطان محمود بامبا .

فانبرى له لال خان خاتاق ولكنه اندحر فعاد إلى حصنه وقد فقد عينـاً واحدة . وكان فقير الله على حين غرة في كرسي الحكم في سنة ١٧٦٧ ولـكن حلفاءه البامبا اخذوا يظلمون الناس ويشيعون الفوضى بحيث افتقدت كشمير حكومة منظمة مسؤولة مدة ١٩ شهراً . ثم عين نور الدين خان المرة الثالثة في ١٧٦٩ إذ لم يكن غيره من يستطيع السيطرة على الوضع واعادة الامور إلى انصبتها .

وبعد ان اشتبك فقير الله مع نور الدين قرب قرية كوريبور في تحصيل بلوامه تراجع فقير الله فالتجأ إلى حاكم مظفر آباد . وقد حاول بعد هذا ان يواصل المقاومة غير انه مرض مرضاً شديداً لكثرة انهماكه بتناول المسكرات ومات في شاديبور . وقد حكم نور الدين سنتين أزال خلالها المساوىء باظهار القوة والحزم .

عاد في هذه الفترة باندیت کیلاش إلى المسرح بان حرض صاحبه خرم خان ان يعمل جهده خلال وجوده في كابل على كسب « صبه دارية كشمير » وقد فاز بما رمى اليه إذ عين خلفاً لنور الدين في ١٧٧٠ م . ولكن لم يبرهن خرّم خان على كفاءة في الحكم وعلى العكس أظهر جبناً ازاء الامير محمد خان جوان شير قزلباش قائده العام مما شجعه على ان يطرده ويحل محله .

وقد نظم الامير محمد عمال الزوارق وأعدهم لأغراضه . وانشأ حصن شير ـ گارهی الذي كان إلى زمن متأخر محل اقامة المهراجا بهادور كذلك أنشأ جسر « اميرا كادال » و « كادال » في اللهجة الكشميرية « جسر » لذلك يكون اسم الجسر « جسر الامير » وقد أعاد انشاء بناية على جزيرة تدعى « سونالانك » وأنشأ الحديقة المعروفة باسم امير اباد ولكنه اساء إلى ذكريات المغول بهدمه القصور الملكية والمباني التي أقامها ملوكهم ووجهاؤهم وقد توفي أحمد شاه الدراني في ١٣ نيسان ١٧٧٢ مما شجع الامير محمد خان جوان شير على الاستقلال الفعلي بعد ان امضى ست سنوات في الحكم . بيد انه كان حاكماً ظالماً عامل المسلمين والهندوكيين معاملة سيئة جداً وقد انتقم من الباندیت کیلاش دار للعبر مقيم بقتله كيلاش . وقد اتخذ مير فضل خان « بيشكار » أي سكرتيراً عاماً وكان هذا رجلاً مستبداً متلاعباً مزعجاً اشاع المساوىء في البلد . وقد تضررت سرينا گار في هذه الآونة بسبب الطغيان .

وأخيراً عين تيمورشاه ابن احمد شاه الدراني الحاج كريم داد خان بامیزاي حاكماً على كشمير في سنة ١٧٧٦ وكان الحاج من أهالي قندهار وكان

قائد الفرسان في معركة بانيبات . فقد هاجم الامير محمد خان جوان شير وبعد أن دحر جيشه قبض عليه فأرسله إلى كابل مقيداً بالسلاسل، وبقي هناك معتقلاً مدة طويلة ثم عفا عنه تيمور شاه .

بدأ الحاج كريم خان حكمه باخضاع مراد خان راجاسكاردو وقد ارغمه على اداء الجزية وتسليم رهائن وقد أنعم عليه تيمور شاه بلقب شجاع الملك تقديراً لخدماته ومآتيه . ثم دحر رانجيت ديف ملك جمو الذي هاجم كشمير على رأس جيش يبلغ ٣٠ الف رجل اتجه بعد ذلك إلى محمود خان رئيس مظفر آباد الذي اخر حركاته بالتزامه جانب الامير محمد خان جوان شير . غير انه تحمل خسارة كبيرة بسبب خيانة فتح خان رئيس كاناي (التابعة إلى تحصيل اورى) إذ انه قاد جيش تار قولى إلى مضيق ثم جرده من سلاحه . وحالما عاد تار قولى اعدم . وفي سنة ١١٩٥ هجرية (١٧٨٠ م) قاد كريم آباد نفسه جيشاً ضد محمود خان ولكنه اضطر الى التراجع أمام ضربات بادر خان ابن بيرم خان باكار . وقد استطاع في السنة التالية ان يستولي على كشتوار .

عرف الحاج كريم آباد بالقساوة إذ كان يقتل المسلمين والهندوكيين لاتفه سبب وقد أرهق الشعب بضرائب متنوعة منها « زارى نياز » وكانت تفرض هذه الضريبة على أصحاب المناصب والاقطاعيات و « زارى اشخاص » ضريبة اخرى تستوفى من التجار والصيارفة و « زارى حبوب » ضريبة تفرض على المحصولات الزراعية . وقد صادف ان تآمر عليه بعض الباندیت بالاشتراك مع (البعباس) فحكم عليهم بالموت بالدخان . لذلك قرر ان يفرض ضريبة تدعى « ضريبة الدخان » يدفعها من يريد النجاة من الموت وقد فرض « داغ شال » ضريبة آنة واحدة في كل روبية من ثمن الشال الكشميري الذي تم حياكته . ومما يذكر من محاسن أيامه في كشمير أنه أصلح سقف المسجد الجامع من ايرادات أوقافه وكان كثير التردد على اضرحة الائمة والصالحين . وقد انتقم للخواجه كمال الدين النقشبندي الجالس على سجادة الخانقاه النقشبندي باعدامه أنور

مالك شاه آبادي ورفقاءه الذين اقترفوا جريمة قتل النقشبندي .

مات كريم آباد في ١١٩٧ هجرية (١٧٨٣ م) بعد حكم دام سبع سنوات ولما كان ابنه آزاد خان مبعوثاً على رأس حملة فقد اخفي امر موته إلى ان عاد ابنه ، وقد خلف ازاد اباه الحاج كريم آباد خان في ١٧٨٣ م ومع انه كان في الثامنة عشرة من العمر أظهر كفاءة فائقة في السيطرة على زمام الامور وقد سلك في حياته سلوكاً لا أثر فيه لنزق الشباب وهواية اللذائذ والمغريات وكان حازماً وقوياً بحيث لقبه الاهلون « نادر شاه كشمير » . اتخذ ديلارام قولي رئيساً لسكرتاريته وأدخل في جيشه ثلاثين ألف جندي من السيك . وبعد ان قوي جيشه بدأ يوسع نفوذه ويبسط سلطانه على البلاد المجاورة . وقد أخضع راجا كشتوار قبل كل واحد ولما رآى رستم خان رئيس البونج عدم امكان الوقوف أمام آزاد ترك بلدته وقد استمر فيها النهب اسبوعاً بعد ذلك .

بيد أن رستم استطاع آخر الامر التقرب من آزاد بالهدايا الثمينة ونشأ عن هذا التقارب اقتران آزاد بابنة رستم حيث انجبت ولداً دعي فتح جنك خان . ثم اخضع راجا راجوري ايضاً وقـد حاول آزاد ان يشق نهراً لارواء سهل « مياسوم » على مقربة من سرينا گار ولكنه لم يوفق إلى ذلك رغم استخدامه جميع فلاحي مار راج وكام راج . ولما كان تيمور شاه قائماً بغزوته الرابعـة على الهند في سنة ١٧٨٥ اعلن آزاد استقلاله على كابل ، ولكن تيمور لم يقره على ذلك فبعث بكفاية خان نصرة أحـد وجهاء كابل المدعو ميرزه محمد علي لاخذ الجزية من آزاد وقد عاد كفاية خان يحمل إلى سيده ٣٠٠ الف روبية . ولكن لم يعتبر كفاية خان ناجحاً في مهمته فبعث تيمور بأخوي آزاد خان مرتضى خان وزمان خان وبعد قتال دام ثلاثة أيام تراجعا ولم يتمكنا من العود إلى الميدان بسبب انتشار المجاعة والكوليرا فاستمر آزاد خان يحكم كشمير مستقلا وقد حاول قتله ابناء عم پهلوان خان وغيرهم ولكنهم لم يوفقوا إلى ذلك فثاروا عليه ولكنه قبض عليهم وأعدمهم .

وقد حصلت مجاعة في كشمير في عهد آزاد بحيث افتقد منها حتى الملح كذلك حصلت سلسلة من الهزات الارضية زادت في شقاء السكان وقد توسلوا إلى تيمور شاه ان يسعفهم . يذكر الفينستون ان هذا العهد يصادف بين سنتي ١٧٨٦ عندما حمل تيمور على السند وبين ١٧٨٨ عندما حمل على بهاوال خان حاكم بها ولبور .

وقد جاء كشمير سيف الدولة مدد خان الدراني وبايندة خان البراكزاي على رأس قوة تتألف من خمسين الف فارس وماش وقـــد زحف بايندة خان من مظفر آباد عن طريق برامولا على رأس قسم من القوة فاشتبـك مع آزاد وزحف مدد خان الدراني على رأس قسم آخر من القوة عن طريق كارنا فدخل العاصمـة سرينا كار . فتراجع آزاد خان إلى خوشيبور كاريوا المجاورة الى زينا كوت وبحيرة ها كورسار بيد ان كبار قادته وأعوانه انصرفوا عنه فلما أحس بحرج الموقف هرب الى بونج ثم رمى نفسه بطلقة وانتحر وهو لا يزال في الـ ٢٧ من العمر .

تلاه في الحكم سيف الدولة مدد خان الدراني ودام حكمه تسعة أشهر لم يكن يختلف عن حكم آزاد وقد تم نقله واحلال امير دادخان محله قبل ان يتمكن من اقرار الامن والنظام واعادة الهدوء والسكينة الى البلاد . وحكم مير دادخان سبعة أشهر ارهق خلالها الاهلين بالضرائب الفاحشة واستطاع ان يخضع خلال حكمه امير جعفر خان حاكم كاماراج . توفي مير داد في سنة ١٧٨٨ م . وخلفـه جمعه خان الدراني هالوكزاي وقد حكم اربع سنوات . جاء عنـه في أحسن التواريخ لمؤلفه القاضي عزيز الدين « المفتي الاعظم » في كشمير : غادر جمعه خان كابل في ٢٧ شعبان ١٢٠٢ (١٧٨٧ م) الى بخلي وبعث من هناك ابن أخيه ليتقدمه في دخول كشمير وقد وصل جمعه خان كشمير في شهر رمضان واطلق من السجن مير جعفر كنث .

وقد أظهر حسن علي خان بامو حاكم كاماراج وعلي خان حاكم بونج وكرم الله خان حاكم راجوري آثار التذمر والاضطراب فاخضعهم . ومما ينتقد عليـه

جمعه خان انه فرق بين الشيعة والسنة ومنع الشيعة من اقامة المآتم في شهر محرم وجبي رسوم المحاكم الشرعية والمدنيـة بطريقة الالتزام . توفي جمعه خان في ١٧٩٢ ودفن في ساحة ضريح السيد قمر الدين الخوارزمي ولكن نقل جثمانه بعدئذ الى قندهار .

قام بعد ذلك بمهام الحاكم رحمة الله بصورة وقتية الى ان وصل الميرهزار خان وقد توفي تيمورشاه في عهد هزار خان في ١٨ أيار ١٧٩٣ في كابل حينما كان يستعد لحملته السادسة على الهند . وقد خلفه زمان شاه فأيد هزار خان حاكماً على كشمير .

كان هزار خان ميالا الى الاستقلال عن كابل وقد شعرت كابل بذلك فبعث اليه اباه ميرزا خان ينصحه بالكف عن ذلك غير انه اعتقل اباه وأعلن استقلاله . وقد تعسف مع الهندوكيين وفرض عليهم الجزية . فلما بلغت أنباؤه كابل عين زمان شاه القائد أحمد خان شاهينانك باشي ورحمـة الله خان للتنكيل به ولما انصرف عنه النبلاء والاعيان التجأ الى خانقاه «معلا» حيث اخرج واعتقل وقد دام حكمه في كشمير اكثر من ١٤ شهراً .

وعين رحمة الله خان حاكماً في ١٧٩٤ بيد انه استدعى بعد أربعـة أشهر لاختلافه مع احمد خان شاهينانك باشى وقد خلفه كفاية خان في ١٧٩٤ وكان رجلاً سخياً حكيماً اوقف المنازعات الطائفية السائدة بين الشيعة والسنة . وقد اخمد ثورة قام بها البامباس في كامراج ولكن اختلاف نبلائهم واشتباكهم في نزاع عنيف أدى الى عزله في سنة ١٧٩٥ فتلاه اصلان خان وقد أحيا هذا عادة الصبته دارية الذين عينوا في أواخر أيام المغول فبعث الامير محمد خان جوان شير يحكم بالنيابة عنه وقد ثار عليه بعض اقاربه الذين كانوا يتقلدون بعض المناصب في جيشه .

وصل من كابل على أثر هذا الحادث حافظ شير محمد خان مختار الدولة ابن شاه ولي خان رئيس وزراء احمد شاه الدراني فاخذ المتنازعين الى كابل وقـد

أصبح مختار الدولة رئيساً للوزراء في عهد زمان شاه . وبذهاب المتنازعين الى كابل شغر منصب الحاكم فانيط بعبدالله هالوكوزاي في ١٧٩٥ وقد حكم هـذا كشمير نحو ١١ عاماً . وكان الحـكم الفعلي في الثلاث سنوات الاولى في يد اخوانه الذين تناوبوا في الحكم فكان حكمهم رشيداً مما يدل على اخلاصهم للواجب .

وقد جاء بشخصه الى كشمير في سنة ١٢١٣ (١٧٩٨) فاخذ يوطد نظامه ويرسخ اقدامه في كشمير ويستعد لتحقيق مطامحه بعد أن رأى الاوضاع في تطور مستمر في كابل . فقد عمل قبل كل شيء على اخلاء العاصمة من الرؤساء والوجهاء الذين يخشى عداؤهم ثم عين المناصب العالية اناساً من الطبقات الواطئة وأعد جيشاً قوامه ٣٠ الف مقاتل وحالف حكام البلاد المجاورة . ومن أجل ذلك اقترن بنت فتح خان عبا رئيس مظفر آباد .

وقد راعى جانب الامن والعدل في حكمه . ولكن اختلافه مع رئيس ديوانه « هارداس » سبب استدعاءه الى كابل . إذ كان هارداس من رجال ناندرام الذي استوزر في عهد زمان شاه بناء على كونه من اصدقاء رحمة خان رئيس وزراء زمان شاه الملقب وفادار خان . وقد بلغ ناندرام من السلطة بحيث نظم فيه احد بانديت كشمير مفتخراً بمركزه :

سكه زد درملك كابل نندرام   أي مسلمانان بخوانيد رام! رام!

أي : ضرب « نندرام » نقداً في ملك كابل

فاقرأوا أيها المسلمون رام ! رام !

وهذه سيئة من مساوىء كثيرة اتاها الافغانيون مهدت لانتقال الحكم في كشمير من اليد المسلمة الى يد الهندوكية كما يرى القارىء فيما يأتي .

ذهب عبدالله خان الى كابل فسجن في بالاحصار في كابل ولكنه قبل أن يغادر كشمير جاء باخيه عطا محمود خان فاجلسه محله وكتب اليه والى رئيس مظفر آباد سراً ان يقاوما الحاكم الجديد وأن يحفظا له البلاد .

وقد عين الوزير وفادار خان أخاً آخر لعبدالله اسمه وكيل خان حاكماً على

كشمير وكان وكيل خان مقيماً في كشمير وبعث ملا احمد خان لتنفيذ الامر . بيد ان عطا محمود قتل وكيل خان ثم دحر الملا احمد خان وقبض عليه .

وفي ١٢٦١ هـ (١٨٠١) قبض على زمان شاه ففقئت عيناه ونودي باخيه حاكم هرات مالكاً على افغانستان . وكان هذا الحادث مشجعاً على ثبات الثوار وقد استمر عبدالله خان على التآمر ثم هرب الى كشمير مع جان نثار علي خان قائد قلعة بالاحصار في بيشاور وقد اعطاه مئة الف روبية . ولما وصل كشمير انشأ حصناً في بيرو ثم قطع الجزية عن الملك وأعلن استقلاله .

وقد أشار السائح فيگنه الى اشتغال مناجم النحاس في كشمير في عهد عبدالله مما يدل على حسن تدبيره وكفاءته .

كانت كابل في هذا الدور في تبدل مستمر فقد خلع شجاع الملك أخو زمان شاه الملك محمود شاه الذي خلع زمان شاه .

وقد أرسل شجاع الملك حافظ شير محمد خان مختار الدولة الى كشمير في سنة ١٨٠٩ لاخضاعها لحكمه . ولكي يتمكن من خدع خصومه أظهر عند وصوله مظفر آباد بانه قدم ليقوم ببعض المداولات . وبعد أن مده الراجات المجاورون بالقوات فاجأ عبدالله خان بهجوم خاطف فتراجع جيش عبدالله اولا ثم وقف في قرية دو آيفا تحت سوپور وفي مفرق بوهور وجيلوم حيث خاض معركة منيت بالخيبة فتراجع عبدالله الى حصنه في بيرو . فصدرت الاوامر الى عطا محمد خان ابن حافظ شير محمد خان بحصر الحصن . وقد توفي عبدالله خان في سنة ١٨٠٧ في أثناء الحصار . كتب عنه الفنستون يقول « كان عبدالله خان طيب الخلق على قدر كبير من الشجاعة . ويؤثر عنه حبه للعدالة وقدرته على الادارة وحريته وشخصيته الملكية اللامعة . كان كذلك من اكبر مشجعي التعليم وقول الشعر . ولعله لم يترك أي من الدرانيين مثل هذه المآثر التي تثير الاعجاب . (وصلت بعثة الفنستون بيشاور في ٢٥ شباط ١٨٠٩ وغادرتها الى كابل في ١٤ حزيران) .

تجددت الاضطرابات في كابل سنة ١٨٠٩ حينما اطلق سراح محمود شاه فنشبت الحرب بين الامير قيصر بن زمان شاه وبين الامير كامران بن محمود . وقتل شر محمد خان مختار الدولة ابن الشاه والي خان الذي تقلد منصب رئيس الوزراء في عهد احمد شاه الدراني ثم دحر عظيم خان شجاع فالتجأ الى رنجيت سينك ملك بنجاب السيك .

وقبل أن يقتل حافظ شر مختار الدولة غادر كشمير بعد أن أقام فيها خمسة أشهر وأناب عنه في ادارتها ابنه عطا محمد خان[1] وكان ذلك في سنة ١٢٢١ هجرية الموافقة سنة ١٨٠٦ ميلادية .

حكم عطا محمد خان كشمير باسلوب ساعد على تقدم البلاد كثيراً فقد نمت التجارة وزادت ايرادات الخزينة فبلغت عشرة ملايين روبية في سنة . ومما يدل على حرصه الزائد على اقامة موازين العدل كان يتولى بنفسه استماع المنازعات المهمة ويفصل بين المتنازعين . اصطنع البساطة في حياته الخاصة والعامة ظاهراً وباطناً ورعى العلماء والزهاد .

وفي نحو السنة ١٨١٠ نازع « نيندان سينك آتا » رانجيت سينك وترك البنجاب متجها نحو كشمير حيث التحق بخدمة عطا محمد خان . وفي نفس السنة أعلن عطا محمود استقلاله حين رأى الشاه شجاع والشاه محمود يبعث كل بحملة خاصة ضده . وقد ضرب عطا النقود باسم الشيخ نور الدين الريشي التقي الزاهد وقد سبق فذكرنا سيرته عند التحدث عن نشره الاسلام في كشمير . وقد بعث الشاه شجاع الملك اكرم خان وافضل خان ايخضعا عطا ويحل محله اولها المرشح لحاكمية كشمير .

ولكنهما اندحرا امام عطا في شاهدارا في تحصيل راجبوري وعاد عطا محمد الى مقره منتشياً نشوة النصر ولكن هذه النشوة لم تنسه واجب تحكيم البلد

---

(١) ورد اسم عطا محمد خان في اكثر من معجم مرة اخاً لعبدالله خان ومرة ابناً لحافظ شر مما يدل على ان عطا بن حافظ شر هو غير عطا بن عبدالله .

فقد أنشأ القلاع في سوبور ورامولا وفي قمة كوهماران وأنشأ حصوناً صغيرة اخرى عديدة في المواقع الستراتيجية الممتدة من مظفر آباد فصاعداً . كذلك ادخر كميات كبيرة من العتاد محتاطاً للمستقبل .

وقد لعب عطا لعبة بارعة بواسطة « ديوان ناندرام » وأخيه جهانداد خان فدعا شجاع الملك من بلدة « تالاما » الكائنة على بعد ٦٠ ميلاً من شمال شرقي ملتان حيث يتصل نهرا « راڤي » وشيناب ببعضهما في بنجاب . وكان قد انسحب شجاع إلى هذا المكان بعد ان طرده محمود شاه الولد الثاني لتيمور شاه فحالما تلقى دعوة عطا محمد اسرع الى كشمير بيد ان عطا حصره في قلعة كوهماران (في هاري پاربات) وبعث بأخيه جهانداد ليحتل قلعة اتوك .

رانجيت سينك وكشمير

بناء على ما القى زمان شاه وشاه شجاع من عطف حكام اتوك وكشمير قرر فتح خان وزير محمود شاه ان يعاقبهما ولما كان رانجيت سينك محادداً ومتصلاً بالبلدين وبافغانستان بصلة الجوار تكونت بينه وبين فتح خان علاقات وثيقة أدت إلى توقيعهما اتفاقية تقضي بأن يسمح رانجيت سينك بمرور قوات فتح ببلاده وان يعاون هذه القوات بـ ١٢٠٠٠ من السيخ لقاء مشاركته في الغنائم بمبلغ ٨٠٠ الف روبية « ولما كان الطرفان بارعين في الغش - قال هنري بيفرج في كتابه تاريخ الهند الشامل - فقد حاول كل منهما ان يفسر الاتفاقية بما يؤدي إلى نفعه » وبعد ان استرجع فتح خان كشمير لم يعط رانجيت سينك حصته من الغنائم بحجة عدم مساهمة السيك في الحملة كما وقع الاتفاق . وقد احتال رانجيت سينك بدوره فقبض على « اتوك » ورفض الخروج منهـا . يظهر ان فتح خان لم يكن راغباً في دخول السيك إلى كشمير لذلك انه سارع إلى دخولها قبل جيش رانجيت سينك الذي كان بقيادة محكم جند ولكن محكم اختصر الطريق فوصل في نفس الوقت . وقد رفض فتح مكافأة السيك لانهم لم

يقاتلوا فلم يربح السيك في هذه الحملة سوى شخص شاه شجاع .

قال كانهايا لال في « ظفرنامه‌ي رانجيت سينك » الذي تناول فيه حوادث عهد رانجيت سينك : ان محكم چند قبض على عطا محمد وشاه شجاع فجاء بهما إلى رانجيت سينك ولما علم بذلك فتح خان بعث رسولاً إلى رانجيت سينك يحمل اليه طلب تسليمهما اليه . وبينما كان الراجا يفكر في هذا الطلب جاءه وفد من « تالاما » يحمل اليه هدايا شاه بيكم زوجة الشاه شجاع المقيمة في تلك البلدة وقد ابدت الملكة قلقها على مصير الشاه شجاع وطلبت إلى رانجيت سينك ان لا يسلمه إلى فتح خان وان يستبقيه في القصر الملكي في لاهور . ووعدته بهدية ثمينة جداً هي الحجارة الكريمة الشهيرة « كوه‌نور »[1] أي جبل النور وقد سر المهراجا لهذا النبأ فوافق على طلب الشاه بيكم وقد جاءه في نفس الوقت عرض من عطا محمد يلتمس فيه ان لا يسلمه الى فتح خان ووعده بان يضع نفسه طوع ارادته وأعرب عن استعداده لتسليمه قلعة « اتـوك » التي كانت بيد جهانداد خان الذي عينه قائداً فيها .

---

(١) وجدت هذه الحجارة في سنة ١٦٥٦ في نهر كرشنا في منجم كولكنده المشهورة كولور ، وقد اهداها مير جمال الى شاه جهان قبل ان تنقص وكان وزنها يومذاك ٧٨٧ قيراطاً ونصف .

وعندما رآها تافرنيه السائح هذه الحجارة في خزانة اورنكزيب عالمكير في سنة ١٦٦٥ كانت تزن ٢٦٩ ٩/١٦ من القيراط اذ كان قد خف وزنها بتقطيعها على يد من قبل أحد البندقيين وكانت هذه الحجارة معلقة على عرش الطاووس الذي صنعه شاه جهان ولما استولى نادر شاه على دهلي حطم ذلك العرش ولكنه لم يجد الحجارة ثم علم من احدى نساء القصر ان الامبراطور محمد شاه يخبئها في عمته في أحد الأيام دعا نادر شاه الامبراطور الى الارتباط برباط الاخوة بتبادل العمة وبهذا انتقلت الحجارة الى نادر شاه . ثم انتقلت الى احمد شاه الدراني وخلفائه الى ان اخذها زمان شاه في هرات ثم اخرجها شجاع الملك وقد اغتصبها أو اخذها بصورة اخرى رانجيت سينك ثمناً لاستضافته شجاع الملك . انتقلت بعد ذلك الى شركة الهند الشرقية في سنة ١٨٤٩ واهدتها هذه الى ملكة انكلترة وهي لا تزال في تاج الملك الى الآن وتقدر ثمنها بـ ٤٠٠٠٠٠ جنيه انكليزي .

قام على اثر ذلك المهراجا بتوجيه رسالة شكر إلى ديوان محكم چند لما حقق من أعمال وطلب اليه ان يحطم فتح خان إذا حاول المقاومة وان يأتي بالشاه شجاع إلى لاهور بمظاهر الاحترام وان يعني عناية فائقة بعطا محمد وان يرتب معه أمر الاستيلاء على قلعة اتوك . فقام الديوان بذلك على أحسن ما يرام . ثم عاد محكم چند على رأس الجيش إلى لاهور وقد جاء بالشاه شجاع فاستقبل استقبالاً شائقاً وديا ثم خصصت له مبالغ لاعاشته .

كان الفقير عزيز الدين في هذه الآونة على رأس جيش يحاول الاستيلاء على أتوك وقد تظاهر جهانداد خان أول الأمر بالاستسلام ثم فاجأ الفقير بعمل أدى إلى اندحاره بمعاونة السيك الذين كانوا في كشمير . وقد ضاعف هـذا الحادث سرور المهرجا فأمر لعطا محمد بـ ٢٠٠ الف روبية مع حلة شرف . وقد أخذ رانجيت سينك يفكر الآن بالحجارة الكريمة « كوه نور » التي وعدته بها زوجة الشاه شجاع وكانت قد التحقت بزوجها في لاهور ولكنها لم تسلم الحجارة حسب وعدها إلى ان تم الاتفاق على بعض الشروط . فلما تسلمها استقبل هذا الحادث بمظاهر الابتهاج واقام حفلة كبرى على شرفها . ولكن سرعان ما وردت الانباء عن قيام فتح خان بحصر حامية آتوك مما يستدعي امدادها بالطعام وتعزيزها بالرجال .

وعليه أوفد رانجيت سينك ديوان محكم چند وغازي خان على رأس فرقة كبيرة زحفت زحفاً سريعاً على القلعة فاستفادت من علف الناس على الخصوم ودحرت فتح خان باول حملة حملتها عليه ثم دخل محكم چند القلعة وزودها بالاطعمة والذخائر الوفيرة وعاد إلى لاهور يحمل إلى المهراجـا الغنائم . فاغدق المهراجا بدوره النعم ورتب الشرف على محكم چند .

بعد ان انتهى من حملة الافغان رأى المهراجا ان يستعد لزيارة « جاولا موخى » في سفوح الهيملايا فاعد الهدايا الثمينة والزخارف للاصنام ولكنه قبل ان يشرع في سفره ذكر حاكم كشمير وما بينهما من عداء فرأى ان يباحه

قبل سفره للزيارة . فحشد جميع رؤساء الجبال لهذا الغرض ثم بدأ بالزحف . ولكن الموسم كان موسم الخريف وقد بدأ الجو بالبرود . ولما وصل ممر بير بانجال وجد الثلج قد ملأه وسد طريقه مما حمله على الرجوع إلى لاهور .

وجاءته الأنباء في هذه الآونة تعلمه بأن الشاه شجاع يملك كميات كبيرة من المجوهرات والحجارات الكريمة الثمينة التي يمكن اقناعه بالتخلي عنها . وقد ذهب اليه الرسل يطلبون اليه بيع ما لديه ، فقال انه لم يعد يملك شيئاً بعد ان قدم « كوه‌نور » الى المهرجا . ولكن لم تفد المعاذير وقد سلبه المهراجا كل ما يملك بالقوة مما اضطره الى تهريب أفراد اسرته . واعتقل بعد ذلك بيد انه استطاع ان يثقب جدار الغرفة التي اعتقل فيها ليلا فيخرج منها ويذهب متنكراً الى الانكليز ثم اعلن نفسه هناك واستقبل بالحفاوة والترحيب .

ومما يجدر بالذكر ان شجاعاً نال من رانجيت سينك جزاء ما فعله أخوه الاكبر شاه زمان الذي فضل هذا الرجل الوثني على مسلم فعينه حاكماً على لاهور .

كان حاكم كشمير في هذا الزمن الوزير فتح محمد خان باراكزي المعين منذ بضعة شهور من قبل محمود شاه . وفتح محمد خان هو اخو دوست محمد خان ويار محمد خان وعظيم خان وقد ترك فتح محمد خان أخاه السردار عظيم خان في محله في كشمير فذهب الى كابل ليتفاهم حول استرجاع « اتوك » ثم عاد على رأس قوة كبيرة اتجه بها الى « اتوك » ولكنه لم ينجح في استعادتها من السيك . وفي سنة ١٨١٣ تولى السردار محمد عظيم خان حكم كشمير . وسمح لبنديت سهاج رام بالاستمرار على رياسة الديوان وعين في نفس الوقت ديوان هرا داس في منصب « صاحب كار » أي مدير ادارة . وفي ١٨١٤ عاد رانجيت سينك فهاجم كشمير بقوة قوامها ٣٠٠٠٠ رجل من السيك وكان غرضه الحصول على القسط الثاني من حصته في الثمانية الف روبية التي وعده بها الوزير فتح خان وقد مكث رانجيت سينك في بونج بينما سار جيشه الى قرية « سلح » من طرق

غير مطروقة . وقد وصلت قوة اخرى قرية « راياو » التي تبعد ١٥ ميلاً عن بدكام بطريق « طوشه ميدان » الكائنة على بعد عشرة أميال في جنوب كولەمركث وهي من أشهر واجل مروج كشمير . قامت في بادىء الامر قطعة افغانية بالهجوم ردت السيك الى الجبال . ولما وجد عظيم خان نفسه مسيطراً على الوضع ومتمكناً من الاحتفاظ بالمبادأة لم يتأخر عن لقاء كامل الجيش المهاجم وجهاً لوجه . وقد ساعدته الامطار والبرد الشديد وقلة الأرزاق لدى السيك والانباء المفزعة التي تلقاها رانجيت سينك حول هلاك جيشه المرابط في « هوراپور » الى آخر جندي ففر رانجيت سينك من الميدان في ٣٠ تموز ١٨١٤ بعد ان فقد كل امتعته وعدداً كبيراً من رجال جيشه .

وقد ذكر « مؤلف ظفرنامه بى رانجيت سينك » ان نبأ هلاك جيشه في في هوراپور كان نبأ كاذباً ولما علم بذلك حاول الرجوع الى كشمير ولكن النبلاء عارضوه وأرغموه على الرجوع الى لاهور .

ولما تبين له ان حامية هوراپور لا تزال محصورة فضل ان يبعث برسالة رقيقة الى كابل يطلب بها رفع الحصار عن هوراپور وقد تم ذلك فاستصحب الحامية معه عند رجوعه الى لاهور وكان قد مرض الديوان محكم چند في كشمير وهلك عند وصوله لاهور فأسف رانجيت سينك لفقده هذا القائد المحنك وقد عين ولديه « رام دايال » و « موتى رام » ليحلا محله وعهد اليهما بوظائف عسكرية مختلفة . وقد بعث الكولونيل دي. اوچترلوني وكيل الحاكم العام في « لوذيانا » تفاصيل اندحار رانجيت سينك برسالة(*) مؤرخة ١٣ آب ١٨١٤ موجهة الى المستر آدام سكرتير الحكومة في الدائرة السياسية السرية والشؤون الخارجية جاء فيها ما يأتي

« بلغني الآن ان جيش رانجيت الذي زحف الى ما وراء پير پانچال طوق

(*) هذه الرسالة منقولة من سجلات حكومة پنجاب لسنة ١٩١١

ثم دحر من قبل جيش « الناظم » بعد ان كبد خسائر عظيمة جداً . وبنتيجة هذا التطور اصدر رانجيت أمراً بالانسحاب ولكنه لم يستطع ان يؤمن انسحاباً منتظماً رغم كل ما بذل من جهود شخصية ، وعندما اكتب هذه الرسالة (في ٢٨ تموز) يتعقب الجيش الكشميري رانجيت يعاونه راجاله خان ملك بونج » .

« يبدو لي ان رانجيت لن يعود الى هذه المحاولة بعد هذه النكبة وانه اذا ما فاز بالانسحاب فلن يكون ذلك نتيجة حسن ادارة وحداته النظامية بقدر ما يكون نتيجة سوء نظام جيش خصومه . »

بعد ان انتصر عظيم خان على رانجيت سينك أخذ يبحث عن أعوانه الهندوكيين الذين حرضوه على مهاجمة كشمير فكان الباندیت في رأس القائمة وقد تضرر بعض المسلمين ايضاً بالاجراءات التي اتخذها ضد الباندیت بناءً على صعوبة التفريق بين ممتلكات الطرفين عندما قرر مصادرة ممتلكات الباندیت ولكنه اعاد املاك المسلمين عندما اثبتوا امتلاكها وتصرفهم بها .

كذلك استغنى عظيم عن الجنود المحليين وعانى الكشميريون في هذا الظرف عناء مجاعة جديدة كلفتهم عدداً كبيراً من الضحايا البشرية .

صادف هذا العهد الزمن الذي حاول فيه شجاع الملك التحرر من كابوس الوزير فتح خان الذي طلب الى رانجيت سينك تسليمه اليه وقد مررنا ببحث هذه الحوادث وما تلاها من فقد شجاع الملك مجوهراته وثروته ومن ثم التحاقه بالانكليز في لوذيانا . وقد جاء بعدئذ الى كشتوار فحاول فتح كشمير اكثر من مرة ولكنه لم يفلح وأخيراً هاجم كابل وقندهار بمساعدة اللورد اوكلند ففتحها ولكنه قتل بعد ان حكم سنتين فيها .

كان قد عين عظيم ثلاثة من الباندیت لجباية الواردات هم : بيربال دار وميرزا پانديت وسوخ رام وقد ظهر ان الاول أدخل في ذمته ١٠٠ الف روبية فلما طالبه عظيم بالدفع أجابه بصلف بيد ان عظيم خان امهله لقاء كفالة ميرزا

باندیت . ولكن بيربال أساء استعمال هذه الكفالة فهرب في شتاء ١٩ ـ ١٨١٨ مخترقاً الجبال المكللة بالثلوج والتحق برانجيت سينك ولاشك انه لم يكن ليستطيع الحرب في مثل ذلك الوقت لو لم يساعده مالك نامدار ومالك كامدار وراجه ذيان سينك اخو گلاب سينك .

وفي سنة ١٨١٩ اصطدم الوزير فتح خان بالأمير شاه كامران (ابن محمود وحفيد تيمور شاه) امير هرات وقد تمكن كامران من لصم عين فتح خان فبعث فتح يستدعي عظيم خان ليساعده في مهامه الوزارية وليحارب كامران . فقام عظيم بارسال امتعته إلى كابل مع سهاج رام ثم سلم مهام الحكم إلى أخيه جبار خان فتوجه الى كابل وبعث في نفس الوقت قسماً كبيراً من الجيش الافغاني الى قندهار لمقاتلة كامران .

كان جبار خان آخر حكام الأفغان الكثار الذين تناوبوا في حكم كشمير حكما كانت تغلب عليه صبغة الظلم والاضطهاد والتلاعب والتطاول مما أدى الى انهاء حكمهم . كان جبار عكس سلفه لطيفاً عادلا ولكنه لم يقدر له ان يحكم اكثر من أربعة أشهر . اذ ان الباندیت بيربال الذي ذكرنا وجه هربه الى رانجيت سينك حرض رانجيت على مهاجمة كشمير حالما سمع بذهاب عظيم خان الى كابل . ولكن رانجيت سينك تردد في قبول الرأي بناء على استذكاره خيبته الماضية . ولكن بيربال دار وضع ابنه رهينة لقاء تحمله مسؤولية النصر في كشمير . وقد وافق المهراجا أخيراً عندما علم باشتباك جيش كشمير الافغاني مع جيش شاه كامران في قندهار . فقد هيأ جيشاً يتألف من ٣٠ الف جندي سيك يقوده قادة ممتازون أمثال السردار هرى سينك نواله وجواله سينك وحكام سينك والراجا گلاب سينك وديوان ميسر جند وزحف على كشمير حيث اتجهت القوة العظمى الى ممر « دارهال »

وقد جاء جبار خان الى هوراپور وبعث بفرزة الى پير پنجال لحراسة الطريق . ثم تحرك الأفغان ضد المهاجمين واستولوا على مدفعين . ولكنهم لم

يحسنوا موقفهم بغية الانتفاع من هذا النصر . فجاءت ضربة السيك موفقـة وانتصروا كما يقول الكاتبان كانتصارهم نصراً يكاد يخلو من سفك دم ، ولتفوق قوات السيك في العدد لم يستطع جنود جبار خان الصمود رغم بطولة قائدهم وثباته الى ان حمل من المعركة فاقد الصواب على اثر اصابته بـ ٩٨ ضربة وقد أمر نائبه الجيش بالانسحاب ولم يفق جبار خان الا بعد بضعة أيام ثم أخذ أمتعتـه الثمينة وذهب الى كابل عن طريق برامولا تاركاً السيك يتحكمون في كشمير كلها .

وقد ساعد على انتصار رانجيت عاملان أولها الغنائم الكثيرة التي اغتنمها في احتلال قلعة ملتان في ١٨١٨ وثانيهما انسحاب معظم القوات الأفغانيـة المدربة من الوادي الى ما وراء الاندوس واشتباكها في حرب اهلية داخلية في الافغان . ولم تكن الميليشيا الأهلية الباقية في الوادي تستطيع الوقوف وحفظ التوازن مع جيش السيك المنظم والمجهز أحسن تجهيز بغنائم ملتان .

نهاية الحكم الاسلامي في كشمير

هكذا انتهى حكم المسلمين في كشمير بعد ان بدأ في ١٣٢٠ ميلادية باسلام رينچانا وقد حكم بعد ذلك المير شاهية الذين انحدروا من صلب السلطان شمس الدين مير شاه من ١٣٣٩ ميلادية الى ١٥٥٥ ميلادية وقـد تلاهم الشاك فحكموا حتى ١٥٨٦ ميلادية ثم فتح اكبر المغولي كشمير وجاء الأفغان في ١٧٥٢ ميلادية ،ظلوا يحكمون في كشمير حتى انتهى حكمهم في ١٨١٩ وهذا يعني ان المسلمين حكموا كشمير ٤٩٩ سنة بالحساب الشمسي و٥٩٥ سنة بالحساب القمري .

ويقول الدكتور صوفي في كتابه كاشير في هذا الصدد :

« ان الافغانيين الذين ادخلوا الرمح في عين همايون ابن تيمور شاه الاكبر ثم وضعوه في عين زمان شاه وبعده في عين فتح شاه وضعوا الرمح في علاقات كابل بكشمير أيضاً ولو حكم صوبه دارية كشمير الافغان بغض النظر

عما يجري في كابل لما أفسدوا حكمهم ولما أساؤا الى علاقة كشمير بكابل »

ولا شك ان القارىء لا ينتهي الى هذا الحد من فصول هذا الكتاب الا ويحكم على الأفغانيين بالحمق والانانية والجهل وعدم الكفاءة وعدم الاخلاص .

فقد كانوا طوال حكمهم يتنازعون من أجل العرش ويتحاربون ثم يقسوا بعضهم على بعض بأساليب تتقزز منها الأنفس وتستنكرها الانسانية وكان ديدنهم الارهاق والظلم وسلب أموال الشعب باسماء ضرائب شتى تفننوا في ايجادها وقد اعتمدوا على السيك والهندوكيين في الجيش والادارة حتى بلغ بعض الباندت في عهدهم أرفع المناصب . ان هذه المساوىء هي التي حطمتهم وحطمت كشمير معهم ولا تزال تشكو كشمير نتائج تلك السياسية الهوجاء حتى يومنا هذا . وانها ما كانت لتبتلي بحكم السيك ثم الدوكرا لو سلك الافغانيون غير هذا المسلك في ادارة كشمير .

لذلك كل ما آن للكشميريين ان يستذكروا محنة فردوسهم لا يجدون بدأ من ترديد قول شاعرهم :

پرسیدم ازخرابئ گلشن زباغبان
افغان کشید وگفت که افغان خراب کرد

أي : سألت البستاني عمن خرب الجنينه
فضج بالعويل قائلا : خربها الافغان

وهنا جناس رائع اذ جاءت كلمة افغان الاولى في الشطر الثاني بمعنى العويل والثانية بمعنى افغانستان .

كشمير في عهد الاحتلال البريطاني

اتصل البريطانيون أول مرة بالهند في سنة ١٥٩٩ حينما اسسوا شركة الهند الشرقية فحصلوا على امتيازات من اباطرة المغول لتأسيس مستوطنات تجارية في مختلف موانيء الهند وفي سنة ١٦٠١ أصدرت الملكة اليزابيث ملكة انكلترة مرسوماً ملكياً جاء فيه « ان لشركة تجار لندن التي تتعامل مع الهند الشرقية أن تصالح وأن تحارب أي أمير غير مسيحي » وقد منح هذا المرسوم الشركة حقاً تمارسه بالنيابة عن الحكومة البريطانية في توسيع نطاق استعمارها بالقوة تارة وبالصلح تارة أخرى . وقد أيد هذا الحق تشارلس الثاني بمرسوم ملكي أصدره في سنة ١٦٦١ . وبعد أن توفي الامبراطور اورنكزيب آخر امبراطور من اباطرة المغول العظام في سنة ١٧٠٧ ضعفت سيطرة الامبراطورية المغولية على الانحاء وبدأت تظهر رغبة الانفصال والاستقلال في كل جهة ثم أخذ الحكام من ملوك وامراء يحاربون بعضهم ويستنجدون بالمستعمرين الاوربيين وكان قد رافق نزول الانكليز في سواحل الهند نزول البرتغاليين والفرنسيين والهولنديين والدانمركيين فكان هؤلاء يسارعون الى النجدة بأمل توسيع رقع مستعمراتهم وزيادة سيطرتهم على الشعوب . ولكنهم هم انفسهم لم يكونوا على وفاق فيما بينهم وكانوا يتنازعون بعضهم المنافع والسلطان . فقد حاربت الشركة الانكليزية فرانسا بين ١٧٥٦ و ١٧٦٣ مستفيدة من فرصة اشتباك فرنسا في حرب السبع سنوات ثم حاربت الاوروبيين الآخرين وبدت آخر الأمر أنها أقوى المستعمرين بعد أن دحرتهم الواحد بعد الآخر ودحرت كذلك حكام بنغال المسلمين (في سنة ١٧٥٧) .

ثم أخذت الشركة تحتل الهند شيئاً فشيئاً وولاية بعد ولاية . ومن خضع للحكم البريطاني من أمراء الهند أصبح حاكماً ثانوياً ملحقاً بالامبراطورية البريطانية . وقد استمرت المعارك بين البريطانيين وسكان القارة بحيث تعرض

الجيش البريطاني الى الخطر عدة مرات وكاد يهلك .

وقام البريطانيون خلال قرن من احتلالهم بنغال (التي كانت تحكم حكماً اسلامياً) بالتعاون مع الهنود في سبيل قتل الروح الاسلامية والقضاء على كيان المسلمين . فعند ما جرت التسوية الدائمة Permenant Settlement اتخذت التدابير لاحلال الهندوكيين محل الملاكين المسلمين في الاراضي وقد سدت بوجوه المسلمين أبواب التوظف في الحكومة والجيش ويقول في ذلك السير وليام هنتر(*) أحد الموظفين المدنيين في بنغال « يندر وجود دائرة في كلكوته يأمل المسلم أن يجد فيها مجال الاستخدام في أي عمل اكثر من أن يكون بواباً اومراسلاً او مالىء المحابر او مصلح اقلام » . وقد كتب اج . مي . بون في كتابه « المحمدية في الهند Muhammadanism in India » يقول « لقد أصبحت معرفتهم بالامور الشرعية باطلة لأنه أبطل العمل بالتعاليم الاسلامية ، وبعد أن كانت المحاماة محتكرة لهم في المحاكم العليا حتى سنة ١٨٥٦ نرى أنه لم يسمح بالمحاماة بين ١٨٥٢ و ١٨٦٩ لغير مسلم واحد بين ٢٤٠ سمح لهم بالمحاماة في هذه المدة » وقد ابطل تدريس العربية والفارسية في المدارس وفي سنة ١٨٧٢ لم يكن بين ٣٠٠ طالب من طلاب كلية هوگلي التي كانت تدار من قبل شركة الهند الشرقية باموال اوقاف المسلمين سوى ثلاثة من المسلمين .

ان العبارات التالية من كتاب السير وليام هنتر تبين وضع المسلمين في عهدالبريطانيين بوضوح اكثر قال :

« لا فائدة من صم آذاننا أزاء حقيقة ما يتهمنا به المسلمون وهذه التهمة هي من أخطر ما يوجه ضد أي حكومة . انهم يتهمونا بسدنا جميع الابواب الشريفة بوجوه مرشدي دينهم ، انهم يتهمونا بايجـــاد اسلوب للتعليم يحرم مجتمعهم من التعليم ويتركهم في حالة الاستجداء المزري ، انهم يتهمونا بالتسبب

(*) في كتابه « مسلمو الهند » .

في نكبة ألوف الامر بالغاء حكامهم الشرعيين الذين كانو يقومون بعقد النكاح انهم يتهموننا بتحطيمهم بنكراتنا عليهم وسائل أداء فروض دينهم . وانهم يتهموننا فوق كل ذلك بالاخلال باسس دينهم بمصادرتنا عقياس واسم اموالهم المرصدة لاغراض التعليم . خلاصة القول أن مسلمي الهند يشكون من الحكومة البريطانية عدم عطفها عليهم ويشكون فقدها الشهامة ويشكون سوء تصرفها باموالهم ويشكون مساوىء تكررت مئة سنة » .

كانت معظم القارة تحت الحكم الانكليزي في سنة ١٨٥٧ باستثناء الايالات States التي قبلت أن تكون تابعة وكانت قلوب المسلمين تغلي من هول ما تشاهد من انتقال الحكم الى البريطانيين عسكرياً ومدنياً . وقد زاد الطين بلة حكم السيك في الشمال الغربي من الهند . فقد قام السيد احمد برلوي وأتباعه باثارة عواطف الناس ودعوتهم الى حرب مكشوفة ضد السيك . ولكن هذه الحركة التي وصفها وليام هنتر بكونها « من أعظم النهضات الدينية التي عرفها تاريخ الهند » تطورت اخيراً الى نضال ضد خطر شركة الهند الشرقية المتزايد . لقد كان الشاه علام الثاني الامبراطور المغولي الشاعر الملقب « بهادر شاه ظفر » أضعف من أن يجهر بالحرب . فقد كان رجل دين وتقشف منصرفاً عن الدنيا ولكن الشعب والجيش استمرا على النضال وانقلب هذا النضال الى ثورة ضد البريطانيين في سنة ١٨٥٧ وهي التي دعيت Indian Mutiny وقد صادف وصول قوات بريطانية جديدة الى كالكوته قاصدة الصين فاستخدمت ضد الثوار وكانت النتيجة انتصار شركة الهند الشرقية على الثوار ثم فقد المسلمون امبراطوريتهم في الهند .

تلا هذا الحادث اضطهاد المسلمين في كل مكان اسوة بما كان يجري . فقد شنق المسلمون بالجملة في كل ناحية من انحاء القارة وصودرت املاكهم وحفرت البيوت في أثناء التحري بامل العثور على ما يصلح للنهب وقد بيعت املاكهم وأراضيهم الى الهندوكيين باثمان بخسة . وقد استبدل الحكام المسلمون بحكام هندوكيين . وبينما كانت اللغة الايرانية لغة البلاط حلت محلها اللغة الانكليزية

التي لا يحسنها المسلمون . وقد زادت رعاية البريطانيين للهندوكيين فاعتبروا أكثر تحضراً من المسلمين الثائرين .

ان حلول الحكم البريطاني محل الحكم الاسلامي الذي بدأ بفتح محمد بن قاسم الهند في سنة ٧١١ ميلادية فدام أكثر من الف عام أدى الى ابتهاج الهندوكيين بحيث كادوا يجنون من فرط هيامهم بالفاتح الجديد . فراحوا يعاونونه بامل أن يبسطوا سيطرتهم على البلاد بفضله .

كانت شركة الهند الشرقية الجهة الوحيدة المسؤولة عن العلاقات البريطانية والادارة البريطانية في الهند الى سنة ١٨٥٧ أي عند ما حصلت الثورة . وكانت الشركة تؤسس الدوائر لمختلف الاغراض وتعقد الاتفاقات والمعاهدات وتحتفظ بجيش لحماية ممتلكاتها وتنفيذ خططها . وقد رأس هذه الادارة اللورد ميلتو في سنة ١٨١٣ ودعى الحاكم العام . وبعد الثورة انتهى حكم الشركة وأخذت الحكومة البريطانية تضطلع باعباء الحكم مباشرة .

وقد اتبعت الشركة قبل مجيء اللورد ميلتو سياسة حصر فعالياتها التجارية في الاماكن التي استوطنتها وأقامت فيها معاملها ومنشآتها دون غيرها . وكان اللورد كورنواليس الذي جاء الهند مرتين مرة في ١٧٨٦ حيث بقي الى سنة ١٧٩٣ وجاء ثانية لمدة قصيرة في سنة ١٨٠٥ من اكبر أنصار عدم التدخل . فقد رأى من المصلحة الابتعاد عن تطاحن الملوك والامراء ليأكل القوي الضعيف فتزول بعض الامارات او تندمج ببعضها مما يؤدي الى ظهور حكومات رصينة تساعد على حفظ التوازن واقرار الامن والسلام . ولكنها لم تتمسك بهذه السياسة حتى الأخير فتدخلت وتدخلت في بعض الحالات على أبشع ما تستسيغه لنفسها الحكومات وسيقف القارىء على تفصيل ذلك في الفصول الآتية حيث يرى كيف باع الانكليز كشمير الى « الدوكره » فسببوا الشقاء الذي يعانى آلامه الكشميريون حتى اليوم .

فيستدل القارىء مما مر على ان الانكليز وجدوا في الهند منذ حكم المغول

والافغانيون كشمير . ولكنهم لم يؤثروا في ذلك الوقت على سياسة كشمير لأنهم كانوا في دور المتاجرة لا يهتمون بالسياسة إلا بقـدر ما لها من صلة بأعمالهم التجارية ولما تطورت صلتهم بالهند فانتقلت الى دور الحكم المباشر أخذوا يوطدون نظامهم بالقوة في كل جهة وكانت حربهم مع السيك مقدمة لتدخلهم بشؤون كشمير لذلك ينقسم هـــذا الجزء من تاريخ كشمير الى دورين اولها حكم السيك وثانيها حكم الدوكرا .

١ ـ حكم السيك في كشمير

رانجيت سينك

كانت أول صلة رانجيت سينك بكشمير في سنة ١٨١٣ حينما كان حليفاً للوزير الافغاني فتح خان رئيس وزراء الشاه محمود ملك الافغان وكان قد أعلن عطا محمد خان حاكم كشمير استقلاله فاستعان فتح خان برنجيت سينك للتنكيل به ولكن حملة رانجيت منيت بالفشل إلى ان اشتبك فتح خان بمعركة مع الامير كامران الافغاني فاستدعى الحاكم محمد عظيم من كشمير مع جيشه فأشـــار على رانجيت سينك مستشاروه بالاسراع إلى كشمير حيث الفرصة مؤاتية لاحتلالها ففعل ذلك وتم له دحر حاكمها جبار خان في ٥ تموز ١٨١٩ فمنح رانجيت معمر ديوان جند عنوان ظفر جند وعينه حاكماً على كشمير .

بفتح كشمير اتسعت مملكة رانجيت سينك وزادت ثروته فقد قال هو نفسه إلى مستر . أيم . ويد الموظف في الدائرة السياسية البريطانية في سنة ١٨٢٧ «ان كشمير هي أوفر بقية الولايات التي يحكمها انتاجاً وكان يتناول منها ٣٥ لكاً[*] من الروبيات في السنة . وكان لهذا الاحتلال نتيجة اخرى سياسية إذ أنه أبعد نفوذ الافغان وسيطرتهم عن أعالي نهر الاندوس مما وطد نظام حكم السيك .

(*) اللك يعادل ١٠٠ الف

وبعد ان اتم رانجيت احتلال كشمير بعث بالفقير عزيز الدين رضا الانصاري لدرس مناخ كشمير وبعث ديوان داقي داس لتنظيم امور جباية الواردات .

دام حكم السيك في كشمير ٢٧ سنة حكم خلالها ١١ حاكما هم :

(١) مصر ديوان چند (٢) ديوان موتي رام (٣) سردار هاري سينك نوالا (٤) ديوان موتي رام المرة الثانية (٥) ديوان چوني لال (٦) ديوان كبريارام (٧) بهيا سينك اردالي (٨) الامير شير سينك (٩) الكولونيل مهان سينك (١٠) الشيخ غلام محي الدين (١١) الشيخ أمام الدين .

واعتبر الباندتيت في كشمير هذا الحكم حكماً دينياً دعوه « دارماراج » وقد احتفل بتبديل اسم عاصمة البلاد التي دعيت في عهد المسلمين كشمير باعادة اسمها الذي دعيت به في عهود الوثنية : اي سرينا گار ومع ان الباندتيت هم الذين اتوا بالسيك الى كشمير وهم الذين رحبوا بهم واستبشروا غير انهم لم يجدوا حكمهم في التجربة مفيداً فقد ادلوا الى السائح فيگنه قائلين انه حكم جائر

كذلك قال فيگنه ان شيخاً مسلماً من ذوي اللحى البيضاء قال له متأثراً مما صارت اليه حالة بلاده الجميلة ان الوضع لا يقبل القياس عما كانت عليه البلاد في زمن المغول أو الافغان . وقد ذكر ويليام مور كروفت في سياحاته انه زار البلاد في عهد الحاكم السيك ديوان موتي رام في سنة ١٨٢٤ فوجد كل واحد مستاءاً من الضرائب الزائدة وظلم الموظفين وارهاقهم . ولا يزرع اكثر من ١/١٦ من مجموع الاراضي القابلة للزراعة وان السكان الجائعين اخذوا يتدفقون بجموع كثيفة إلى صحاري الهند . فقد فرضت ضريبة على كل قطعة من الشال الكشميري بنسبة ٢٦ ٪ من ثمنها . وفرضت الضرائب الباهضة على القصابين والخبازين وملاحي الزوارق وبائعي الحطب وكتاب العدل والمومسات ولم يتخلص من هذه الضرائب حتى رئيس المحاكم فقد الزم بضريبة قدرها ٣٠ الف روبية لقاء احتفاظه بوظيفته والتصرف بها كما يشاء . وجد مور كروفت كثيراً من القرى مهجورة وإذا كان قد بقي بعض السكان في بعض القرى فقد كانوا في أسوأ

ما يتصور من البؤس . ولم يكن في وسع السكان الانتفاع بأعمالهم إذ أطلق السيك جيشاً من الجباة في البلاد أخذوا يجمعون من السكان تسعة أعشار الحبوب التي انتجوها ! . ثم يقول كانت اسلام آباد غاصة بالمتسولين . وكاد ان يكون السكان في ذلك المحيط عراة فقد كانت نظرة السيك إلى الكشميرين لا تختلف عن نظرتهم الى الحيوانات الا قليلا . إذا قتل أحد السيك أحد السكان فقد كانت العقوبة من ١٦ الى ٢٠ روبية يعطى منها اربع روبيات الى عائلة القتيل إذا كان هندوكيا وروبيتين إذا كان مسلماً .

كان حاكم السيك يدعى في هذا العهد كورمخ سينك وقد قلب أحد الشعراء هذا الاصطلاح الى « كورسينك » وهو تعبير فارسي يعنى به «السينك» الاعمى ونظم في ذلك قائلا :

كورسنگ حاكم ورنجيت چوباشد سلطان
شكوه ازجورمكن عالم كورا كورى است

ومعناه : إذا كان الحاكم أعمى ورنجيت سلطاناً فلا تشكو الظلم انك في عالم العميان .

قال فيگنه بعد ان احتل رانجيت سينك الوادي عين موتى رام نائباً الملك لمدة خمس سنوات وكان هذا من متعصبة السيك بحيث انه قتل عدداً كبيراً من الناس بسبب ذبح البقرة .

الحكام السيك فى كشمير

١ — مصر ديوان چند : يعتبر أول حاكم سيك في كشمير لانه كان القائد الفاتح وهو براهمي الاصل وكان قائداً موفقاً منحه رنجيت سينك لقب « خيرخواه باصفا ظفر جنك » عند انتصاره في ملتان وأضاف الى هذا اللقب « فتح او نصرة نصيب » عندما نجح في احتلال كشمير وقد حكم كشمير

من سنة ١٨١٩ الى ١٨٢٥ حيث هلك في ١٩ تموز من هذه السنة بالمغص وقيل انه انتحر .

٢ — ديوان موتي رام : حكم كشمير سنة وشهرين في ٢٠ - ١٨١٩ ثم حكمها ثانية في سنة ٢٤ - ١٨٢٢ وهو ابن محكم جند وزير رانجيت سينك المعروف . وقد تعسف مع المسلمين فمنع المناداة للصلوة وغلق الجوامع وقد أمر بهدم الضرائح التي يقدسها المسلمون ولا سيما مقام الشاه همدان المعروف بخانقاه معلى ولكنه بينما كان يعد المدفعية لهدمه عدل عن ذلك وربما خشي ثورة المسلمين اكثرية السكان .

وقد حرم نحر البقر فأصدر مرسوماً اعتبر به عملية نحر البقر جريمة عقابها الموت وقد أعدم كثير من المسلمين فسحبت أجسادهم في شوارع سرينا كار بل حرق البعض وهم أحياء لنحرهم البقر مما اضطر الكثير من المسلمين إلى الهرب من كشمير .

وقد هجر في هذا العهد كشمير أخوان فاتجها إلى دلهي ليبلغا امبراطور المغول شكواهما من ظلم السيك ولكنهما وجدا الامبراطورية في دور الاحتضار فلم يجدا بداً من الاتجاه نحو الشرق حيث انحدرت منهما اسرة النواب في دكا وهي التي انجبت من الرجال العظام الخواجة سليم الله والسيد عبد الغني والسيد احسن الله والسيد سليم الله والسيد نظيم الدين (وهو نجل الخواجـــة الحاج نظيم الدين حاكم باكستان العام خليفة القائد الأعظم المرحوم محمد علي جناح طيب الله ثراه) والخواجة شهاب الدين (وزير داخلية باكستان) والخواجه حبيب الله والخواجة محمد عزام وغيرهم .

٣ — السردار هاري سينك نالوا : حكم في كشمير من ١٨٢٠ إلى ١٨٢١ وقد اشتهر بظلمه واعتدائه على السكان لذلك سحب من كشمير وهو أيضاً من رجال الجيش وكان قد انتصر على الافغانـــ وملتان . قتل في ممر خيبر في سنة

١٨٣٧ من قبل دوست محمد خان الأفغاني بينما كان يحاول هاري سينك الزحف على الأفغان .

٤ — ديوان چوني لال : حكم سنتين من ١٨٢٥ إلى ١٨٢٧ وقد جاء في « وجيز التواريخ » انه شنق الخواجة محي الدين كادس وصهره المرزة كادبلو ابن الخواجه صديق كادس وأمر بأن تسحب جثتاهما في شوارع سرينا گار بسبب ذبحهما بقرة . وقد اتهم بسوء الاستهبال فاستدعي إلى لاهور ولكنه انتحر في الطريق .

٥ — ديوان كيربه رام : حكم ثلاث سنوات وعشرة أشهر من ١٨٢٧ إلى ١٨٣١ وكان هذا ابن موتي رام وحفيد ديوان محكم جند .

كان سكرتيره الشيخ غلام محي الدين وقد أنشأ في زمنه عدة قصور وحدائق انتقل البعض منها إلى حكام كشمير « الدوگرا » كتب فيگنه عن كيربه رام يقول « كان حاكماً في الوادي مدة أربع سنوات وهو أرأف وأحسن جميع الحكام ، وكان سريع الاستجابة لرغبات رانجيت سينك وكان مسرفاً دون أن يظلم كان رفيق الراقصات وقد ملأ زسفينته ورحن يجذفن بها طوال الوقت » . وبينما كان يلهو مرة مع رفاقه حضر رسول رانجيت سينك يستدعيه إلى لاهور ولما ذهب وبخه رانجيت لسلوكه ثم عزله .

٦ — بهماسينك اردالي : حكم سنة واحدة فقط في ١٨٣٢ اخباره غير معروفة لكن فيكتور جاكومنت العالم الفرنسي الطبيعي البالغ من العمر ٣٠ سنة كتب عنه قصة طريفة قال فيها .

« هو من أصل واطيء واسند اليه المنصب بصورة وقتية . وكنا قد اتفقنا على اللقاء في « شالي باغ » حيث يقوم قصر صغير من قصور المغول القدماء ومع أنه هجر منذ زمن غير أنه لا يزال ساحراً لما يحيط به من مشاهد الطبيعة والأشجار .. وعندما التقينا ذلك الحاكم لحيته الطويلة على كتفي الابسر

ووضعت لحيتي على كتفه الايمن بالمقابلة . ويبدو يظهر كالمجانين ولكنه على قدر كبير من الفضل النادر ... وهو مطيع لمليكه ...

قال لي الحاكم ان افغانياً يدعى السيد احمد كان يهدد كشمير منذ سنوات بالتعاون مع حاكم مظفرآباد زبردست خان . وقد اشتبك بهما شيرسينك بن رانجيت سينك فدحرهما . وقد يأتي شيرسينك إلى هنا حيث يتولى نيابة الملك . »

٧ — الامير شير سينك : المعروف عنه انه ابن رانجيت سينك ولكن بعض المؤرخين يقولون انه ليس ابنه . كتب دبليو . جي . اوزبورن في سنة ١٨٤٠ يقول : يزعم انه ابن المهراجا وان كان الاخير ينكر ابوته ولكنه برغم ذلك يمنحه حق الجلوس على كرسي امامه وهذا شرف يشاركه فيه كورّوك سينك ولي العهد وهيرا سينك ابن الوزير (راجاديان سينك الاخ الاصغر لراجا كلاب سينك) وهم الوحيدون الذين لهم حق مجالسته » . وقد ذكر اوزبورن انه أحد توأمين ولدتهما احدى زوجات رانجيت سينك المدعوة « مهتاب كونوار » في سنة ١٨٠٧ هما شير سينك وتاراسينك . وكان قد طعن في عفاف هذه الزوجة فرفض الاعتراف بولديها ولكن يستدل من مبلغ رعايته لشيرسينك انه اعترف به اخيراً وقد أهمل تاراسينك »

لم يحكم الامير كشمير بنفسه بل اناط ذلك بنائبه باساخا سينك منصرفاً إلى اللهو والانس . ثم أحل الشيخ غلام محي الدين محل باساخاسينك في النيابة عارس الحكم بالاشتراك مع الجمدار خوشحال سينك الذي كان يوده رانجيت سينك ولكن اضاقة هذا الرجل سبب جوراً للكشميريين مما اضطر الامير إلى عزل خوشحال سينك . وقد حلت مجاعة في كشمير سنة ١٨٣١ في حكم الامير انقصت نفوس كشمير كثيراً وقد تلت المجاعة هزات أرضية وانتشار الهيضة في اسلام آباد خاصة فات من الاهلين عدد لا يحصى . وقد انتهز باساخا سينك وخوشحال فرصة ميل الراجا الى اللهو فارهقا الاهلين بالرشوات والضرائب ، وقد ذكر شوهان لال في عمدة التواريخ ان خوشحال وحده أخذ من كشمير

سبعمائة الف وست وعشرين الف روبية عدا ما أخذ من أقمشة ومواد ثمينة قدرت بسبعمائة الف روبية .

٨ — الكولونيل مهان سينك كوميدان : حكم كشمير من ١٨٣٤ إلى ١٨٤١ مدة سبع سنوات وكان هذا ابن امير سينك في البنجاب وقد عرف بالشجاعة وجرح ٢٧ مرة في المعارك التي خاضها . وقد عرف كذلك بالصدق والعدالة . توفي في زمان حكمه المهراجا رانجيت سينك وقد تلاه في الحكم ثم توفي المهراجا خاراق سينك ثم ارتقاء ابنه نونهال سينك ووفاته وارتقاء المهراجا شير سينك. ان هذه الحوادث هي التي سببت بقاء هذه المدة الطويلة في كشمير إذ لم تكن سياسة رانجيت سينك ابقاء أي حاكم مثل هذه المدة لكي لا يحاول الاستقلال كما كان يفعل الحكام قبل وبعد عهد احمد شاه الدراني

يعتبر مهان سينك من أحسن حكام السيك الذين حكموا كشمير فقد عمل في أول عهده على معالجة ويلات المجاعة فحذف ضريبة الزواج وأسلف السكان بدون فائدة لتمكينهم من توسيع نطاق الزراعة . وقد ذهب ليلة ١٧ نيسان ١٨٤١ ضحية الوهم إذ قتله جنوده السيك زاعمين انه يستأثر بنفقات الجيش .

وهذه السنة التي اعتلا بها شير سينك العرش تعتبر من أسوأ السنوات في بنجاب إذ شاع الارهاب بفقدان الضبط في الجيش . وان اعتداء الجنود على السكان في بنجاب سرعان ما سرى إلى بيشاور وكشمير وملتان .

٩ — الشيخ غلام محي الدين : ثار في عهد الشيخ غلام محي الدين البامباس في مظفر آباد وكارنا ايلاكه بقيادة شير احمد فكبدوا السيك خسائر فادحة . وفي ١٨٤٣ فتح الشيخ غلام باب المسجد الجامع الذي غلق في ١٨١٩ وقد جاء في تاريخي كشمير « الوجيز » و « حسن » ان السيك ارتكبوا ضد المسلمين أعمالاً في منتهى الوحشية حينما أحرقوا أفراد اسرة البيرزاده صمد بابا القادري في سرينا كار بالحطب اليابس وروث البقر بناء على نحرهم بقرة

مات شير سينك في هذا العهد وخلفه ابنه الامير داليب سينك في ١٨٤٣

وكان عمره ست سنوات فنصب ماهراني چيند كور المشتهر باسم ماي چينداں وصياً وعين هيراسينك ابن ذيان وزيراً .

١٠ — الشيخ امام الدين : خلف الشيخ محي الدين ابنه الشيخ امام الدين في سنة ١٨٤٥ وقد لقب « أمير الملك جنك بهادر » وقـد جاء عنه في مقال نشر في جريدة كلكته ريفيو في تموز وكانون الاول ١٩٤٧ « ربما كان الشيخ امام الدين احسن البنجابين خلقاً ولباساً . وكان اميل الى الطول منه الى القصر ذكياً عالماً أديباً لبيباً متكلماً يحسن الفارسية كابنائها . »

جاء عن الشيخين اللذين خدما السيك انهما من هوشيارپور في بنجاب الشرقية وقد انحدر الشيخ محي الدين من صلب الشيخ نجالة من قبيلة «قالال» كان أول نشأته صانعاً للاحذية ثم أصبح كاتباً للسردار بهوپ سينك في هوشيارپور اتصل بعد ذلك بكيريا موتي رام فاعجب به . ولما زحف محمد عظيم خان من كابل على بيشاور لمواجهة السيك فاراد رانجيت سينك مفاوضته بغيـة اجتناب الحرب نصحه كيريا ـ رام ان يبعث غلام محي الدين للمفاوضـة لانه وجده اكفأ شخصية لهذه المهمة . وقد أخذ رانجيت سينك بنصحه وأفلح غلام محي الدين في مفاوضته . ولما عين كيريا ـ رام حاكماً في كشمير في ١٨٢٧ أخذ معه غلام محي الدين . وكان طبيعياً ان يناله بعض الاذى من جراء عزل كيريا رام في سنة ١٨٣١ بتهمةسوء التصرف ولكنه عاد الى مركزه حينما تولى الامير شير سينك مهام الحكم في كشمير بيـد انه لم يبق في مركزه مدة طويلة إذ استدعاه رانجيت سينك الى لاهور على اثر وشاية بلغته عنه فغرمه مبلغاً كبيراً ثم عزله . فظل يعاني العطالة الى أن عينه الامير نونهال سينك حاكماً على جلاندر وبعد ان ابلى بلاء حسناً في حمـلة الراجبوت ومانـده عين مرة اخرى في كشمير على أثر اغتيال مهان سينك وعين ابنه أمام الدين حاكماً على جلاندر ثم انيطت به قيادة جيوش بعث بها الى كشمير لاخماد ثورة اشبت فيها وقد توفي

غلام محي الدين في سنة ١٨٤٥ مسموماً ودفن في محل زيارة الشيخ حمزه مخدوم في هري ربات في سرينا كار .

اتهم السير ليبيل گريفين(*) الشيخين بالجشع وقال انهما لم يكونا محبوبين لدى السيك لا في جلندر ولا كشمير . ويذهب الى حد القول بأن امام الدين ربما احتفظ بنيابة الملك في كشمير لقاء مبلغ كبير من المال دفعه الى البريطانيين لذلك انه وجد من المحتم عليه تنفيذ تعليمات الراجا لال سينك الذي كان يحاول احتلال كشمير . وقد جاء في جريدة الجمعية التاريخية لجامعة بنجاب ان گلاب سينك عرض عليه نيابة الملك في كشمير لقاء راتب كبير يبلغ مئة الف روبية في السنة . وقد روى آخرون انه بعث بعثة سرية الى روسية طالب فيهـــا الروس معاونته على الانكليز ولكن هذه الرواية لم تجد من يؤيدها من كبار المؤرخين وقد اعتبرت خيالية .

وقد ذكر أمام الدين في محاضر « الاستشارات السرية الهندية » المؤرخه ٢٦ كانون الاول ١٨٤٦ مقروناً بلقب « أمير المؤمنين » وقيل انه دفع الى معاضدة لال سينك من قبل زوجته ابنة معز الدين خان امير « كرنار » في كوهستان وقد انتهى أمر لال سينك بمحاكمته ثم عزله من الوزارة واعتقاله في آگرا وقال ان هذه كانت أول محاكمة علنية جرت في البنجاب في عهد البريطانيين وقد تناولت المحكمة امام الدين ايضاً ولكنه بريء او اعفي عنه ولكنه ساعد بعد ذلك البريطانيين بامدادهم بجيشين من الفرسان للعمل في دهلي في غضون ثورة ١٨٥٧ .

وقد توفي في الاربعين من عمره في آذار ١٨٥٩ أو شعبان ١٢٧٥ هجرية ودفن في لاهور .

(*) في كتابه « الرؤساء والاسر المعروفة في بنجاب »

ان الحرب التي نشبت بين البريطانيين والسيك من ١٨٤٨ الى ١٨٤٩ سببت خلع دليپ سينك واعتقال مهارانى جيندكور في حصن « چنار » في الولايات (الهندية) المتحدة ولكنها استطاعت ان تهرب الى نيپال متخفية وعندما خلع دليپ سينك أخذ في سنة ١٨٥٠ الى فتشگار حيث تنصر في ٨ مارت ١٨٥٣ ثم سافر الى انكلترة ليقضي فيها ما تبقى من حياته .

٢ — حكم الدوگرا

بعد ان هلك رانجيت سينك في ٢٧ حزيران ١٨٣٩ سادت الاضطرابات المملكة فانفرط عقد النظام العسكري في كشمير وراح الجنود ينتقمون من الناس ويعيشون بالامن والسلام فقتل الكولونيل مهان سينك حاكم كشمير في سنة ١٨٤١ كما ذكرنا في الفصل المتقدم فعلى هذا جاءت الوادي حملة سيخي قائدها الامير پراتاب سينك حفيد رانجيت سينك وابن المهراجا شير سينك ولما كان پراتاب سينك طفلاً في العاشرة من عمره فقد اعتبرت قيادته اسمية وانيطت القيادة الفعلية بالراجا گلاب سينك حاكم جمو وقد اخمد الثورة وأعاد غلام محي لممارسة حاكمية كشمير تحت امرة المهراجا شير سينك . ومن هذا التاريخ أخذ گلاب سينك يهتم بوادي كشمير وبهذا الاهتمام بدأت علاقة الدوگرا بكشمير ثم انتقل اليهم حكمها بالطريقة التي ننشرها أدناه .

أصل الدوگرا

ان اسم دوگرا هو اسم مكان وليس اسم جنس من السكان يطلق هذا الاسم على الاراضي المرتفعة الكائنة بين نهري شناب وستلاج فالبلاد دوگرا والسكان « دوگرا » سواء أكانوا من الهندوكيين أم المسلمين أم البرهميين أم الرجبوت أم غيرهم من ذوي المذاهب والاديان والاجناس المتمايزة . وقد قيل

ان الكلمة سانسكريتية الاصل مركبة من « دو » بمعنى اثنين و « گيرات » بمعنى بحيرة أي أرض البحيرتين وقد أصبحت كلمة « دوگرات » بمرور الزمن « دوگرا » وفي الواقع ان بحيرتي « سيرونسار » و « مانسار » واقعتان في التلول الكائنة في شرقي جمو حيث يعتبر مكانهما مركز الدوگرا . وقد قيل ان كلمة دوگرا مصحفة من كلمة « دوگار » التي تدل في اللغة « الراجستانية » على الجبل ويقال ان الجنود الراجپوت الذين كونوا ولاية جمو هم الذين جاءوا بهذا الاسم من الجنوب ويميل السكان الى هذا التعليل فيعتبرونه أصح من غيره. بيد ان هذا الاسم لم يكن يشمل سوى الارض الكائنة بين نهري سوتلاج ورافي ولكنه شمل في السنوات الاخيرة فقط سكان التلول الكائنة بين نهري رافي وشناب . قال المستر هچيسون وكذلك فوگل ان اسم ولاية جمو القديمة كان « دورگارا » وقد اشتق من هذا الاسم « دوگار » أو « دوگرا » ويطلق على البلاد « دوگار » وعلى الشعب « دوگرا »

« ميان » لقب الدوگرا

يطلق على علية القوم من راجپوت الدوگرا « ميان » ويقال ان اباطرة المغول منحوا هذا اللقب أجداد وجهاء الدوگرا . لذلك اننا نجد في المدونات اسم « ميان رانبير سينك » و « ميان پارتاپ سينك » وان الراجپوتي الذي يحمل لقب ميان لا يحرث الارض ولا يزوج بنته الى من هو دونه في المقـام ولايتقاضى مبلغاً عند عقد زواج بنته . ويحرص على حجب جميع أفراد اسرته عن الناس .

أصل سلالة الدوگرا

يزعم الدوگرا ان اسرتهم من الاسر المولودة من الشمس كما يزعم اليابانيون . وقد اسس مدن الدوگرا حوالي « جمو » وكانگرا ومناسو

الراجبوت الذين جاءوا من اوذ ودلهي حيث اندفعوا من الجنوب لمقاومة القادمين من الشمال .

بدأ حكم راجات جمو الدوگروا

يعتقد ان أول من دعي راجا في جمو هو آكنيفارنا وقيل انه اخو راجا ايوذا وقيل انه قريبه . وقيل انه استوطن پاردل على مقربة من كانوا تجاه ماذپور الكائنة في منطقة گرداسپور في بنجاب الشرقية وقد جاء أول الأمر عن طريق ناگاركوت . وقد خلف آكنيفارنا ابنه ڤايوسراڤا وقد اضاف هذا إلى بلاده الأرضي الجبلية الممتدة إلى « جوتاوى » وقد تبعه أربعة راجات تلاهم آكنيگاربها خامس راجا انجب ١٨ ولداً . كان اكبرهم « بهو - لوچانا » وجبو - لوچانا . وقد خلف بهولوچانا اباه فأسس مدينة « بهو » وأنشأ حصنها وأسس جمبو - لوچانا مدينة « جمو » التي دعيت أول الأمر جامبپورا ويصادف هذا على رأي هاچيسون وفوگل في سنة ٤٠٠ ميلادية . ولكن لم يرد لجمو اي ذكر في التاريخ إلا في سنة ١٣٩٨ ميلادية بمناسبة غزوة تيمور لنك .

كانت أراضي الدوكرا في أوائل الغزو الاسلامي مقسمة إلى امارات صغيرة أو ممالك طوائف متنازعة متناحرة أجمعت أمرها على مقاتلة المسلمين متحدة ولكنها دحرت فالتجأت عناصرها إلى الجبال . وقد ساعدهم هذا الانعزال في الجبال والابتعاد عن تطورات السياسة والحروب على الاحتفاظ بعقائدهم الهندوكية وسلوك سنن الهندوكيين في حياتهم الاجتماعية . وقد دعي ملوك الطوائف في هذه البلاد « رانا » و « ثاكور » .

الدوگرا عهود « اكبر » و « جهانگير » و « شاهجهان »

لقد تناولت تواريخ « اكبر » و « جهانكير » ثورة الدوگرا وامتناعهم عن دفع الجزية وارهائن لضمان حسن السلوك . ولكن يظهر انهم استوطنوا في

عهد جهانكير وأصبحوا من الاقطاعيين وراحوا ينفذون أوامر البلاط المغولية في دلهي بكل اخلاص . ومن الثابت ان اباطرة المغول تساهلوا معهم إلى حد كبير نفوذهم الاستمرار على حكم أراضيهم بطريقتهم الخاصة . وقد ورد ذكر سانگرام ديف راجا جمو في أكثر من محل في كتاب « توزك جهانكير » وجاء في محل آخر موصوفاً بصفة « زاميندار البلاد الجبلية في بنجاب » وزاميندار معناها « صاحب الارض » أي المالك الاقطاعي وقد منح سانگرام في هذا العهد فيلاً. وقـد ورد مرة في نفس الـكتاب انه منح ٣٠٠٠ روبية في ١٠٢٧ هجرية (١٦٦٨م) ومرة انه دعي « راجا » وعهد اليه بمنصب رياسة الف شخص و٥٠٠ جواد واعطاه الامبراطور فيلا وبدلة شرف. وجاء كذلك ان راجا گبات سينك الراجا الدوگرافي « نوربور » في وادي كانگرا كان في حملة بعث بها الامبراطور جهانكير في سنة ١٩٤٤ ميلادية إلى بلخ . مما يدل على ان المغول لم يكتفوا باخضاعهم لحكمهم ولـكنهم استخدموهم في أغراضهم كما استخدموا أي ضابط تولى منصباً لديهم .

حكم الراجا « رانجيت ديف »

بعد تطورات مختلفة استقرت الحالة في جمو في سنة ١٧٦٠ في عهد الراجا رانجيت ديف أحد امراء الدوگرا الذي ارتقى العرش في ١٧٣٠ وأخذ يشتهر في ميدان السياسة في جمو وخارجها واستطاع ان يبسط « ديف » حكمه على جميع طوائف الدوگرا مع الاعتراف بسيادة دلهي على بلاده التي كانت عبارة عن مقاطعه من مقاطعات الامبراطورية المغولية . وعندما اشتبه به زكريا خان حاكم بنجاب المغولي قبض على الرجا فحبسه في لاهور اثنتى عشر سنة . وفي هذه الفترة تولى الحكم بالنيابة عنه اخوه ميان گانشار ديف .

وقد اطلق سراح رانجيت ديف بعدئذ بتوسط آدينابك خان حاكم جالاندار وبشرط ان يدفع فدية قدرها مئتا الف روبية . وعندما هاجم أحمد

شاه الدراني الافغاني بنجاب عاونه رانجيت ديف فكسب مودته بمناسبة رضوخ البلاد لحكمه في سنة ١٧٥٢ م . وقد نازع رانجيت ديف ابنه بريج لال ديف مما أدى إلى ضعف حكم الراجا وعندما مات رانجيت ديف في سنة ١٧٨١ كان قد احتل السيك وادي كانغرا فقضوا على حكم الدوكرا كما قضوا على حكم الافغانيين في بنجاب وكشمير .

كلاب سينك

إن اسرة الدوكرا الحاكمة في جمو منحدرة من سلالة « ذروف ديف » وقد انحدر من سلالة أحد أبنائه المدعو سورات سينك أسرة جديدة انجبت زورا دار سينك وانجب هذا كيشور سينك وانحدر من صلب هذا : سوجيت سينك وذيان سينك وكلاب سينك .

ولد كلاب سينك في سنة ١٧٩٢ ميلادية وقد ادعى بانحداره من صلب ميان سورات سينك ولكن الكابتن جوزيف دايفي كننغام فسر هذا الادعاء في كتابه « تاريخ السيك » بشكل آخر فيقول « ربما كانت صلته باسرته صلة غير شرعية لذلك أصبح فقيراً » وقد ذكر المؤرخ المعاصر « شهامة علي » ان ميان كيشورا سينك لم يكن وارث العرش الحقيقي ولكنه دعي راجا بيد ان السر دار بانيكار ذكر في كتابه الموسوم كلاب سينك ان المهراجا رانجيت سينك أسند اعترافه بكلاب سينك « راجا » على جمو لكونه منحدراً من سلالة حكمت تلك المنطقة .

قيل إن كلاب سينك بدأ حياته جندياً اعتيادياً في جيش رانجيت سينك براتب قدره ثلاث روبيات في الشهر مع الطعام ثم لم يجد هذا كافياً فترك الخدمة وذهب إلى السلطان خان ملك بهيمبار ولكنه عاد إلى أبيه فسكن في اسماعيلپور الكائنة على بعد نحو ١٢ ميلاً عن جمو على الطريق المؤدية إلى باثانكوت ثم عاد إلى خدمة رانجيت سينك واستطاع في أثناء خدمته ان يأتي

بسلطان خان إلى رانجيت سينك حيث اناط بكلاب سينك محافظته خلال اعتقاله .

لم يكن كلاب على شيء من الثقافة بل انه على رأي أحد معاصريه لم يكن قادراً حتى على توقيع اسمه . والمعتقد انه دخل خدمة رانجيت سينك في سنة ١٨٠٩ أو ١٨١٢ بينما عين اخوه ذيان سينك براتب قدره ٩٠ روبية في الشهر وكانا كلاهما من السعاة الراكضين على القدم . وقد ذكر غير ذلك في « الـكلابنامه » إذ جاء انه عين براتب قدره (٢٠٠) روبية في الشهر بتوصية ديوان خوشوقت . ولكن شهامت علي يقول انه بدأ بربيتين !

كتب البارون شونبرغ في سياحاته يقول : « كان كلاب سينك واخوته « راجبوت » من الجبال . وقد بدأوا حياتهم بخدمات واطئة جداً . فقد دخل كلاب واخوه الاكبر خدمة رانجيت سينك جنديين وقد صادف ان وضع أخوه مرة حارساً على باب خيمة رانجيت . ولما كان رانجيت ممن يهتمون بالمظهر الشخصي وحسن القوام أعجب به فرقاه وعينه في حاشيته . وان ترقية أحد الاخوين جاء بالخير للثاني ولما كان كلاب قائداً صغيراً ظهرت كفاءته بالقبض على اغا جان رئيس راجوري مما حمل كلاب سينك على اقطاع الامرة اراضي جمو في سنة ١٨٢٢ .

يذكر شهامت علي انه لما هلك كيشورا سينك ذهب رانجيت الى جمو بطلب أولاد المتوفى الذين أحبهم كثيراً لحضر المأتم . ثم خلع عليهم الخلع وأسند اليهم المناصب العليا فقد بلغ ذيان سينك رتبة : « راجا بهادور » نايب سلطان بنجاب » الوزير الأعظم والدستور المعظم مختار الملك . » وعندما هلك رانجيت سينك في حزيران ١٨٣٩ كان قد رسخ كلاب سينك أقدامه في جمو وحواليها وكان قد بسط نفوذه على كشمير رغم أنها كانت بادارة حاكم عينه ملك السيك في لاهور

وقد ذكر الدكتور هونيكبرگر في كتابه « خمس وثلاثون سنة في الشرق »

انه جيء بگلاب سينك في ٧ نيسان ١٨٤٥ من جبال جو مخفوراً وقد اجلس على فيل ولف وجهه بقطعة من القماش ثم اعتقل بحراسة قوية في « هائلي » ولكنه انقذ باختلاف جواهير سينك ولال سينك . ولما قتل جواهير سينك رئيس الوزراء في ١٨٤٥ دعي گلاب سينك لتولي المقام ولكنه رفض بناء على فقدان الاستقرار والمعاملة السيئة التي عومل بها سابقاً .

گلاب سينك يتفاهم مع الانكليز :

عندما نشبت الحرب الاولى بين السيك والانكليز فدامت من ١٨٤٥ إلى ١٨٤٩ ظهر گلاب سينك بمظهر جديد فقد اصطنع الحياد أول نشوب الحرب في شتاء ١٨٤٥ وقد علل هذا الحياد اما بالعداء الذي اظهره تجاهه السيك واما بسبق التفاهم مع الانكليز . وعندما اشتبك الطرفان في معركة سوبراون في ١٨٤٦ ظهر بمظهر الوسيط أولاً ثم بمظهر المستشار للسير هنري لوبس . ولم يكن تفاهمه مع الانكليز بالشيء المستغرب بعد ان سبق فسهل في ١٨٤٠ مرور الجيش البريطاني بمنطقة بنجاب التي كانت يومذاك بادارة السيك لتهاجم افغانستان . وكان قد رفض رانجيت سينك قبل ذلك أن يسمح للبريطانيين بمهاجمة افغانستان عن طريق البانجاب فاضطروا إلى مهاجمتها عن طريق السند . ولم يكتف گلاب سينك بذلك بل مد الجيش البريطاني بالذخائر ووسع مساعداته له عند ما كانت تعاكسه الظروف في افغانستان . وبهذه الاساليب مهد گلاب سينك طريق المجد لنفسه . وفي سنة ١٧٤٦ نصب گلاب سينك رئيساً للوزاء في بنجاب من قبل ماهراني جينداني .

گلاب سينك والانكليز يبيعون ويشترون كشمير

رغب الانكليز بعد هـــذا الدور في القضاء على سطوة جيش السيك

وتقليص نفوذ حكومة لاهور . وكان طبيعياً ان يفاوضوا گلاب سينك في هذا الامر . واسفرت المفاوضات عن توقيع معاهدتين الاولى في لاهور في ٩ مارت ١٨٤٦ تقضي بتسليم كشمير إلى البريطانيين لقاء تعويضات حربية تبلغ عشرة ملايين روبية وتضم هذه الايالة البلاد الجبلية وهزارة وولاية كشمير ووقعت معاهدة ثانية في ١٦ مارت ١٨٤٦ بين الحكومة البريطانية والراجا گلاب سينك ينقل بموجبها البريطانيون ملكية جميع البلاد الجبلية الكائنة في شرقي الاندوس وغربي راڤي إلى گلاب سينك لقاء سبعة ملايين ونصف مليون روبية « نانكشاهية » وكان هذا مبلغ التعويض المفروض على حكومة السيك ولما عجزت تلك الحكومة عن الدفع قررت تسليم جمو وكشمير ولاداخ وبالتستان إلى البريطانيين ولكن گلاب سينك تقدم فتعهد بدفع التعويض لقاء امتلاكه جمو وكشمير ولاداخ وبالتستان ولما رأى الانكليز الاحتفاظ بقسم من البلاد عبر نهر بيس بما فيها نوربور وقلعة كانگرا التي تعتبر مفتاح جبال الهيملايا فقد انخفض من المبلغ ٥٠٠ر٠٠٠ر٢ روبية .

وهكذا بيعت جنة الارض إلى گلاب سينك بمبلغ قدره ½ ٧ ملايين روبية . وقد استقرض گلاب سينك هذا المبلغ من الشيخ سوداگار (ابن مولابخش الذي كان مديراً للنقليات والتموين في حكومة السيك) وقد اصبح سوداگار فيما بعد وزير جمو وكان قد توج گلاب سينك ملكاً على جمو في امرتيسار فدعي « مهراجا » وهذا نص المعاهدة المشؤومة التي بيع بموجبها الكشميريون مع بلادهم إلى المهراجا گلاب سينك في سنة ١٨٤٦ ميلادية :

المعـاهدة

التي وقعت بين الحكومة البريطانية ومهراجا جمو كلاب سينك

بتاريخ ١٦ مارت ١٨٤٦

وقعت هذه المعاهدة بين الحكومة البريطانية من الجهة الواحدة ومهراجا جمو كلاب سينك من الجهة الثانية وقد مثل فيها الحكومة البريطانية فريدريك كورّى والميجر هنري مونتكومري لورنس بأمر المحترم السير هنري هاردنك جي . سي بي أحمد مستشاري صاحب الجلالة البريطانية موفوري الاحترام والحاكم العام المعين من قبل الشركة المحترمة لادارة ومراقبة جميع شؤونها في الهند الشرقية والمهراجا كلاب سينك بشخصه .

المادة الاولى — تنقل الحكومة البريطانية إلى مهراجا كلاب سينك وورثته الذكور الذين ينحدرون من صلبه جميع البلاد المرتفعة أو الجبلية ولواحقها الكائنة في شرقي نهر الاندوس وفي غربي نهر راڤي بما فيها چامبا وباستثناء لاهور وهي الاقسام التي منحتها حكومة لاهور الى الحكومة البريطانية بموجب نصوص المادة الرابعة من معاهدة لاهور المؤرخة ٩ مارت ١٨٤٦ ليتصرف بها تصرفاً دائماً مستقلاً .

المادة الثانية — ستعين الحدود الشرقية للبلاد التي نقلت ملكيتها إلى المهراجا كلاب سينك من قبل لجنة تعين من قبل الحكومة البريطانية والمهراجا كلاب سينك لهذا الغرض وسيتم تعيين الحدود بعد المسح وبمقتضى ترتيبات أخرى .

المادة الثالثة — يقوم المهراجا كلاب سينك بدفع مبلغ قدره خمسة وسبعين لكاً من الربيات (أي سبعة ملايين ونصف مليون) لقاء تمليكه وورثته

وفق بنود هذه المعاهدة المتقدمين . ويتم دفع خمسين لكا عند التوقيع على هذه المعاهدة وخمسة وعشرين لكا في أو قبل ١ تشرين الاول من هذه السنة ١٨٤٦ ميلادية .

المادة الرابعة — لا يجوز تغيير حدود مناطق المهراجا كلاب سينك في أي وقت دون رضاء الحكومة البريطانية .

المادة الخامسة — على المهراجا كلاب سينك ان يحيل إلى الحكومة البريطانية كل نزاع ينشأ بينه وبين حكومة لاهور او اية حكومة اخرى مجاورة وانه يرضخ للقرار الذى تتخذه الحكومة البريطانية .

المادة السادسة — يتعهد المهراجا كلاب سينك ان يقوم هو وورثته مع كامل قواته العسكرية بالاشتراك مع الجيوش البريطانية عندما تناط بها مهمة في الجبال أو المناطق المجاورة لممتلكاته .

المادة السابعة — يتعهد المهراجا كلاب سينك بان لا يستخدم او ان يحتفظ باي من الرعايا البريطانيين ولا أي واحد من الرعايا الاوروبين أو الامريكان ما لم يحصل على اذن الحكومة البريطانية .

المادة الثامنة — يتعهد المهراجا كلاب سينك باحترام نصوص المواد ٥ و ٦ و ٧ من المعاهدة المعقودة بين الحكومة البريطانية وبلاط لاهور في ١١ مارت ١٨٤٦ بقدر ما لها علاقة بالبلاد التي نقلت اليه .

المادة التاسعة — تتعهد الحكومة البريطانية بمساعدة المهراجا كلاب سينك في أمر حماية مناطقه من الاعداء الخارجيين .

المادة العاشرة — يعترف المهراجا كلاب سينك بسيادة الحكومة البريطانية العليا والدلالة على ذلك يقدم كل سنة إلى الحكومة البريطانية جواداً و ١٢ من عنوز الشال [1] (٦ ذكور و ٦ اناث) وثلاثة ازواج من نسيج الشال

(١) صرف النظر عن هدية العنوز في ١٨٩٣ .

الكشميري . لقد تم وضع هذه المعاهدة التي تتألف من عشر مواد وتوقيعها من قبل فردريك كوري والميجر هنري مونتكومري لورنس المشتغلين وفق توجيهات الرايت أونوربيل السير هنري هاردينغ جي . سي . بي . الحاكم العام بالنيابة عن الحكومة البريطانية والمهراجا گلاب سينك بشخصه وقد صدقت هذه المعاهدة اليوم بختم الرايت اونوربيل السير هنري هاردينغ جي. سي. بي الحاكم العام .

كتبت في امريتسار في اليوم السادس عشر من شهر مارت في سنة سيدنا ١٨٤٦ الموافقة ١٧ ربيع الاول ١٢٦٢ هجرية .

ايچ . هاردينغ	گلاب سينك
ايف . كوري	
ايچ . ايم . لورنس	

كيف استولى گلاب سينك على كشمير

لم يستطيع گلاب سينك أن يستولي على كشمير بسهولة بعد ان وقع على معاهدة شراء كشمير . إذ ان أمام الدين حاكم كشمير — في عهد السيك — ثار بوجهه يساعده « البامبا » من وادي جيلوم وقد استطاع ان يمحو جيش الدوگرا على أبواب سرينا گار مما حمل گلاب سينك على طلب مساعدة البريطانيين أو بالاحرى انه عند تعسر استلامه « المال » المباع طلب إلى البائع ان يسلمه المال بأية صورة فتدخل البريطانيون واتخذوا تدابير عنيفة ضد الثوار . إذ وجه اللورد هاردينك في ٢٢ أيلول ١٨٤٦ رسالة إلى القائد العام طلب اليه فيها اصـــدار الأوامر إلى اللواء وبلر قائد « جالاندار دواب » بالزحف ليتمكن المهراجا گلاب سينك من ادخال قواته إلى كشمير . وقد طلب في نفس الوقت إلى بلاط لاهور ان يساعد گلاب سينك مع ان هذا البلاط كان قائماً بمساعدة أمام الدين . رغم ذلك جرد بلاط لاهور ٩٧٠٠٠

جنديا من السيك الذين كانوا يحاربون البريطانيين في حرب السيك الاولى فوضعوا تحت امرة اللواء البريطاني القائم باغتصاب كشمير من أمام الدين ليسلمها الى گلاب سينك !

وقد رأى الشيخ امام الدين انه لا أمل له في الصمود أمام هذه القوات البريطانية والدوگرا والسيك . لذلك رفع الحصار عن قوات گلاب سينك التي حصرها في هاري پربات . ثم اوقف أمام الدين القتال بناء على تدخل السير هنري لورنس وغادر الوادي في ٢٣ تشرين الاول ١٨٤٦ وبعد اجتياز ٤٠ ميلا من الطرق الجبلية الوعرة وتعرض الى عواصف الثلوج وصل في ٣١ تشرين الاول « بهرام كاللا » فاستسلم الى السير هنري . وفي صباح ٩ تشرين الثاني ١٨٤٦ دخل گلاب سينك سرينا گار فاستولى عليها مالكاً له ولورثته باعهم اياه البريطانيون .

وقد عاق على هذا الحادث الكولونل لورنس قائلا ان دخول گلاب سينك كشمير لم يثر استياء الأهلين لانهم سئموا ظلم الشيخ أمام الدين وعلق آخر في مجلة كلكته ريفيو في ١٨٤٧ يقول : لم يحمل السلاح أي كشميري بجانب الشيخ أمام الدين في ثورته التي زعم انها كانت ثورة الشعب لمقاومة الحاكم الذي فرضه عليهم البريطانيون وفي الواقع انهم لم يحملوا السلاح بجانب أي من الطرفين لانه لم يكن يختلف حكم الشيخ عن حكم الدوگرا بالنسبة اليهم . فقد كان كلاهما منطويين على الظلم والارهاق وزيادة الضرائب والاخلال بالتجارة .

مات گلاب سينك في ٢ آب ١٨٥٧ بالاستسقاء وهو في الـ ٦٥ من العمر .

خلفاء گلاب سينك

خلف گلاب سينك ابنه رانبير سينك وكان قد ولد في ١٨٢٩ في رام نا گار وقد تثقف بالثقافة القديمة وهي القراءة والكتابة بالدوگرى ولكنه درب على فنون الحرب والقتال . وكان مثل ابيه موالياً للبريطانيين فقد بعث ٢٠٠٠

جندي ماش و ٢٠٠ خيال مع ٩ مدافع إلى دلهي بقيادة ديوان هاري جاند لمساعدة البريطانيين على اخماد ثورة الهند . وقد نال بهذا العمل رتبة جي، سي، ايس، آي G. C. S. I. في ١٨٥٨ وفي ١ تموز ١٨٧٧ نال رتبة G. C. I. E. لاستمرار ولائه للبريطانيين وأصبح يطلق له ٢١ مدفعاً بدلاً من ١٩ . ولقبه الكامل : صاحب المعظمة المهراجا سير رانبير سينك ، ايندرا ماهيندار سيباري سلطنت ، جنرال ، عساكر انكليشيا مشير خاص قيصر هند
G. C. S. I., G. C. I. E

وقد استعمل رانبير الوكلاء السريين للتجول في البلاد وكتابة التقارير اليه وكان يدعى اولئك « خفيه نويس » أي الكتاب السريون وقد مات في ١٢ ايلول ١٨٨٥ في جمو عرض السكر بعد أن حكم ٢٨ سنة .

كان لرانبير سينك أربعة أولاد براتاب سينك ورام سينك وآمار سينك ولاچهمان سينك . وقد توفى لاچهمان وهو في سن الطفولة فارتقى العرش أكبر الاولاد سناً وهو براتاب سينك وقد ولد هذا في ريامي في ١٤ تموز ١٨٥٠ ودرس الدوكرى والفارسية والانكليزية وقد التحق بالدواوين في صغره فاتقن أعمالها وسياق معاملاتها .

وقد اتخذ المهراجا براتاب سينك مجلساً لادارة المملكة يتألف من شخصه والراجا رام سنك (اخوه) وعضو عسكري والراجا آمار سينك (أخوه) وعضو للامور المدنية .

حاول الانكليز منذ عهد رانبير سينك ان يقيموا لهم مركزاً سياسياً في كشمير ولكن رانبير سينك لم يوافق على ذلك وقد جدد البريطانيون طلبهم في عهد براتاب سينك فامتنع عن اجابة الطلب أول الأمر ثم لم يجد بداً من الموافقة عليه . اذ كان قد اتم البريطانيون احتلال بنجاب خلال هذه المدة وقد شعروا بعد حرب ١٨٧٨ الافغانية بضرورة اتخاذ تدابير على الحدود ، لذلك فكروا بالاستيلاء على الأودية الخضراء والسيطرة على الممرات الجبلية وكان ...

أشـار نائب الملك في نفس الوقت الى كون نقل حكم كشمير الى الهندوكيين يتضمن الاعتداء على حقوق المسلمين ثم أخذت الدسائس العائلية تعمل عملهـا فاتهم باراتاب سينك بالاتصال بالروس وارغم على توقيع مرسوم ملكي في مارت ١٨٨٩ يتنازل بموجبه عن سلطاته الى مجلس للوصاية باشراف المقيم البريطاني يتألف من (١) الرجا رام سينك (اخوه) و (٢) الراجا امار سينك (اخوه) و (٣) اوربي خبير يعين بالفي أو ثلاثة آلاف روبية شهرياً و (٤) راى بهادر پانديت سراج كل و (٥) راى بهادر پانديت باغ رام

وعندما قبل نائب الملك هذه الاستقالة كتب عليها ما يأتي :

« رغم وفرة موارد دولتك كانت خزائنها فارغة وقد ساد سوء التصرف والفوضى كل دائرة مع ذلك لم تزل عظمتكم محاطة بالاصدقاء الساقلين الذين لا قيمة لهم فاخذت ادارة دولتكم السيئة تصبح مصدراً للقلق المتزايد يوماً بعد يوم »

وقد رأس هذا المجلس أول الامر ديوان لاچهمان داس وبعد سنة انيطت الرياسة بالراجا آمار سينك ولكن في سنة ١٨٩١ اعيد اسناد الرياسة إلى باراتاب سينك وفي ١٩٠٥ ألغى اللورد كرزن المجلس واعاد إلى المهراجا سلطاته وقد هلك باراتاب سينك في ٢٣ أيلول ١٩٢٥ في السابعة والستين من عمره بعد حكم دام ٤٠ سنة ، وكان عنوانه الرسمي « الفريق الاول صاحب العظمة المهراجا سير باراتاب سينك ، اينداد مهينداد بهادر سيپار سلطنت انكليشيا ،

G. C. S. T, G. C. I. E, G. B. E. L. L. D

شري مهراجا سير هاري سينك بهادر :

ارتقى الحكم بعد باراتاب سينك السير هاري سينك ابن أخيه آمار سينك ابن رانبير سينك ابن گلاب سينك وقد ولد هاري سينك في ٣٠ ايلول ١٨٩٥ ويلقب هذا المهراجا بالعنوان التالي : « الفريق الاول الفخري صاحب العظمة راج راجشوار مهراجا ذيراج شري ماهاراج سير هاري سينك جي بهادر ،

ابندار ماهيندار، سيپاري سلطنتي انكليشا .G. C. S. I., G. C. I. E دكتور شرف من جامعة بنجاب .K. V. O المرافق الفخري لصاحب الجلالة ملك انكلترة » والمهراجا ولد اسمه كاران سينك ولد في باريس في سنة ١٩٣١ وهو يدرس الآن دراسة جامعية . وقد انتقل الحكم إلى هاري سينك بعد وفاة عمه باراتاب سينك عقيماً لم ينجب، وان اباه آمار سينك وعمه الآخر رام سينك هلكا قبل عمه المهراجا باراتاب سينك . وهو لا يزال في الحكم وفي عهده قسمت القارة الهندية بين باكستان وبهارات مما ادى إلى النزاع القائم بين الحكومتين حول كشمير .

مساوئ حكم الدوكرا :

تبقى قضية كشمير وصمة عار في تاريخ بريطانيا ما بقي الدهر وستذكر الاجيال معاملة بيع كشمير إلى الدوكرا بالاستياء ويتجدد هذا الاستياء ما دام الدوكرا الهندوكيون يتحكمون برقاب الاكثرية المسلمة ويضطهدونها في كشمير بعكس ما كان عليه الحكام المسلمون مدى خمسماءة عام .

لقد مضى الآن في سنة ١٩٥٠ على حكم الدوكرا ١٠٤ أعوام يتحمل الانكليز مسؤولية قرن كامل منها بسكوتهم عن تصرفات الحكام الدوكرا وعدم محاولتهم انصاف السكان المسلمين .

كتب يانك هسبند(*) يقول : بناء على ما عرف عن گلاب سينك من ظلم وجشع لم يرحب به الاهلون ولم يستطع ان يبسط نفوذه على كشمير في سنة ١٨٤٩ إلا بعد ان حضر السير هنري لورانس إلى كشمير فجاء بقوة لمساعدته . وقال فريدريك درو في كتابه « جمو كشمير » ان كل واحد يستطيع أن يكسب اذن گلاب سينك بروبية واحدة . فقد كان في امكان الفرد ان يمسك بيده

(*) في كتابه « ثلاثون عاماً في كشمير » .

روبية فينادى على المهراجا بين ألوف الناس « مهراجا عرض هي » أي : أيها الملك لدي عرض . فحالما يلمح الروبية يدنو منه وبعد أن يأخذمن يده الروبية يصغي إلى شكواه .

وكتب اللفتنت تيلور في مذكراته بتاريخ ٢٤ حزيران ١٨٤٧ تفاصيل مراجعة قام بها الشاه أحمد خان النقشبندي ، وقد عبر عن استياء الشعب من جشع الرجال المحيطين بالمهراجا وزيادتهم الضرائب . ويظهر ان تايلور كان مساعداً للمقيم السياسي البريطاني في لاهور فاوفد للتحقيق في شكاوي السكان وقد ذكر في ٢١ حزيران ١٨٤٧ انه دار في البلدة على ظهر جواد فرآها في حالة يرثى لها من القذارة والخراب ومما جاء في وصف ما رأى : « هنا جامع حجري جميل البناء شيد في زمن الاباطرة وقد اتخذ الآن مخزناً للرز . ولم اجد أياً من الاسواق على شيء من النشاط والازدهار وقد عدت من هـذه الجولة وأنا اشعر بالخيبة وقد سجلت هذه المذكرات تواً على اثر رجوعي من البلدة » .

وقد ذكر فيگنه وكان في جمو في شهر تموز ١٨٣٥ « نشبت ثورة في بونچ ضد حكم گلاب سينك فذهب بنفسه وافلح في اخماد الثورة ثم ألقى القبض على اعدائه وأمر بسلخ جلودهم وهم أحياء [*] . وقد تردد الجلاد في القيام بهذا العمل فأنبه گلاب سينك لأنه يحمل قلب « دجاجة » وبعد أن تم سلخ الجلود أمر بان يحشى بعضها بالقش فتركز على الطرق العامة ليراها الناس وقدلفت گلاب نظر ابنه إلى هذه العملية طالباً اليه أن يتعلم فن الحكم !!

وقد سيطر گلاب على محصول الارز وانتاج النسيج الشال واحتكر بيعها للحكومة . ومنع نحر البقر في جميع الايالة وأبعد المسلمين عن الوظائف وجاء بالهندوكيين فأسند اليهم المناصب العليا والصغرى .

وعمل الدوگرا في عهـد رانبير سينك على احياء السنسكريتية ولغة

(*) سياحات ڤيگنه ١٨٤٢ المجلد الأول الصحيفة ٢٤١ .

الدوگرا وتشجيع دراستها والتأليف بها بغض النظر عن العربية والفارسية لغتي أكثرية السكان . وقد انشأ كلية ومكتبة للسانسكريتية وكتب يانك هسبند(*) عن عهد هذا المهراجا يقول : « أخذت الزراعة بالتناقص واصبح السكان في حالة فقر مدقع . بحيث كادوا يموتون جوعاً . اما العدالة فهي مناطة بالمال فان من يستطيع ان يدفع يستطيع أن يخرج من السجن اما من لا يستطيع فيموت في السجن » .

ثم واصل يانك هسبند قائلاً :

لقد بقي قليل من الرجال المحترمين ولكن لم يبق من يظهر عليه الثراء . اذ كانت الضرائب مائفة وفرضت الرسوم على جميع البضايع الصادرة أو الواردة وان وسائل النقل سيئة ويستعمل الانسان بدل الحيوان في نقل الاثقال »

لقد كانت الضرائب ثقيلة جداً ، تبلغ ضريبة الاراضي ثلاثة أضعاف ما يستوفى في بنجاب وقد احتكرت الحكومة الحرير والزعفران والورق والتبغ والشراب والملح المستورد وكذلك بيع الحبوب في الأسواق المحلية ، ولم يبق فرد لا يتحمل ضريبة في كشمير حتى الحمالين .

نعود فنستنطق يانك هسبند في هذا الشأن حيث نجده يقول : لقد فرضت قيود مضاعفة على صناعة الشال . اذ كانت تفرض الضريبة على الصوف عند دخوله كشمير ثم كانت تفرض الضريبة على المنتج بنسبة ما يستخدم من عمال ثم تفرض ضريبة بنسبة قيمة القماش في مراحل الانتاج ثم في الاخير يفرض ٨٥ بالمئة من قيمة القماش . وهناك ضرائب مفروضة على الخبازين والقصابين والنجارين وأصحاب الزوارق حتى المومسات . وان الحمالين والمساكين الذين ينقلون اثقال السائحين ملزمون باداء نصف ما يحصلون عليه . »

(*) لقد كان السير فرانسيس يانك هسبند مقيماً سياسياً في كشمير لذلك يعتبر حجة في شؤونها .

وقد حدثت هزات أرضية في كشمير في ١٨٦٣ و ١٨٧٨ و ١٨٨٤ ومجاعات في ١٨٦٤ و١٨٧٧ وانتشرت الكوليرا من١٨٥٧ الى١٨٥٨ وفي١٨٦٧ و١٨٧٢ ومن ١٨٧٥ إلى ١٨٧٦ و ١٨٧٩ وشبت الحرائق في ١٨٧٥ و ١٨٧٨ مما سبب فقدان الأموال والرجال والأطفال والنساء بسبب عجز الحكومة عن اسعاف الشعب في مثل هذه الكوارث والويلات .

لم يكن عهد پارتاب سينك بأفضل من العهدين السابقين فقد كتب السير والتر لورانس (*) يقول في هذا الصدد :

« كان الوادي في هذا الزمن في حالة يرثى لها . فقد أصبح البرهميون الذين يدعون « پانديت كشمير » أصحاب القوة والسلطان وقد ارغم الفلاحون المسلمون على العمل في سبيل الترفيه على البرهميين العاطلين . فقد افلست حكومة كشمير في سنة ١٨٨٩ وتركت الأراضي الخصبة فاستخدم الجيش لارغام الأهالي على الزراعة ، والانكى من ذلك جاء الجيش مرة اخرى عند الحصاد فاستلب ما حصد الأهلون وتركهم لا يملكون ما يعشون به الشتاء عندما تهبط درجة الحرارة إلى تحت الصفر . »

وفي عهد پارتاب سينك منع استعمال اللغة الفارسية كلغة رسمية واحلت محلها الاوردو وكتب في ذلك السير جيڤ بخش جمشيدجي مودي في سنة ١٩١٧ يقول: لقد كانت الفارسية لغة البلاط في كشمير إلى ما قبل بضع سنوات وحتى في زيارتي الثانية (في حزيران وتموز ١٩١٥) لقد تكلمت بالفارسية مع عدد كبير من الناس هناك فقد كان الپانديت الهنود أيضاً يتكلمون بها . فقد وجدتهم ينقسمون إلى حزبين أحدهما حزب الپانديت الذين يحسنون الفارسية وثانيهما حزب الپانديت الذين يحسنون السانسكريتية ولم يكن يزاوج

(*) السير والتر لورانس هو ثاني حجة في شؤون كشمير اذ كان رئيساً لعمليات تسوية الاراضي في ولايتي جمو وكشمير

الحزبان ولم يكن في وسع الباندين الذي يحسن الفارسية ان يصبح « كورو » اي روحانياً هندوكياً وعندما حلت اللغة الاوردوية محل الفارسية احتج على ذلك المسلمون والبانديت الذين يحسنون الفارسية . »

وكان هذا التبديل مضراً باقتصاديات البلد إذ سبب تدفق الهندوكيين من البنجاب لاحتلال محل المسلمين والكشميريين وغير الكشميريين مما أدى إلى هياج عام هدأ بتعهد قطعته الحكومة على نفسها على ان لا تعين في الوظائف سوى الكشميريين ، ولكن هذا التعهد اقتصر على الكشميريين الهندوكيين دون غيرهم لأن الملك باراتاب سينك كان من العصبية بحيث انه لا يستطيع ان يرى مسلماً في الصباح قبل ان يؤدي صلاته وكان يعتقد ان المسلم نجس لا يمس وإذا مسك المسلم طرف طنفسته يجب عليه الاغتسال . فكان يفضل ان يرى في الصباح بقرة قبل ان يرى غير هندوكي .

كتب المنشي محمد دين فوق بالكشميرية في ٢٩ آب ١٩٢٤ بعد ان افنى حياته في استقصاء الحالة في كشمير قائلاً : « كان السيك يعاقبون على نحر البقرة بالاعدام أما في عهد الدوكره فيحكم بعقوبة اقصاها عشر سنوات من الاشغال الشاقة مع غرامة »

وكتب أي. ايف. نايت في سنة ١٨٩٣ في كتابه « حيث يلتقي الأباطرة الثلاثة » : « ان العقوبة الآن هي السجن المؤبد وان كثيراً من المسلمين التعساء مسجونون اليوم في هاري باربات لانهم ذبحوا ثيرانهم في أيام المجاعة ليحفظوا حياتهم وحيات أولادهم » وقد طالب رئيس المحكمة العليا لجمو وكشمير في سنة ١٩٤٤ بخفض هذه العقوبة ولكن لم يصغ اليه أحد .

وقد منع حتى استيراد لحم البقر مع انه لم يمنع استيراد لحم الخنزير الذي يحرمه الاسلام . وان الجوامع والاماكن المقدسة التي سدها السيك بوجوه المسلمين لا تزال مسدودة .

كتب البانديت بريم ناث بزاز حول حكم الدوگرا يقول[*] « لم يكن حكم الدوگرا سوى حكم هندوكي. لم يعامل المسلمين معاملة عادلة وأقصد بالمعاملة العادلة المساواة بالهندوكيين . كانت هـذه المعاملة مخالفة لـكل تعامـل بمساواة جميع الصنوف ويجب ان نعترف ان المسلمين عوملوا معاملة سيئة جداً لمجرد كونهم مسلمين وليس أدل على ذلك من القانون الذي يمنع نحر البقر . ويمكن القول كذلك بأن ٢٨ رئيساً للوزارة تناوبوا الحكم خلال قرن من حكم الدوگرا لم يكن أي منهم مسلماً . وان الجيش المؤلف من ١٣ فوجاً لا يضم سوى فوج ونصف من المسلمين . ومع ان قانون الاسلحة الهندي يسمح للراجبوت الهنود بحمل الاسلحة النارية بدون اجازة فانه لا يستثني أي مسلم من هذا القيد .

وان المسلمين متأخرون من ناحية التعليم فقد دلت آخر الاحصاءات على ان المتعلمين لا يتجاوزون ٦ر١ بالمئة . ومع ان المتعلمين من الرجال لا يزيدون عن ٩ر٢ بالمئة فان المتعلمات من النساء لا يتجاوزن ٦ر١ بالف . أما في القرى فلا يكاد يوجد من يحسن القراءة والكتابة .

ولا ريب ان حكم الدوگرا هو المسؤول عن هـذا الوضع . فقد حكم الدوگرا هذه البلاد قرناً كاملاً لم تتعرض البلاد خلاله لأي اعتداء خارجي كما لم تقم فيها أية اضطرابات داخلية . لذلك من المخجل ان يسجل المرء عدم تقدم اربعة ملايين من السكان ولم تتحسن حالتهم طوال هذا الوقت . »

ثم يأتي على ذكر مطاليب المسلمين لاصلاح الحالة مما أدى إلى استدعاء المستر شارب قوميسير المعارف في الهند لزيارة كشمير في سنة ١٩١٦ ، وبعد ان درس هذا مطاليب المسلمين وضع تقريراً ضمنه ما يجب القيام به ومع ان المهراجا أقر مقترحاته ازاء ما كان يلحظ من استياء المسلمين غير ان هذه المقترحات وضعت بعد ذلك على الرف .

ثم يقول الـكاتب بينما كانت حالة المسلمين على هذا الوجـه كانت بقية الطوائف في تقدم مستمر لاسيما طبقة الباانديت في كشمير فقد أخذت تتقدم

(*) في كتابه : داخل كشمير INSIDE KASHMIR .

بسرعة وتحتل وظائف الدولة . ولم يسع المسلمين طبعاً احتمال هـذا الوضع فتقدموا بمذكرة إلى اللورد ريدينغ نائب الملك في الهند عندما زار كشمير في سنة ١٩٢٤ ضمنوها شكواهم من الاوضاع . وقد طلبوا في هذه المذكرة منح الفلاحين حق امتلاك الاراضي واستخدام عدد كبير من المسلمين في الوظائف واتخاذ التدابير العاجلة لاصلاح وسائل تعليم المسلمين وتوسيع نطاق فعالية دائرة التعاون ورفع الحجز عن جوامع المسلمين التي صادرتها الحكومة وتسليمها اليهم وقد جرت بعض المظاهرات في العاصمة وحصلت بعض الاضطرابات السياسية في تلك السنة ولكن الحكومة استطاعت أن تضرب كل هذه الحركات بيد من حديد وأن تسيطر على الموقف .

تلا ذلك احالة المذكرة إلى لجنة من عملاء الحكومة قررت ان المذكرة لا تحتوي على مطاليب جوهرية . فأخذت الحكومة باعتقال الموقعين وضبط ممتلكاتهم وقد أنذر رجال الدين الذين وقعوا على المذكرة بان اشتراكهم في مثل هذه الاعمال سيحمل الحكومة على معاقبتهم بعقوبات صارمة إلى أن قال: « ان الجموع المسلمة تعيش في حالة من الفقر تفتت الاكباد . ان الملابس التي يرتديها المسلم عبارة عن اسمال بالية لا تستر الاطراف وان الفلاح المسلم الحافي القدمين لا يدل في الواقع على فرد عالة خزائن الدولة بقدر ما يدل على بائس يتضور جوعاً فانه يعمل ستة أشهر في الحقل صيفاً ليدفع إلى الدولة الضرائب وإلى الموظفين الرسوم وإلى المرابين فوائدهم . ولا تملك معظمهم أرضاً إنما يعملون كعبيد الارض للملاكين الغائبين . وان ما يكسبونه من الارض لا يكاد يكفيهم معيشة ثلاثة أشهر . لذلك عليهم ان يقوموا باعمال اخرى ليكسبوا معيشة بقية السنة . فهم ينتقلون خلال ستة أشهر عطالتهم إلى خارج البلاد إلى المدن التي في الهند البريطانية حيث يشتغلون عمالاً . هذا هو حظهم من الحياة وهو حظ سيء كما يرى . فيموت كثير منهم خارج بيوتهم وهم مجهولون لا يبكيهم باك ولا يرثيهم رثاء .

ولا شك أن بلادهم تحتمل عار موتهم في مثل هذه الظروف التعيسة الفظة ويتحمل هذا العار الشعب والحكومة معاً » .

هذه شهادة اخرى على سوء حكم الدوكرا ينقلها الينا الدكتور . اس . سيتها في كتابه « كشمير » ملعب آسيا Kashmir : the Playground of asia عن كاتب أوروبي هو الدوس هلسكي قال : ان استيجار عربة يجرها عدد من الرجال يكلف أرخص من عربة تجرها الثيران أو الجياد ... عندما كنت أرى هذه العربات تمر من أمامي كنت أشعر بخجل يحملني على غض نظري عنها . انه من المفزع في الواقع ان يحمل الانسان على القيام بعمل يعتبر شاقاً ومنطوياً على القساوة حتى للحيوان . اواه . . انهم لا يشعرون بهول القضية كما نشعر بها نحن. فان أصحاب السيارات الذين يتناولون خمس وجبات من الطعام في اليوم والذين يعبون الويسكي يسارعون الى تخفيف الي . فانهم يعربون عن شعور يختلف عن شعوري عندما يقولون لي محاولين تهدئة روعي: انهم متعودون على هذه الحياة . انهم لا يأبهون لانهم لا يعلمون احسن من هذا . انهم مسرورون وسعداء ... وهذا صحيح انهم لا يعلمون احسن من هذا وانهم متعودون على هذه الحياة وراضخون لها . وهذا هو العار الفظيع الذي يتحمله الانسان ... تباً للاسلوب الذي اخضعهم إلى هذا الطراز من العيش وحرمهم من عرفان اي شيء احسن . »

وقد سار المهراجا الحاضر هاري سينك في حكمه وفق ما سار عليه اسلافه وقد زاد في عنايته بالارستكراتية وتغلب أثرها في الحكومة وزيادة ارهاق المسلمين واضطهادهم وابعادهم عن الحكم رغم انهم اكثرية السكان .

النضال في سبيل الحرية والاستقلال

في الصحافة والاحزاب

لم يلق الكشميريون الحسام فيرضخوا للدوكرا بعد أن بيعت بلادهم اليهم، بل ان ما رافق حكم الدوكرا من ظلم وارهاق واعتداء على مقدسات الكشميريين. زاد فيهم قوة النضال من أجل التحرر من حكامهم المستبدين واستعادة استقلالهم ليتمكنوا من توجيه اداة الحكم الصالح المجموع .

مع ان حكم الدوكرا كان اكثر ارهاقاً للمسلمين مما كان يحمل من روح العداء للعقائد الاسلامية غير ان الهندوكيين الذين يحملون نفس عقيدة الدوكرا لم يجدوا في هذا الحكم ما يدعوا إلى ارتياحهم وما يشجعهم إلى دعمه . وفي الواقع ان طبقة البانديت من هندوكي كشمير كانت في مقدمه المستائين من حكم الدوكرا لذلك أنشأوا أول جريدة معارضة لحكم الدوكرا في لاهور (في باكستان الآن) في سنة ١٨٨٠ باسم « اخبار عام » ولكنها كانت صحيفة طبقة البانديت وحدهم تتكلم باسمهم وتطالب بحقوقهم بيد ان الصحف التي اصدرها البانديت هاركوبال في لاهور أيضاً سنة ١٨٨٢ وهي « خير خواه كشمير » أي حسن حال كشمير و « راڤى » وهو نهر في كشمير والانباء العامة كانت تعالج قضايا كشمير بنطاق أوسع فتنتقد المهراجا انتقاداً مراً .

وفي سنة ١٨٨٧ أصدر مسلمو كشمير جريدتهم الاولى في لاهور باسم « عيناى هند » وكان يحررها بابو غلام محمد ويعارض فيها سياسة البريطانيين التي أدت الى نقل كشمير الى الدوكرا ويبحث مشاكل المسلمين في كشمير وما يلاقون من ظلم واضطهاد .

وفي سنة ١٨٩٨ أصدروا جريدة اخرى في روالبندى «الباكستانية الآن»

باسم « شمالي » تلتهـــا في سنة ١٩٠١ صحيفة مولانا تاج الدين أحمد تاج « كلشن كشمير » أي « جنينة كشمير » و « پنجه ي فولاذ » اي « اليـــد الفولاذية » المرحوم المنشي محمد دين فوق « وكشميرى غازيت » لچودرى جان محمد غني ساهم في تحريرها المرحوم محمد دين فوق وفي ١٩٠٥ اصدر في لاهور الخواجه كمال الدين B. A. L. L. B. مبعوث كشمير الى انكلترة مجلة شهرية دعاها « كشميرى ما كازين » كذلك ساهم في تحريرها المرحوم محمد دين فوق وفي ١٩٠٦ اسس المرحوم محمد دين فوق مجلة شهرية في لاهور دعاها « كشمير » ثم اصدر محلها « اخبار كشمير » ودامت هذه الى سنة ١٩٣٥ وكانت كل هذه الصحف معارضة لحكم الدوكرا وتفضح ظلمهم واستبدادهم وتدخلهم في عقائد المسلمين ومنعهم عن القيام بشعائر دينهم ومعاقبتهم بالعقوبات الصارمة عند تحريم البقر بالاضافة الى الضرائب الثقيلة المفروضة عليهم واساليب السلب المتبعة من قبل الدوكرا ازاء المسلمين اكثرية السكان .

وفي سنة ١٩٢٣ رأى المهراجا ان يسمح باصدار جريدة في كشمير تدعم حكمه وتقابل معارضة الصحف التي تصدر في لاهور وانحاء اخرى من اجزاء القارة الهندية فاصدر الجريدة التي دعيت « رانبير » احد الهندوكيين المدعو لالا ملك راج وراح يحرر فيها الباندیت بريم ناث B. A وبعد ان توقفت عن الصدور مدة طويلة اعيدت إلى الوجود في سنة ١٩٤٧ مجلة هندوكية شهرية .

وفي سنة ١٩٢٤ اصدر الخواجة غلام محي الدين جريدة اسبوعية في امر يتسار وفي ١٩٢٩ اصدر جريدة يومية اسمها انقلاب في لاهور وعندما منع المهراجا دخولها كشمير استبدلها بجريدة « كشمير مسلمان » ولما منعت هـــذه ايضاً استبدلها بـ « مظلومى كشمير » ثم بـ « مكتوبى كشمير » وقد ادت هذه الحركة الصحفية إلى حركة الاحرار وكان على رأسها كل من الشيخ محمد عبـد الله وچودرى غلام عباس وانتبه الانكليز ايضاً إلى خطورة الوضع فبعثوا بلجنة كلانسي Glancy لتدرس الوضع فتضع خطط الاصلاح .

وقد مهدت هذه الحركات إلى منح شيء من الحرية في كشمير فصدرت اول صحيفة مسلمة معارضة في سريناگار عاصمة كشمير في سنة ١٩٣٢ باسم « صداقت » حررها مدة من الزمن : السيد عبد الرحيم M. A L. L. B وكانت تدعم المؤتمر الوطني الاسلامي الذي كان برأسه الشيخ محمد عبد الله وكان جودري غلام عباس وغيره من كبار مسلمي كشمير من أعضائه ولكن انحراف الشيخ محمد عبد الله بتيار غاندي ونهرو وتحوله من سياسة تحرير كشمير من ايدي الدوگرا فاقامة الحكم الشرعي الاسلامي إلى سياسة حزب المؤتمر الهندي القائل باقامة حكم علماني ادى إلى الانشقاق وتوقف هذه الجريدة عن الصدور وانسحاب أعضاء الحزب المشايعين للشيخ عبد الله إلى حزب جديد ألفوه دعوه بالحزب الوطني دون الاسلامي وان السيد عبدالرحيم محرر هذه الجريدة هو اليوم في سجن الدوگرا يعاني آلام الاضطهاد بسبب اخلاصه لعقيدته بينما اصبح زميله الشيخ محمد عبدالله رئيساً لوزارة المهراجا لخيانته عقيدته ومخالفته رغبة أكثرية بلاده وهكذا يتلظى المخلصون ويتنعم الخائنون في كل بلد افتقد الحكم الصالح الرشيد .

وقد اصدر الشيخ محمد عبد الله جريدة « الحقيقة » في سنة ١٩٣٣ بعد الانشقاق وتوقف جريدة « صداقت » وعهد بتحرير جريدته الجـــديدة إلى الهندوكي پريم ناث بزاز B. A وفي حلول هذا الهندوكي محل السيد عبد الرحيم في ادارة مجلة حزب الشيخ عبد الله دلالة كافية على انحرافه عن مبدأ الاكثرية وخروجه على مصلحة المسلمين . واصدر في نفس السنة المولوي يوسف شاه مير واعظ جريدة « اسلام » في سريناگار وعهد بتحريرها إلى السيد محــمد امين وقد دعمت هذه الجريدة مبادىء جمعية « نصرة الاسلام » وهي جمعية تعليمية كبرى مشايعة للمؤتمر الاسلامي ومعارضة للمؤتمر الوطني أي حزب الشيخ محمد عبد الله .

ويظهر ان الخلاف دب هـــذه المرة في حزب المؤتمر الوطني فانفصل پريم

ناث براز عن الحزب وترك تحرير جريدة محمد عبد الله « الحقيقة » واصدر جريدة « همدرد » اي « شركاء الهم » واخذ يعارض بها سياسة محمد عبد الله مؤيداً سياسة الحزب الديموقراطي الراديكالي الهندي وهذا الحزب يعارض ضم كشمير إلى الهند ويؤيد وجهة نظر عصبة المسلمين . مما سبب رواج هذه الصحيفة بنطاق واسع بين المسلمين وكان مصير بريم ناث بعد انشقاقه على محمد عبد الله ومعارضته له كما كان مصير عبد الرحيم الذي انشق قبله فقد ألقى به المهراجا في السجن منذ سنة ١٩٤٨ وقد اصدر چودري عبد الوحيد ومولوى عبد الغفار ومولوى فاضل جريدة « اصلاح » في كشمير لدعم النهضة الاسلامية والمطالبة بحكم الاكثرية ولكن لم تدم هذه الصحيفة ويجد المرء اصحابها اليوم في معسكر اللاجئين الكشميريين في باكستان .

وقد اصدر السردار عبد الرحمن « كشمير تايمس » باللغة الانكليزية لمعارضة الشيخ عبد الله ولكن هذه الصحيفة كانت شيوعية النزعة وتوقفت عن الصدور على اثر التطورات الاخيرة في كشمير .

وأنشأ المولوى يوسف شاه مير واعظ صحيفة اخرى باسم « الحرية » بعد تعطيل الحكومة جريدة « اسلام » .

ان حركة المعارضة الصحفية قبل الحرب العالمية الاولى مهدت للحركة السياسية الحزبية بعد الحرب العالمية الاولى ومما زاد في حماس الجماهير في كشمير حركة الخلافة التي بدأها الاخوان محمد علي شوكة علي وقد ساهم فيها من كبار علماء كشمير المولوى يوسف شاه مير واعظ الذي رأينا أثره في الحركة الصحفية وقد اسس هذا جمعية « نصرة الاسلام » تعليمية في ظاهرها سياسية في باطنها وقد استمر النشاط السياسي موزعاً بين جماعات من رجال الدين والمثقفين من صحفيين ومحامين وغيرهم إلى أن كانت ثورة ١٩٣١ التي جاءت بالمؤتمر السياسي الاسلامي .

وقد كتب في صدد هذه الثورة المرحوم الامير شكيب ارسلان معلقاً

على بحوث كتاب حاضر العالم الاسلامي[1] قائلاً :

« (كشمير) وعدد أهلها بحسب الاحصاء الاخير أربعة ملايين منهم ثلاثة ملايين ونصف مسلمون ونصف مليون هنادك ولكن المهراجا هندوكي . وهي في شمال الهند كما ان ميسور في الجنوب . وقد حصلت في كشمير فتنة شديدة بين المسلمين والهنادك في العام الفائت (أي سنة ١٩٣١) سببها ان الحكومة التي هي من الهنادك أهانت بعض المسلمين وجرحت شعورهم الديني وذلك بما قيل ان بعض الشرطة اجبرت اناساً من المسلمين بالسجود للاصنام قهراً لهم فهاج المسلمون في شمالي الهند وزحفت منهم عصابات على كشمير واقامتها واقعدتها ولم تسكن الفتنة إلا بدخول جيش انكليزي تمكن من اعادة الراحة بينما الحكومة أخذت تفحص عن شكاوي المسلمين . ولا يزال هؤلاء يطالبون بعزل المهراجا الهندوكي وان يتولى كشمير أمير مسلم بناء على كون اكثرية كشمير من المسلمين ولكن ان لزم العمل بهذه القاعده كان لابد من فقد المسلمين لعرش حيدر آباد التي فيها المسلمون نحواً من مليونين والهنادك ١١ مليوناً . »

وفي سنة ١٩٣٢ قام الشيخ عبد الله وجودري غلام عباس بعقد المؤتمر الاسلامي السياسي The Muslim political conference يحضره أربعون الف رجل من كبار الكشميريين من مختلف الطبقات وقد انتهى المؤتمر إلى اتخاذ قرارات بالمطالبة بالحرية والاستقلال ودعوة الشعب إلى مقاطعة المهراجا والمطالبة بالحكم الشرعي . بيد انه سرعان ما دب الخلاف بين أعضاء المؤتمر بسبب : (أولاً) ميل الشيخ عبد الله للقاديانية و (ثانياً) انجرافه بتيار المؤتمر الهندي واتجاهه إلى العلمانية[2] بدلا من الاسلامية وقد سبب

---

(١) The New World of Islam By Lothrop Stoddard

(٢) ان قبول الدولة لنظام العلماني معناه تجردها من العاطفة الدينية وابتعادها عن رعاية الشؤون الدينية .

ميله إلى القاديانية عداء شديداً بينه وبين الشيخ محمد يوسف مير واعظ رئيس جمعية نصرة الاسلام ، وبالتالي مقته من قبل فريق كبير من أعضاء المؤتمر الاسلامي . وفي أيار ١٩٣٦ احتفل المؤتمر الاسلامي بيوم الحكومة الشرعية المسؤولة وكان الاحتفال عاماً شاملاً لانحاء كشمير كافة ولم يختلف عن الاشتراك فيه حتى الهندوكيين . وقد نودي في هذا اليوم بضرورة قيام حكومة شرعية تستمد قوتها من برلمان يمثل أكثرية الشعب وتعمل على اسعاد الشعب . وكان المؤتمر موفقاً جداً في هذا الاحتفال وقد ظهرت آثاره بعدئذ في بعض الاصلاحات الدستورية . بيد انه إلى جانب ذلك اشمر الهندوكيين بما قض مضاجعهم إذ لمسوا قوة الاكثرية المسلمة وعزمها عزماً أكيداً على استعادة الحكم من الدوكرا . لذلك دفعت الشيخ عبدالله إلى تغيير اسم المؤتمر وجعله وطنياً بدلاً من يكون اسلامياً . ولكن هذا الطلب لم يجد إلا قليلاً من المؤيدين في الوقت الذي أثار سخط الاكثرية فانفصل الشيخ عبد الله عن المؤتمر الاسلامي وأسس ما دعي بحزب المؤتمر الوطني وليكسب الرأي العام جعل شعار حزبه « اخرجوا من كشمير » تقليداً لحزب المؤتمر الهندي الذي جعل شعاره « اخرجوا من الهند » ولكن لم يستجب لدعوته أحد من المسلمين عدا أقلية من المخدوعين وأصدقائه وقد شاع في أوساط كشمير انه رجل نفعي لا يثبت على مبدأ ولا يعمل للمصلحة العامة فان اختلافه مع ابناء دينه المسلمين ثم مع أصدقائه الهندوكيين وميله إلى القاديانية تارة والعلمانية اللادينية تارة اخرى صرفت الناس عنه ، فحينما قرر حزبه اقامة يوم الحكومة الشرعية في آب ١٩٣٨ ناهجاً نهج المؤتمر الاسلامي لم يحضر هذا الاجتماع اكثرية الكشميريين المشتغلين بالسياسة وأعوانهم وكاد ان يقاطع الشعب هذا الاحتفال .

وقد تولى رياسة المؤتمر الاسلامي العالم الكبير السيد محمد يوسف مير واعظ رئيس جمعية نصرة الاسلام أولاً ثم انتقلت هذه الرياسة الى جودري غلام عباس .

وقد زار كشمير القائد الأعظم المغفور له محمد علي جناح في السنوات ١٩٣٧ و ١٩٤٠ و ١٩٤٤ واستقبله كبار ساسة كشمير فتبادلوا معه وجوه النظر وثبتوا خطوط العمل وفاق ما قرر حزب عصبة المسلمين لعموم الهند .

ولكن عندما جاء نهرو كشمير في سنة ١٩٤٥ يصحبه أبو الكلام آزاد اقام المؤتمر الاسلامي المظاهرات ضدهما أدت الى اصطدام الحزبين وقتل رجل مع جرح كثيرين .

وبذا أصبحت كشمير منقسمة بين الحزبين الكبيرين في الهند فحزب المؤتمر الاسلامي فيها أصبح مشابهاً لحزب عصبة عموم مسلمي الهند وحزب المؤتمر الوطني أصبح مشابهاً لحزب المؤتمر الهندي . والى هذا الانقسام الذي له سنده في اختلاف ثقافة المسلمين وطراز معيشتهم وجنسهم عن الهندوكيين يعزى النزاع القائم اليوم في كشمير ، فهو نزاع بين الوطنية الهندوكية المتجلببة جلباب العلمانية الماكرة وبين النظام الاسلامي الحر العادل السمح .

وقبل ان ننتقل الى تفصيل النزاع الكشميري الباكستاني لا نجد بداً من التحدث عن نشوء وتطور حزبي الهند الكبيرين : (١) المؤتمر الهندي (٢) عصبة عموم مسلمي الهند لما لهذا التطور من علاقة كبرى بالنزاع العتيد .

حزبا
المؤتمر الهندي وعصبة عموم مسلمي الهند

اسس الهندوكيون حزب المؤتمر الهندي في سنة ١٨٨٥ كمؤسسة وطنية تعمل على تحقيق استقلال الهند وايجاد حكومة مسؤولة فيها اسوة بالمستعمرات البريطانية الاخرى ولكن السير احمد الزعيم المسلم المعروف كان أول من نبه المسلمين الى تضارب مصلحة المسلمين مع أهداف الحزب اذ كان الحزب رغم تظاهره باللاطائفية مكوناً تكويناً طائفياً تغلب عليه الوطنية الهندوكية المتطرفة ويعمل على تحقيق حكم الاكثرية في الهند وهذا معناه تحطيم المسلمين .

ومع ان الحزب أعلن عند تأسيسه بأنه يحقق أغراضه بالاساليب الدستورية غير ان سرعان ما قامت فيه مدرسة جديدة تدعو الى العنف تزعمها بال كانكاذار تيلاك Bal Gangadhar Tilak وقد دعا هذا الهندوكيين الى ممارسة الالعاب الرياضية واتقان القتال وأساليب العنف اذ زعم انهم لا يستطيعون ان يستعيدوا مجدهم باسلوب آخر وقد دعا هذا السياسي الى انعاش الوطنية الهندوكية ومقوماتها المعنويه والمادية .

يقول فالانتين جيرول(*) انه قابل أحد مثقفي المسلمين فسأله عن الحالة وثبت في كتابه أقوال هذا المثقف بالعبارات التالية بالحرف الواحد :

« كان يدعي الراجا البريطاني انه يضطلع في الهند بواجب حفظ التوازن بين العناصر والمذاهب والطبقات المختلفة ويقوم بواجب الابوة العادلة للجميع ويمنع الاذى عن الجميع ويعمل لمصلحة الجميع . ولكن المسلمين رأوا في السنوات

(*) Indian unrest By valentine Chirol

الاخيرة السياسة البريطانيـــة تخضع تـــدريجياً لضغط الشغب الذى يثيره الهندوكيون .

لقد كان هدف النهضة الهندوكية في المناحي الاجتماعية والدينية والسياسية خلال عشرين سنة ماضية ضد المسلمين وضد البريطانيين على حد سواء » .

وقد علق على ذلك المؤلف قائلاً : ان بعض الزعماء الهندوكيين عملوا باخلاص على تكوين شعب هندي متحد يتناسى أبناؤه المسلمون والهندوكيون الفروق العنصرية والاختلافات الدينية التي تفرقهم عن بعضهم ولكن لم يستطع هذا الفريق الصمود في الميدان . وقد قال في صدد حذر المسلمين التعاون مع الهندوكيين انهم استطاعوا ان يلمسوا تهويلات الصحافة الهنـــدوكية وحضها الشباب الهندوكي على الاستعداد لليوم الذي يتجسد فيه « فيشنو » — اله القوة — فيطرد من الهند كفرة المسلمين وكذلك الانكليز » وهذه العبارة الانكليزية بالحرف الواحد :

The youth of india must prepare for the coming « Lalki » incarnation of vishnu when melenecchas i. e the infidles, moslem as well as British should be driven out of India » .

كانت الاضطرابات الطائفية ورغبة الهندوكيين الملحة في الغاء لغة الاوردو والخط العربي واتخاذ لغة هندستانية تكتب بالخط السانسكريتي واصرارهم على أن تتولى الاكثرية الحكم بغض النظر عن الاقلية المسلمة التي تكون أكثرية في عدد من الولايات كان كل ذلك من أهم الاسباب التي حملت السير السيد أحمـــد وخلفاءه من بعده على الارتياب من سياسة المؤتمر الهندي .

فقد ذكر السير آر . كوبلند في كتابه « المعضلة الدستورية في الهند » : ان أهم الاضطرابات التي سجلتها الحكومة البريطانيه وقعت في بنارس سنة ١٠٨٩ حيث قتل عدة مئات ودمر خمسون جامعاً . وبعد أن ذكر سلسلة من الحوادث التي اعتبرها ثانوية في ١٨٧١ و ١٨٧٢ و ١٨٨٥ و ١٨٨٦ و ٩٨٨٩

و ١٨٩١ و ١٨٩٣ قال : « ان استمرار الاضطرابات من ١٨٨٥ إلى ١٨٩٣ يعزى إلى توافق زمن اقامة مآتم محرم مع احتفالات الهندوكيين بعيدهم « داساهرا »

ولكن تأسيس حزب المؤتمر الوطني في سنة ١٨٨٥ يعتبر أكثر من صدفة محضة في مثل هذا الزمن .

ثم قال ان الزمن الآخر المضطرب هو بين سنة ١٩٠٧ و ١٩١٤ ويصادف هذا الزمن الحادثات الجارية في شأن اصلاحات مورلي - مينتو ومن ثم تنفيذها .

حزب العصبة

ان هذه الاوضاع حملت المسلمين على تأسيس حزبهم الخاص في سنة ١٩٠٦ بزعامة النواب نخار الملك ودعي هذا الحزب حزب عصبة مسلمي عموم الهند . وكان هذا الحزب الاثر الاكبر في يقظة مسلمي الهند وقد لعب دوراً هاماً في تطور سياسة الهند .

ان اصلاحات مورلي - مينتو الدستورية لم تكن محققة لرغبات السكان وانها تضمنت اجحافاً بحق المسلمين خاصة لأنها لم تضمن لهم التمثيل النسبي . ورغم ان مجالس الولايات منحت حق التشريع المحلي باصوات الاكثرية المنتخبة غير ان السلطات الادارية والمالية بقيت في أيدي البريطانيين وان التصويت بعدم الثقة لم يكن بالعمل الذي يأتي بنتيجة ايجابية . لذلك لم ترض الاصلاحات لا المؤتمر الهندي ولا عصبة عموم مسلمي الهند وقرر المؤتمر مواصلة العمل على تحقيق نظام ذاتي يشابه بقية اجزاء الامبراطورية البريطانية بينما قرر حزب عصبة عموم المسلمين مواصلة العمل بالاساليب الدستورية على تحقيق الاستقلال وقد اتخذ المؤتمر هذا القرار بناء على ازدياد استياء المسلمين من البريطانيين لأعادتهم توحيد قسمي البنغال في ١٩١١ دون استشارة المسلمين ووقوفهم موقفاً معادياً من تركيا في الحرب البلقانية سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ .

التوافق الهندي الاسلامي

فلما ظهر نشاط حزب العصبة ولمس أثره في السياسة الهندية أدرك الهنود أنهم لا يستطيعون ان يتقدموا باية مطاليب باسم عموم الهند ما لم يتفقوا مع المسلمين فاخذوا منه سنة ١٩١٥ يعقدون اجتماعاتهم السنوية في محل واحد ووقت واحد واخذ رجال الحزبين يتصلون ببعضهم لتوحيد خطة العمل . وقد تمكنوا في سنة ١٩١٦ من وضع « ميثاق لكنو » وقد اعترف المؤتمر الهندي بموجب هذا الميثاق بحق المسلمين في انتخابات خاصة بهم وتعيين عــدد مقاعدهم في المجالس التشريعية المحلية وبالقيام بعمل مشترك في مطالبة الحكومة البريطانية بتوسيع صلاحيات المجالس التشريعية في الولايات وبانتخاب نصف اعضاء من الوطنيين .

وهــذا الميثاق هو الذي اتى بتصريح مونتاكو في سنة ١٩١٧ إذ بينما كانت الحكومة البريطانية تدعي بعدم امكان اقامة حكومة نيابة على الاسلوب البريطاني في الهند صدر تصريح مونتاكو في سنة ١٩١٧ يقول : « ان الحكومة البريطانية تشجع المؤسسات التي ترمي إلى الحكم الذاتي باقامة حكومة مسؤولة في الهند في نطاق الامبراطورية البريطانية » ثم صدر قانون في سنة ١٩١٩ لتنفيذ هذه الاصلاحات التي عرفت باصلاحات مونتاكو جيلمسفورد وقد وسعت بمقتضاها صلاحيات المجالس التشريعية في الولايات حيث نقلت اليها جميع السلطات المتعلقة بادارتها المحلية باستثناء شؤون الدفاع والامن والايرادات والمالية التي احتفظ بها للحاكم ومستشاريه الاجرائيين .

لم تكن هذه الاصلاحات ايضاً مرضية لأنها لم تحقق ما رمى اليه الحزبان وقد صادف ان فرضت معاهدة سيفر على تركيا فهاجت خواطر المسلمين وتقدم الاخوان شوكة علي ومحمد علي بحركة الخلافة وقبل المسلمون الاشتراك مع الهنود في حركة المقاومة السلبية من غير عنف حسب خطط المستر غاندي وقد عمت هذه الحركة جميع الانحاء وتكبد المسلمون خلالها خسائر عظيمة من جراء سجن

الالوف منهم وتعطيل أعمالهم فضلاً عما عاناه فلاحو الملابار المسلمون الذين ثاروا بوجه الحكومة البريطانية فتحملوا عواقب حملة اخماد الثورة .

فقد هزت هذه الحركة الاسلامية ـ الهندية الحكومة البريطانية وزعزعت اسس امبراطوريتها .

ولكن لم يدم هذا الاتحاد وانفرط عقده بتجدد الخلاف بين الهندوكيين والمسلمين نتيجة اتباع الهندوكيين سياسة مريبة ازاء المسلمين بل عدائية اعتدائية. وفي الواقع ان المسلمين وحدهم يتميزون في الهند عن الآخرين بوحدة العقيدة والثقافة واللغة وطراز المعيشة بينما يختلف الآخرون عن بعضهم باختلاف الاجناس وتضارب العقائد والثقافات واللغات وطراز المعيشة . وقد امتازت العقيدة الاسلامية بالتسامح والعدل مع الناس والمساواة بينهم. فقد جذبت الديموقراطية الاسلامية فريقاً من الهندوكيين الذين اضنتهم الفروق الطبقية لذلك بدأت الرجعية الهندوكية تنادي بسياسة سانگاثان و « شوذي » والكلمة الاولى تدل على وحدة الهندوكيين والثانية على ارجاع من اسلم من الهندوكيين إلى دينهم القديم. وقد جاءت خطوط سياسة الوطنية الهندوكية موضحه في مقال نشره في سنة ١٩٢٥ احد الثوريين المدعو « هار ديال » في جريدة « بارتاپ » التي كانت تصدر أيام البريطانيين في لاهور قال فيه :

« ان مستقبل الجنس الهندي وهندستان وبنجاب يقوم على أربعة دعائم: (١) سانگاثان اي الوحدة (٢) الراجا الهندي (٣) شوذي اي ارجاع المسلمين إلى الهندوكية (٤) فتح افغانستان ومناطق الحدود وارجاع أهلها عن الاسلام. فإذا لم يقم الهندوكيون بتحقيق هذه الاعتبارات الاربعة فسيجابه أولادنا واحفادنا خطراً دائماً وان تكون سلامة الجنس الهندي مضمونة. ان للشعب الهندي تاريخاً واحداً وان مؤسساته وطنية محضة بخلاف المسلمين والمسيحيين فهم بعيدون جداً عن نطاق الهندوكية وانهم يعتقدون بدينين غريبين عن بلادنا وهم ولوعون باللغات الفارسية والعربية والاوروبية فاذا شئنا ابعاد العنصر

الاجنبي كان علينا ارجاع المعتقدين بهذين الدينين إلى الهندوكية وكانت افغانستان ومناطق الحدود الجبلية تابعة إلى الهند في الزمن الماضي ولكنها الآن محكومة من قبل المسلمين فكما ان الديانة التي تسود « النيپال » هي الهندية كذلك يجب ان تسود هذه الديانة افغانستان ومناطق الحدود فمن المتعسر ان نحقق استقلالنا ما لم نسترجع هذه البلاد . ان عشائر الحدود جائعة وميالة إلى الحرب دوماً فاذا اضمرت لنا هذه القبائل العداء يعود حينئذ عهد نادر شاه وزمانشاه . ان الحدود محروسة من قبل الضباط البريطانيين ولكن لا يدوم هذا الوضع فاذا شاء الهندوكيون المحافظة على أنفسهم لابد حينئذ من فتح افغانستان والحدود وان يعيدوا إلى الهندوكية سكانها الاسلام . »

قال السيد عبد الرحمن رئيس الهيئة التشريعية الهندية المركزية سابقاً : « بينما نجد مسلمي الهند مرتاحون كل الارتياح في الاقطار الاسلامية في آسيا نجد انفسنا في الهند غرباء في جميع المضامير الاجتماعية لا سيما حينما نجتاز الشارع إلى الحي الذي يقطنه أبناء بلدتنا الهنود . (*) »

وقال السيد چودری فضل الحق وهو أحد زعماء الاحرار من أنصار المؤتمر الهندي :

« ان المجتمع الهندوكي اعتبر المسلمين الاريين والمسلمين المتصوفة والمسلمين المنحدرين من سلالات نبيلة والمسلمين المثقفين ثقافة عالية كلهم من الانجاس الذين لا يمسون .

وقد تكون وطنياً قحاً وقد تكون من أصحاب غاندي المرموقين ولكنك تعامل معاملة الانجاس الذين لا يمسون حالما تعلن لاحد الهندوكيين بانك من المسلمين . »

وقد ذكر المستر في . دي ساڤاركار زعيم حزب المهاسباها لعموم الهند :

(*) Sir Theodore Morison's Political india

« ان من الحق ان نعترف بان القضايا الطائفية هي نتاج خصومات ثقافية ودينية ووطنية بين المسلمين والهندوكيين دامت عصوراً . قد تستطيع ان نعالجها في وقت ما ولكننا لا نستطيع ايقافها بالأنكار . ليس لنا إلا ان نواجه هذه الحقيقة المرة على علاتها . وان نعترف بأن الهند لا يمكن ان تكون وحدة ذات شعب عريق بالوطنية لانها تضم شعبين رئيسين هما الهندوكيون والمسلمون[١] . »

وقد كان القائد الأعظم المرحوم محمد علي جناح أكثر صراحة حينما تحدث إلى بيفرلي نيكولس في هذا الموضوع فقال :

« ليس الاسلام مجرد تعاليم دينية ولكنه كذلك مجموعة قوانين اخلاقية واقعية وعملية . انني افكر الآن بشروط الحياة وبضرورات الحياة كلها . انني افكر بتاريخنا وبأبطالنا وبآدابنا وبفننا المعماري وبموسيقانا وبقوانيننا وبفقهنا ... فاننا لا نختلف عن الهندوكيين في جميع هذه الشؤون فحسب بل اننا نقف أحياناً متخاصمين . نحن مخاليق آخرون نختلف عنهم كل الاختلاف وليس في الحياة ما يربطنا ببعضنا .

اننا نختلف عنهم باسمائنا وبملابسنا وبطعامنا . ونختلف عنهم بطراز حياتنا الاقتصادية ومفاهيم المعرفة لدينا واسلوب معاملتنا للمرأة ونظرتنا إلى الحيوانات نحن نخاصم بعضنا في كل شأن من شؤون الحياة . خذ مثلاً مشكلة البقرة الخالدة . فاننا نأكل البقرة ويعبدها الهندوكيون .[٢] »

رغم ذلك بذل المسلمون جهوداً كبيرة في سبيل التوفيق وقد تظاهر المؤتمر الهندي أيضاً برغبته في تسوية المشاكل القائمة بين الهندوكيين والمسلمين قبل ان يستفحل الأمر وترجع حركة التوافق إلى سنة ١٩٢٢ حينما ألف المؤتمر الهندي لجنة ضمت الدكتور انصاري ولاله راجبات راى لوضع ميثاق وطني .

---

(١) تصادم الوطنية : طبع في بومبي سنة ١٩٤٢

(٢) "VERDICT ON INDIA" BY BEVERLY NICHOLS

فقدم تقرير واف في الاجتماع الذي عقده المؤتمر في سنة ١٩٦٣ احيل إلى لجنة اخرى ثم زال من الوجود .

وقد وضع كذلك أحد زعماء المؤتمر المستر سي . آر . داس مشروعاً للتوفيق في المناحي الدينية والسياسية ولكنه رفض باعتباره منطوياً على زيادة التحيز للمسلمين ! ورغم نداءات السيد محمد علي جناح في سنة ١٩٢٩ في شأن تحقيق بعض الاصلاحات في ولاية الحدود الشمالية الغربية التي تحتوي على اكثرية مسلمة فقد رفض الطلب بناء على معارضة زعيم المهاسباها المتطرف الذي عاضده الباندت نهرو المعتدل.

وفي سنة ١٩٢٦ حاول المرحوم محمد علي جناح مرة اخرى تسوية الامور فبعث بمذكرة إلى المستر غاندي قبل فيها الانتخابات المختلطة بشروط وقد وقع على هذه المذكرة ٢٨ زعيماً من المسلمين فيهم الدكتور الانصاري ومولانا محمد علي وقد قبل غاندي المشروع ولكن لم ينظر فيه المؤتمر ولم يوضع موضع التنفيذ بناء على معارضة الباندت مالاقيا رئيس المهاسباها . وقد الفت لجنة من قبل مؤتمر الأحزاب دعيت لجنة نهرو فعدلت اقتراح جناح بشكل يتضمن غبن المسلمين فرفضه المسلمون . ووضع حزب عصبة عموم المسلمين صيغة « العهد الوطني » في سنة ١٩٢٨ بعد تعديل مشروع نهرو ولكن لم يقبله المؤتمر . فقد أدت هذه التطورات إلى تنبيه المسلمين إلى حقيقة عدم امكان التعاون مع الهندوكيين ومع ان مولانا محمد علي كان من اكبر أنصار غاندي ورأس يوماً ما المؤتمر الهندي صرح في سنة ١٩٣٠ قائلاً :

« نحن نرفض الالتحاق بحركة غاندي لانها لا ترمي الى استقلال الهند الكامل بل إلى اخضاع سبعين مليوناً من مسلمي الهند إلى حزب المهاسباها الهندوكي . »

وقد رأت الحكومة البريطانية ان تؤلف في هذا الدور لجنة سيمون برئاسة السيرجون سيمون يومذاك (اللورد الآن) فتقدم السيد محمد علي جناح

بمطاليب المسلمين بمشروعه المشهور بمشروع الـ ١٤ مادة . ومن أهم ما جاء في هذا المشروع ضرورة قيام حكم اتحادي (فيدرالي) تتمع فيه الولايات بسلطات دائمة ويجب احداث ولايتين في السند وبلوجستان ويجب منح الويات استقلالاً داخلياً متناسقاً بما فيها ولاية الحدود الشمالية الغربية والسند وبلوجستان ويجب ان يمثل المسلمون في المجلس التشريعي المركزي بما لا يقل عن الثلث ويجب ان تستمر الانتخابات على أساس التمثيل الطائفي الى أن يتخلى عنها بالاختيار ويجب ان لا تؤلف وزارة في المركز أو الولايات ما لم تضم ثلثاً من الوزراء المسلمين ويجب عدم الاخلال بوضع الاكثرية المسلمة في بنجاب والبنغـــال ويجب ان توضع في الدستور الضمانات الكافية لحقوق المسلمين وشؤونهم الدينية والثقافية . ولكن المؤتمر الهندي لم يقبل هذه المقترحات وأخذ يشجبها مع أنها كانت تنطوي على قدر كبير من التسامح بقبول النظام الاتحادي في الوقت الذي كانت رغبة العصبة منصرفة إلى الاستقلال التام . وقد وقفت أكثرية المسلمين الى جانب المرحوم محمد علي جناح تؤيده في مطاليبه بينما أخذ المؤتمر وأنصاره يقاومون فعادت العلاقات المسلمة الهندوكية الى التوتر من جديد في سنة ١٩٣٠

وأخذت حركة « الشودي » و « الشانكاثان » تتقدم وأخذت تتبلور الافكار لاتخاذ اسلوبين في انقاص نفوس المسلمين : أولها ارجاعهم الى الهندوكية وثانيها الابادة بواسطة جيش خاص يؤلف لهذا الغرض وإذا تم تنفيذ هذه الخطة تم الوحدة الهندية « السانكاثان » بزوال المسلمين .

اصلاحات سنة ١٩٣٥

للاسباب الآنفة الذكر لم يقم المسلمون بمعاضدة حركة العصيان المدني التي قام بهـــا كاندي في سنة ١٩٣٥ وواصلوا العمل على تحقيق مطاليبهم بالاساليب الدستورية وقد أسفرت جهودهم عن قانون حكومة الهند سنة ١٩٣٥ وتضمن هذا الاصلاحات الدستورية التالية :

١ ـ استقلال الولايات وتحررها من سيطرة المركز إلا في شؤون معينة .

٢ ـ اقامة حكومات مسؤولة في الولايات مع بعض التحفظات .

٣ ـ احداث ولايتين في السند واوريسا .

٤ ـ حكومة اتحادية مركزية تنضم اليها الولايات والايالات الهندية Indian States

٥ ـ انتخابات خاصة للمسلمين مع صيانات معينة لحقوق الاقليات .

٦ ـ منحت المسلمين في مراكز الاكثرية الهندوكية والهندوكيين في مراكز الاكثرية المسلمين قيمة خاصة .

٧ ـ حفظ مستوى الاكثرية المسلمة الاعتيادية في البنغال وبنجاب .

٨ ـ وعدت الهند بنظام الدمنيون بعد نقل السلطات ومرور عهد الانتقال .

الاصلاحات في دور التجربة

لم توافق عصبة المسلمين على هذه الاصلاحات إذ سبق لها فقررت عدم الرضاء بشيء دون الاستقلال غير أنها رضيت بتجربتها في الولايات تاركة أمر الاتحاد المركزي . وقد جاءت التجربة بما يبرهن للمسلمين مرة أخرى على سوء نية الهندوكيين . اذ بعد أن فاز حزب المؤتمر الهندي بأكثرية المقاعد في ٧ من ١١ ولاية بدأ يعمل سافراً على تحقيق أغراضه . وحينما حاولت العصبة التعاون رفض المؤتمر قائلاً أنه لا يسمح التعاون مع وزراء من غير أعضاء الحزب . ونشر شعاراً جديداً مضمونه « وقع عهد المؤتمر وإلا اذهب ! » .

ولم يكن في وسع العصبة أن تقبل هذا التحدي طبعاً إذ كان معناه اخضاع المسلمين إلى قيادة المؤتمر العليا بدلاً من اعتبارهم شركاء في الحكم .

فاتجه زعماء المؤتمر في هذه المرحلة نحو (١) زيادة معارضة الحكم البريطاني

بقصد الحصول على الاستقلال (٢) ازدراد احزاب الاقليات ولاسيما حزب عصبة عموم مسلمي الهند (٣) ايجاد حركات دستورية في الايالات states وتأسيس مؤسسات حزبية مشابهة للمؤتمر تمكنهم من بسط نفوذ المؤتمر على الايالات ايضاً عند تكوين الحكم الاتحادي الفيدرالي . لذلك أخذوا يحرضون على الشغب في الايالات ، وراحوا يخرجون الوزراء الذين لا ينتمون إلى حزبهم ويستبدلونهم بوزراء من أعضاء حزبهم وبـدأوا حملة الاتصال الجماهيري بالمسلمين بقصد ابعادهم عن العصبة وضمهم إلى حزب المؤتمر بينما اخذت القيادة العليا للحزب تقوى سيطرتها على الوزراء في الولايات . وخلاصة القول ان حزب المؤتمر رمى إلى بسط نفوذه على جميع القارة الهندية ليحكمها حكماً ديكتاتورياً . فقد سيطر الحزب على عدد كبير من الصحف باموال هندوكية مدها بها أصحاب رؤوس الاموال من الهندوكيين وأخذت زعامة الحزب تقضي على كل معارضة في داخل الحزب أو خارجه . ولما رأت الجماهير الهندوكية الوزراء الهندوكيين يحتلون كراسي الحكم اقتنعت انه تم تحقيق « الراج الهندي » السيادة الهندوكية فاخذت تسلك ازاء المسلمين سلوكاً لا يطاق اذ اخذت تطالب بفرض النشيد الهندي الوثني وفرض علم حزب المؤتمر على البلاد . وقد منع تدريس الاوردو في المدارس وحذف درس الدين من مناهج المدارس في الولايات التي سيطر عليها المؤتمر وأخـذ الهندوكيون يدرسون التاريخ بشكل يغرس في الاولاد روح الكره للعهد الاسلامي لأنه كان – على زعمهم – عهد اراقة دماء وظلم واستبداد وحملهم على تمجيد العهود الهندوكية والعقائد الهندوكية وقد ارغم الطلاب المسلمون على الانحناء امام صورة غاندي ومنع القرويون المسلمون من الاقتراب من آبار الماء باعتبارهم من الأنجاس وهدد الجزارون ليحذروا من نحر البقر واعتدي في مختلف الانحاء على المسلمين تنفيذاً لحركة « شودا » بغية حملهم على اختيار أحد السبيلين الهندوكية أو الابادة وقد قتل عدد كبير منهم وخربت منازلهم ونهبت أموالهم واختطفت نساؤهم .

يقظة المسلمين

ان هذه الاوضاع زادت في يقظه المسلمين وانتباههم وبينما كان المستر نهرو ينكر وجود غير الهندوكيين والانكليز على مسرح السياسة الهندية صرح المرحوم محمد علي جناح قائلاً : هنا طرف ثالث هو الامة المسلمة وقد ازداد نشاط المسلمين بين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٠ في سبيل تحقيق « الاستقلال » الذي قرروا توجيه حركتهم نحوه وفي سنة ١٩٤٠ وضع قرار يقضي بتحقيق باكستان « الارض المطهرة » في الاجتماع الذى عقدته عصبة مسلمي عموم الهند في لاهور وهذا نصه :

« لا يمكن تنفيذ أية خطة دستورية في هذه البلاد أو قبول المسلمين بها ما لم تنبني على الاسس التالية :

يجب ان تحدد الوحدات الجغرافية المتصلة ببعضها وتجعل منها مناطق تضم اليها الاراضي التي تتطلبها الحاجة وحينما يكون المسلمون أكثرية كما في شمال غربي الهند وشمال شرقيها تجعل من هذه المناطق ايالات مستقلة Independent States تكون فيها الوحدات الانتخابية مستقلة وذات سيادة ويجب أن يحتوي الدستور على ضمانات كافية للاقليات التي توجد في هذه الوحدات والمناطق . ويجب أن تكون هذه الضمانات مساعدة على حماية أمورهم الدينية ومصالحهم الثقافية والاقتصادية والسياسية والادارية وحقوقهم الاخرى ومصالحهم بالتعاون معهم .

وحينما يكون المسلمون اقلية في أية جهة من الهند يجب أن تكون لهم ولبقية الاقليات ضمانات كافية في الدستور تحمي شؤونهم الدينية والثقافية والاقتصادية والسياسية والادارية وحقوقهم الاخرى ومصالحهم بالتعاون معهم .

وكان المقصود بهذا القرار هو فرز ولايات البنجاب والسند والحدود الشماليه الغربية وبلوجستان وبنغال وهي الولايات التي يؤلف فيها المسلمون

أكثرية السكان وجمعها ببعضها في دولة واحدة مستقلة تدعى «باكستان» وكان من شأن هذه الخطة جعل المسلمين أكثرية في قسم صغير من الهند بدلاً من أن يكونوا اقلية في جميع الهند ، وقد ادرك المسلمون بعد تجارب عديدة انهم لا يستطيعون العيش مع الهنود في نظام واحد وحكم واحد لأنهم يختلفون عنهم كثيراً من جميع الوجوه وانهم إذا ما عاشوا معهم سيعيشون على هامش الحياة عبيداً لأصحاب رؤوس الاموال من الهندوكيين الذين ارهقوهم بالربا وجعلوهم محض منتجين للمواد التي تشغل معاملهم كذلك انهم يفقدون ثقافتهم وكيانهم الاسلامي الخاص ويفقدون نصيبهم من الحكم ويرضخون لضروب الظلم والاعتداء والتعسف الهندوكي . فقد وقفوا وقفة حازمة ازاء كل تسوية عرضت عليهم عدا الاستقلال وخاضت العصبة في سنة ١٩٤٦ الانتخابات على اساس تحقيق دولة باكستان ففازت بجميع المقاعد المخصصة للمسلمين في الهيئة التشريعية المحلية وبـ ٤٢٧ مقعداً من أصل ٥٠٧ مقاعد في الولايات وقد اخرست هذه النتيجة حزب المؤتمر الهندي ولم يستطع الانكليز أن يناقشوا رغبة المسلمين .

وفي ٢٠ شباط ١٩٤٤ أعلن المستر اتلي رئيس وزراء بريطانيا في مجلس العموم البريطاني ما يأتي :

١ ـ أعلنت الحكومة البريطانية عزمها عزماً أكيداً على اتخاذ التدابير الضرورية لنقل السلطة إلى ايدي مسؤولة في تاريخ لا يكون بعد حزيران ١٩٤٨ .

٢ ـ لقد علمت الحكومة البريطانية انه لا أمل في وضع دستور وفق خطة بعثة الوزارة تتفق عليه جميع الاحزاب .

٣ ـ تعلن الحكومة البريطانية انها تنوي ان تنقل السلطات اما إلى حكومة مركزية واحـــدة واما إلى حكومات الولايات القائمة الآن في بعض المناطق واما أن تتخذ تدبيراً آخر تجده أكثر انطباقاً على الواقع .

وقد جاء الهند اللورد مونتباتن في آذار ١٩٤٧ نائباً للملك مزوداً بسلطات واسعة لحسم قضية استقلال الهند بصورة نهائية وبعد المداولة مع حزب

المؤتمر وحزب عصبة المسلمين قرر قبول مطاليب المسلمين التي نادوا بهـا سبع سنوات كاملة أي ان يكونوا مستقلين في مناطق اكثريتهم بشرط تصويت السكان على ذلك أو تصويت ممثليهم المنتخبين . فقد صوتت بنغال الشرقية كلها ومنطقة سيلهت في اسام في شرقي الهند والقسم الغربي من بنجاب والسند وبلوجستان وولاية الحدود الشمالية الغربية بالالتحاق بباكستان واختارت بنجاب الشرقيـة والبنغال الغربية الهند .

فابرم البرلمان البريطاني قانون استقلال الهند في ١٨ تموز ١٩٤٧ وقد جاء فيه ما يأتي :

تنشأ اعتباراً من ١٥ آب ١٩٤٧ دولتان مستقلتان من طراز الدومنيونات في الهند تعرف احداهما « الهند » وثانيتهما « باكستان » وسيكون في كل دولة حاكم عام يدير الدومنيون يتم تعيينه من قبل صاحب الجلالة »

تسوية قضايا الايالات الهندية

بعد ان تم انشاء دولتين في الهند على الوجه المتقدم بقي اقرار امر الايالات الهندية أو المقاطعات الهندية أو الامارات الهندية كما دعيت . وهذه الايالات States كانت مستقلة داخلياً في عهد البريطانيين ترتبط بعهود ومواثيق مختلفة بالامبراطورية . وكان عددها نحو ٦٠٠ ايالة صغيرة وكبيرة وقد رأى اللورد مونتباتن ان تختار هذه الايالات الالتحاق باحدى الدولتين أو البقاء مستقلة إذ ان معاهداتها واتفاقاتها تصبح ملغاة من تاريخ تأسيس الدولتين وقد خطب في رؤساء هذه الايالات فنصحهم بان يختاروا سبيلهم على اسس الاعتبارات الجغرافية والضرورات الاقتصادية . اما زعماء الهند فقد رأوا الأخذ برغبات السكان دون الحكام بأمل ان تلتحق بهم الايالات ذات الاكثرية الهندوكية رغم ارادة حكامها المسلمين .

وقد تلا ذلك التحاق جميع الايالات باحدى الدولتين حسب صلة جوارها واكثرية سكانها وارتباط اقتصادياتها باستثناء :

جوناكاذ وحيدرآباد وكشمير

جوناكاذ : منطقة صغيرة يحكمها مسلم ولكن اكثرية سكانها غير مسلمين تحيط بها الهند من ثلاث جهات وتتصل من البحر بباكستان . وقد اختار حاكمها الالتحاق بباكستان ولكن حكومة الهند عارضت بذلك ولم ترض باستفتاء الأهلين أيضاً ثم اكتسحتها بالقوة وضمتها اليها بعد أن طردت حاكمها المسلم وقدرفعت باكستان قضية هذا الاعتداء إلى الامم المتحدة وهي لا تزال أمام مجلس الأمن .

حيدر آباد : وهذه بلاد كبيرة يحكمها حاكم مسلم له شهرة عالمية واسعة وحرمته في البلاد الاسلامية وقد اختار هذا الحاكم : « نظام حيدر آباد » عدم الالتحاق باحدى الدولتين ورغب في تنظيم علاقاته بالهند بمعاهدات خاصة ولكن

رفضت الهند الاستجابة اليه وطلبت ان يلتحق بها قبل كل شيء . ثم اقترح عليها استفتاء الشعب ولم ترض الهند بهذا الاقتراح أيضاً بحجة ان وجود النظام لا يجعل الاستفتاء سلمياً ولم ترض حتى باستفتاء يجري باشراف الامم المتحدة وفي الاخير ساقت قواتها واحتلت البلاد فضمتها اليها دون رضاء الحكومة القائمة فيها أو الشعب .

كشمير : قبل ان تحدث حكومة باكستان بثلاثة أيام ابرق مهراجا كشمير الدوكرى إلى باكستان يطلب عقد معاهدة لادامة الصلات السابقة ومحافظة الاوضاع الراهنة وقيل انه تقدم بمثل هذا الطلب إلى حكومة الهند في نفس الوقت .

وعندما تأسست حكومة باكستان استجابت للطلب بينما رفضته الهند . فاخذت باكستان على عاتقها إدارة البرق والبريد في كشمير وتموين المنطقة باللوازم التي اعتادت استيرادها من باكستان ولكن سرعان ما اكتشفت حقيقة اتصالات المهراجا بالهند والهند بالمهراجا وعملها سراً على الحاق كشمير بالهند بغض النظر عن اكثريتها المسلمة .

النزاع بين الهند وباكستان

بدأت تعبئة العناصر الهندوكية الارهابية في كشمير توا على أثر تقسيم الهند إلى دولتين . وقد جاء آجاريا كريلاني رئيس المؤتمر الهندي إلى كشمير ثم جاء غاندي فطلبا إلى المهراجا ان يلتحق بالهند بلا تردد وقد تريث المهراجا قليلاً إذ كان يعلم بما سيكون لالتحاقه من اثر في اكثرية بلاده المسلمة ولكنه لم يستطع التغلب على العناصر التي جاءت للارهاب واحداث القلاقل والاضطراب وقد أطلق سراح الشيخ عبدالله من السجن وكان قد سجنه على أثر قيامه بحركة « اخرجوا من كشمير » وسمح له ان يؤلف ميليشيا خاصة لدعم سياسة المؤتمر الهندي .

ثم أخذ جيش المهراجا والعناصر الهندية الارهابية وميليشيا الشيخ عبدالله بمهاجمة المسلمين الآمنين في مقاطعة جمو فذعر العزل والنساء والاطفال فأخذوا يهاجرون إلى باكستان بالجملة تاركين وراءهم قتلاهم وبيوتهم للخراب وأموالهم للنهب .



سيل من المهاجرين الكشميريين

ان المقال التالي المنشور في تشرين الاول ١٩٤٨ في جريدة التايمس اللندنية خير شاهد على الفضائع التي ارتكبها الهندوكيون في كشمير :

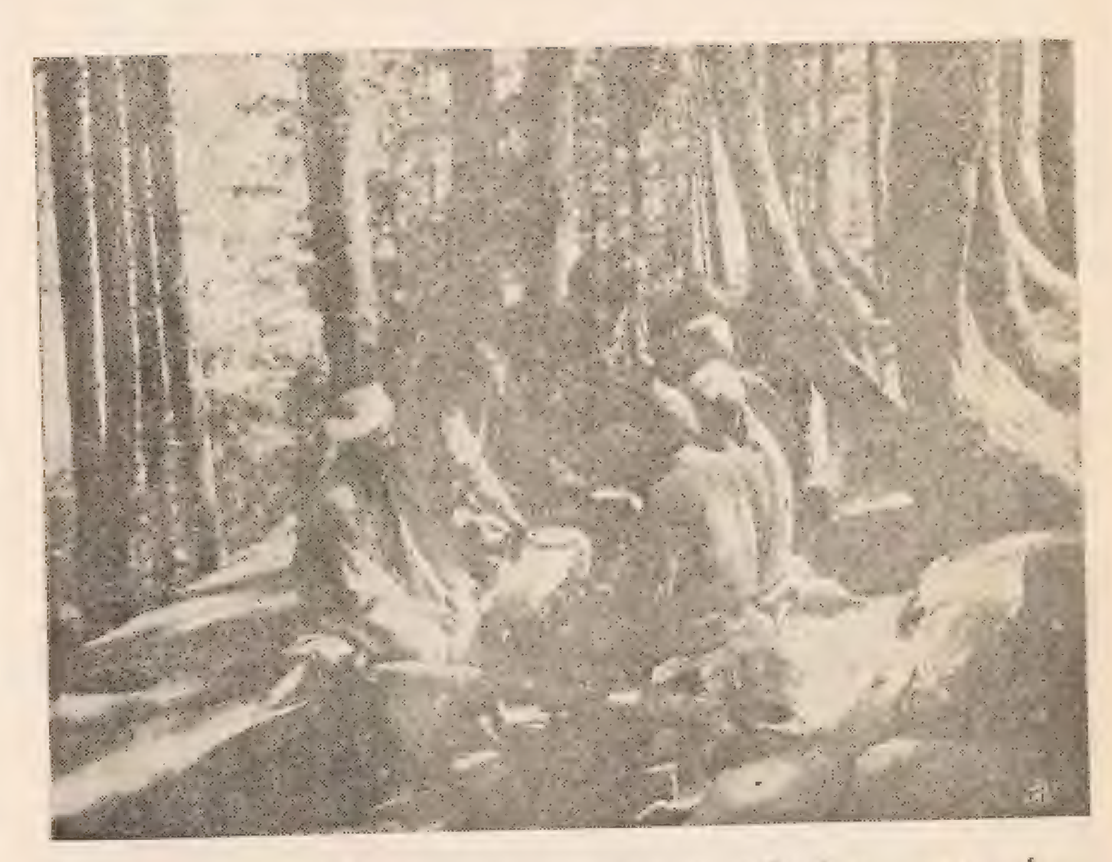
« فيما تبقى من منطقة الدوكرا ابيد ٢٣٧٠٠٠ مسلم ابادة منظمة . من قبل جيش حكومة الدوكرا يعاونهم الهندوكيون والسيك وبرأس المهراجا الجميع ولم يسلم من القتل سوى الذين استطاعوا ان يهربوا إلى باكستان . حدث ذلك في شهر تشرين الاول قبل هجوم الپاتان بخمسة أيام وقبل ان يلتحق المهراجا بالهند بتسعة أيام . هذه الحركة التي قصد بها ابادة ثلثي سكان القسم الشرقي من جمو أي المسلمين غيرت شكل هذه المنطقة كثيراً .

إن هذه المنطقة التي كانت اتصالاتها واقتصادياتها مرتبطة بالبنجاب الغربية حصراً لم يمكن ان تحول ولا يمكن ان تحول الى پاتانكوت طريق الهند الوحيد الى المنطقة حيث تنتهي سكتها الحديد . أما لو خير الاهلون ولو اخذت الاوضاع الجغرافية والاقتصادية بنظر الاعتبار فلا يبقى مجال للشك في القطر الذي تلتحق به الايالة . »

فلما جاءت أنباء هذه الفظائع إلى الحدود وجاء المهاجرون إلى باكستان في حالة من الاعياء يرثى لها وعلم السكان ان اخوانهم المسلمين اشتبكوا في حرب دامية مع الهندوكيين دفاعاً عن أرواحهم وأموالهم وأعراضهم اندفعت القبائل الپاتانية من ولاية الحدود واندفع المجاهدون من ضفاف جيلوم الغربية ومن البنجاب ينجدون اخوانهم في كشمير .

ان سلسلة الحوادث التالية تبرهن على أن المهراجا تآمر مع الهندوكيين على اخضاع المسلمين لحكم لا يرتضونه في سبيل الاحتفاظ بحكمه الزائف وجعل كشمير وسيلة تسيطر بها حكومة الهند على مقدرات باكستان :

(١) قام جودري حميد الله خان في ٥ أيلول ١٩٤٧ على رأس مظاهرة من المسلمين في بونج فطالب بضم كشمير إلى باكستان ولكن المهراجا أمر الشرطة باطلاق النار عليهم ثم أعلن الاحكام العرفية والقى المطالبين بحقوقهم في أعماق السجون .



يأوى المجاهدون الى أفياء الاشجار بعد القتال يتناولون الطعام ويأخذون قسطاً من الراحة

الجاهدون يستقبلون القبلة لاداء صلاة الفجر قبل ان يقتحموا ميدان الشرف .

عقد يوم ١٩ أيلول ١٩٤٧ مؤتمر الفلاحين والعمال فطالب بضم كشمير إلى باكستان ولكن رفض المهراجا اجابة الطلب ثم اخذ يوزع السلاح على العصابات من الهندوكيين والسيك ويستعديهم على المسلمين .

في يوم ١٧ أيلول ١٩٤٧ أعلن چودري حميد خان بلزوم قيام جميع المسلمين بالاحتفال بيوم باكستان في ١٩ أيلول ١٩٤٧ ومطالبة المهراجا بضم كشمير إلى باكستان وكذلك تعسف المهراجا ازاء هـذا الاحتفال وأخـذ يدخل السيك والهندوكيين سراً إلى البلاد ويزودهم بالاسلحة .

شعرت حكومة باكستان بضغط حكومة كشمير على المسلمين واضطهادهم فاعلنت وزارة خارجيتها يوم ١٤ تشرين الاول ١٩٤٧ لزوم تغيير حكومة كشمير سياستها ازاء المسلمين وان توقف الفوضى واحراق القرى والاعتداء على الآمنين .

وكان قد تقدم ذلك الاعلان اتصالات رسمية بين حكومة باكستان وحكومة كشمير والهند لتسوية الامور تسوية سلمية واشراف الهند وباكستان على استفتاء الاهليين بيد انه لم يصغ أحد إلى مطاليب باكستان وحينما ابرق رئيس وزراء كشمير إلى القائد الاعظم المرحوم محمد علي جناح بتاريخ ١٨ تشرين الاول ١٩٤٧ يقول بانه سيستعين بقوات من الخارج ازاء تدفق المجاهدين ورجال القبائل ، ابرق القائد الاعظم إلى المهراجا يطلب اليه ارسال رئيس وزرائه إلى كراجي للتفاهم حول الامور المختلف فيها بالطرق الودية ولكن المهراجا لم يجب مما اضطر القائد العام إلى نشر نص برقيته في الصحف .

وفي ٢٧ تشرين الاول أعلن المهراجا هاري سينك انه قرر الالتحاق بالهند وحينما أعلن راديو دلهي هذا النبأ اضاف ان قوة من دلهي اتجهت إلى كشمير لحماية حكومة كشمير من الاعتداء . ولم يكن في الواقع طريق تجتازه هـذه القوات إلى الهند في يومها فارسلت عن طريق الجو وهبطت في مطار سرينا گار في نفس يوم اعلان الالتحاق أو اليوم التالي .

وقد مهدت القوات الهنـدية لنفسها بقصف تجمعات المجاهدين وقرى المسلمين من الجو لتكون حركة الابادة والتدمير امضى اثراً .



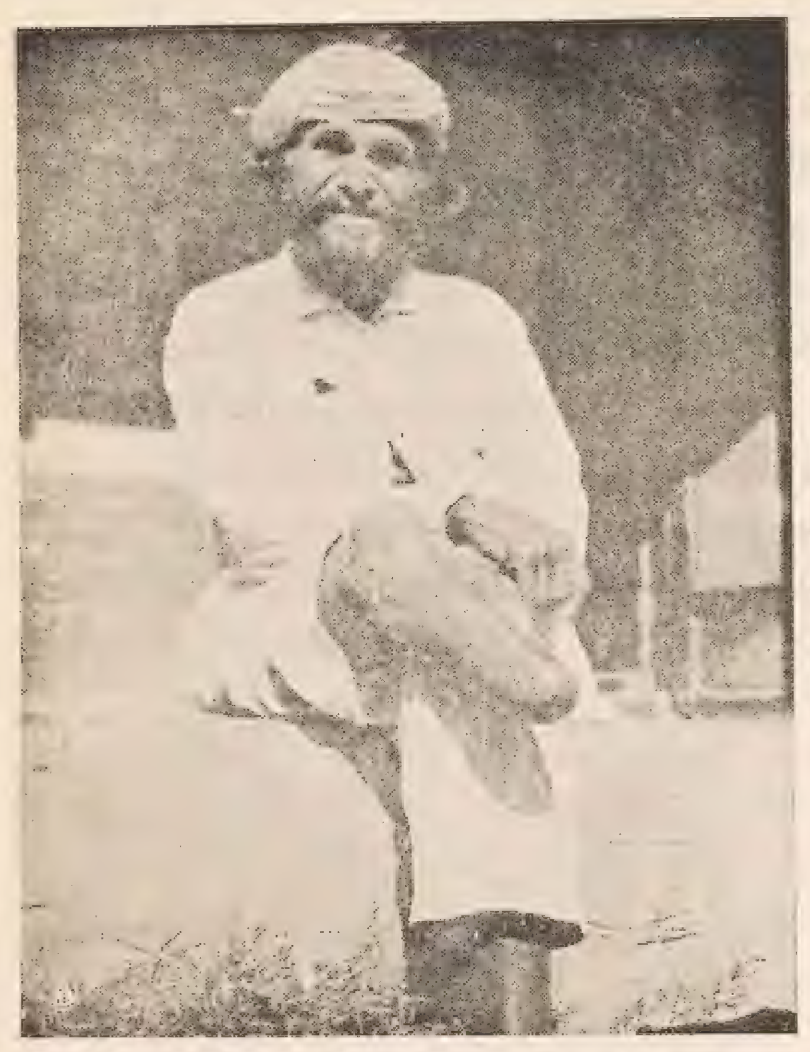
ما تبق من جامع باغ الذي قصفته الطائرات الهندية

اتسع نطاق القتل والابادة بعد دخول الجيش الهندي كشمير وها ان ضابطين بريطانيين كانا في كشمير يعمل احدهما بالنيابة عن الحكومة الهندية والآخر عن الحكومة الباكستانية يكتبان تقريراً عن الفظائع التي شاهداها بعد دخول جيوش الهند إلى كشمير قالا :

في صباح ٥ تشرين الثاني دق الطبل في مدينة جمو واعلن باسم عظمة المهراجا لزوم خروج جميع المسلمين من الايالة لأن حكومة باكستان تطلبهم . وطلب اليهم التجمع في ساحة الاستعراض في جمو ثم اخذوا من هناك إلى الشرطة وفتشوا وجردوا من ممتلكاتهم ثم وضعوا في سيارات اللوري وقيل انهم سيذهبون إلى سوچه گار ولكن بدلاً من ذلك سارت بهم السيارات إلى « كاثوا » فوقفت السيارات في « ماوا » حيث انزلوا من السيارات فقام سواق اللوريات السيك بفرز الفتيات من القافلة ثم بدأوا بقتل الآخرين . وقد وقف جنود حكومة كشمير موقف المتفرجين بينما امعن السيك والهندوكيون في قتل المسلمين ولم يبق من أربعة آلاف مسلم في تلك القافلة سوى ٩٠٠ استطاعوا أن يهربوا ويصلوا إلى سيالكوت . وفي هذه الحادثة فقدت كريمة غلام عباس رئيس المؤتمر الاسلامي واخته إذ نهبها المهاجمون .

وفي ٦ تشرين الثاني غادرت مدينة جمو ٧٠ سيارة تحمل أكثر الاسر المسلمة المحترمة في جمو متجهة نحو سوچه گار وبعد ان ابتعدت السيارات بضعة أميال عن المدينة أوقفت فهاجمهم السيك المسلحون وجنود الحكومة ومتطوعو راشتريا سوايام سيوالك سانك .

وخلال شهر تشرين الاول ١٩٤٧ حصر نحو ٩٤٠٠٠ مسلم في سامبها من قبل الهندوكيين والسيك الذين قطعوا الماء والطعام من قرى المنطقة . وفي ٢٢ تشرين الاول زار المهراجا منطقة سامبها وجاء توا على الاثر جنود الحكومة فنهبوا النساء وقتلوا الرجال باستثناء ١٥ هربوا إلى سيالكوت .



حسين علي لاجيء من پونچ وقد ثار عليه لغم أرضي عندما كان يحاول الهروب الى باكستان فجيء به الى مستشفى الصليب الأحمر البريطاني في روالپيندي حيث اجريت له عملية بتر الساق .

وفي ٢٢ تشرين الاول اجتمع نحو ٨٠٠٠ مسلم في « بوللاتانك » على مقربة من كانوا فطلبوا الى حاكم المنطقة حمايتهم ولكن لم يجب طلبهم فساروا نحو حدود باكستان وعلى بعد ثلاثة أميال من الحـــدود لحق بهم جنود الدوكرا ومدنيون من السيك فذبحوهم ولم ينج منهم سوى ٤٠ استطاعوا بلوغ سيالكوت.

جمع ٢٥٠٠٠ مسلم من بيران صاحب بنـاء على أوامر الحكومة بقصد ارسالهم إلى باكستان . وبينما كانوا يتجمعون نهب جنود الدوكرا نساءهم وأموالهم ثم حصدوا بنيران الرشاشات ولم يسلم منهم سوى ٢٠٠ رجل استطاعوا أن يهربوا إلى باكستان بالسير ليلاً والاختفاء نهاراً .

جيء بنحو من ١٥٠٠٠ مسلم من القرى المحيطة بجسر اخنور في ٢٠ تشرين الاول وقد امروا بالسير إلى باكستان على الاقدام ولما رفضوا فتك بهم جنود الدوكرا والرجبوت ولم يسلم منهم سوى ١٠٠ اختفوا في حقول الذرة .

(انتهى تقرير الضابطين البريطانيين) .

حكومة كشمير الحرة أو آزاد كشمير

لقد اتسع نطاق ثورة المسلمين في كشمير باتساع نطاق اضطهاد السكان من قبل حكومة المهراجا الدوكري وعناصر الارهاب الهندوكية والسيك . والتحق بمناطق الثورة زعماء المؤتمر الاسلامي وغيرهم من مثقفي كشمير ، فاخذ المثقفون على عاتقهم تنظيم ادارة المناطق التي كسبها الثوار وايجاد تأسيسات حكومية للأمن والتمثيل الخارجي وشؤون الدفاع والمال والثقافة ورعاية شؤون المدنيين غير المحاربين . ففي ٤ تشرين الاول ١٩٤٧ ألف السردار محمد ابراهيم هـذه الحكومة باجماع آراء الزعماء وتقلد فيها جودري غلام عباس رياسة الحكومة والسردار محمد ابراهيم رياسة الوزراء والسيد احمد علي شاه وزارة الدفاع والسيد نظير حسين شاه وزارة المالية وجودري عبدالله خان بهاني وزارة الخارجية وخان غلام الدين واني وزارة الداخلية ومير محمد يوسف فائز وزارة المعارف .

وقد انشىء جيش من الكشميريين المسرحين من الجيش البريطاني ، وقد ازداد هذا الجيش عدداً وعدة وقوة بانضمام بعض الافواج المسلمة من جيش الحاكم الدوكري وقد التحقت بجيش كشمير الحرة بكامل تجهيزاتها واسلحتها .

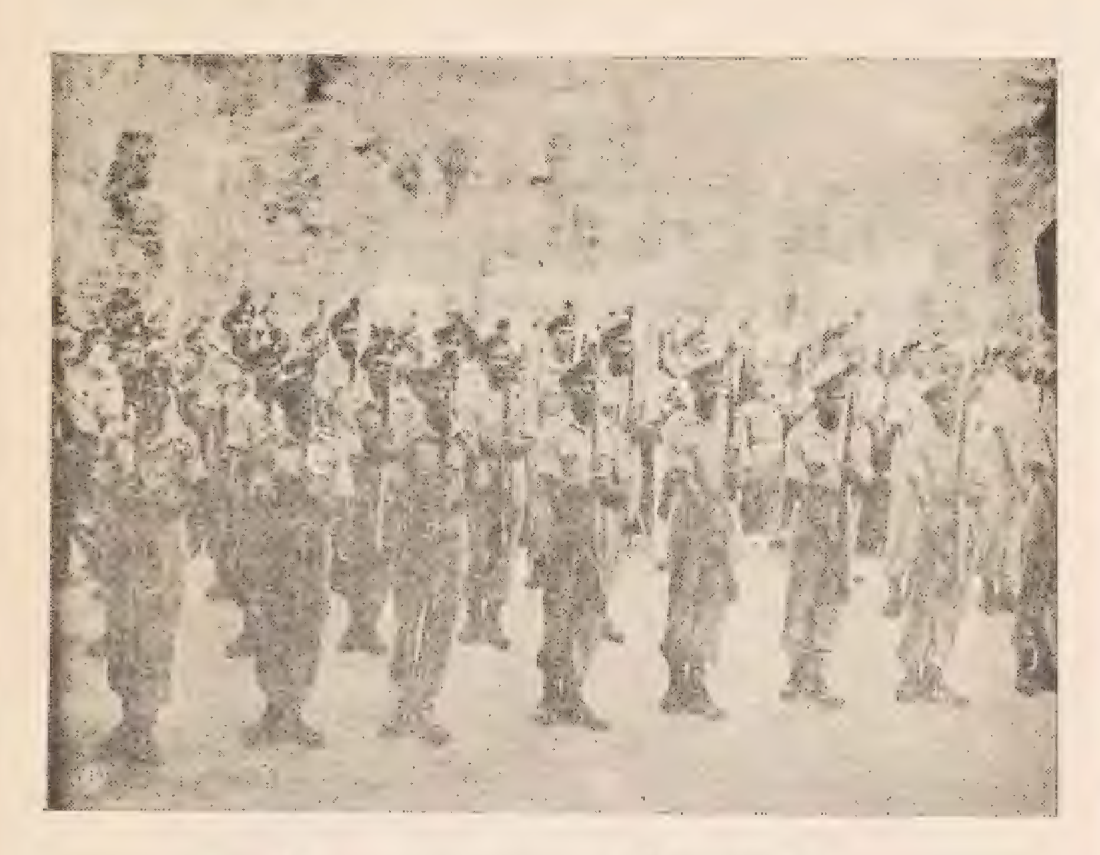
وفي يوم تأليف الحكومة أصدر السردار ابراهيم خان البيان التالي الى الشعب(*) :

١ ـ أنه إذا أدعى أي إنسان حتى ولو كان « هاري سينك » سيادة دولة كشمير (كذا) فلن يكون عقابه إلا المحاسبة والعقاب وفق قانون الجمهورية .

(*) نقلنا نص هذا البيان من كتاب جنة الارض كشمير للسيد محمد حسن الاعظمي وزينب هانم الحكيم المطبوع في مصر .



السيد جودري غلام عباس رئيس حكومة كشمير الحرة يفتش حرس الشرف الذي أعده اللواء الرابع من جيش كشمير الحرة



جنود كشمير الحرة يؤدون التحية العسكرية بالبنادق

٢ – محظور على كل مواطن أن يطيع أي أمر لهاري سينك أو أحد أقربائه أو أشياعه .

٣ – يجب على الشعب أن يطيع أوامر الحكومة الحرة التي تصدر من اليوم .

وأخذ جيش الحكومة الحرة ينتقل من نصر الى نصر ويتقدم في البلاد حتى بعد نزول الجيوش الهندية النظامية في سرينا گار في ٢٧ تشرين الاول ١٩٤٧ و كلما تقدم الجيش الحر زاد المجاهدون قوة وحماسة وازداد عددهم واشتد بأسهم على الدوگره والهندوكيين بحيث استطاعوا أن يستولوا على معظم الايالة وأن يقاتلوا على جبهة طولها نحو ٦٠٠ ميل .

وَضع كشمير على أثر النزاع بين الهند وباكستان



وقد استعمل الجيش الهندي في هـذا القتال اسوأ الاساليب وأفتك الاسلحة حتى المحرمة منها فقد استعملوا « الغازات السامة والخانقة وتركوا وراءهم أربعة آلاف أعمى من اهالي كشمير(*) » .

ولما اختارت الهند رفع القضية الى الامم المتحدة تقدمت حكومة كشمير الحرة الى مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة بمذكرة ندرج خلاصتها أدناه :

« إن المسلمين الموجودين في كشمير يبلغ عددهم ٨٠ ٪ فهم الاكثرية الساحقة ويختلفون كل الاختلاف عن الهنادك من حيث الدين والعادات والثقافة والمدنية والاخلاق . وقد انتهى حكم الانجليز في ١٥ اغسطس ١٩٤٧ وكان يجب أن يزول حكم المهراجا الهندوكي فوراً وفق نصوص القانون والدستور .

ولكن استمرت مناصرة الهند لحكم المهراجا على الرغم من عدم رغبة المسلمين في استمرار حكمه . وقاموا بمظاهرات واسعة قبل ضم المهراجا كشمير فعلاً الى الهند وطالبوا بانضمامها الى الباكستان ولكن دون جدوى . فقاموا بحرب عنيفـة ضد حكم المهراجا الجائر ولا تزال الحرب مستمرة حتى اليوم وبالضرورة قتل عدد هائل من المسلمين العزل بايدي جيوش الحاكم وجيوش الهند المسلحين الذين عاثوا في البلاد فساداً ونهباً وهمجية وسبق لهم ان سلكوا المسلك نفسه في دهلي والبنجاب الشرقية والامارات الهندوكية والسيخية .

وقد صمم مجاهدو جمو وكشمير على المثابرة على الحرب حتى آخر الرمق ليحرروا بلادهم من براثن العبودية » . إلى أن ذكرت « ان مسلمي كشمير يبلغ عددهم ثلاثة ملايين ومائتي الف نسمة ولهم مدنيـة عظيمة وثقافة عالية ويأبون أن يتركوا بلادهم ميداناً للقتال والخراب او حقلاً للديكتاتورية الغاشمة » وقد ختمت المذكرة بالفقرة التالية : « ولكي تقدروا قيمة كشمير الحرة التي نحكمها فأن حدودها تتصل بخمس ممالك كلها أعضاء في هيئة الامم

(*) جنة الارض كشمير .

المتحدة ومن هـذا يمكن تقدير قيمتها الاستراتيجية . وأرجو أن يلحظ اننا بذلنا جهداً عنيفاً وتضحيات جسيمة لنيل هذه الحرية وسنكون أشد تضحية لابقائها [*]» .

النزاع في الامم المتحدة

لقد عملت باكستان من أول مراحل تـكون النزاع على حله حلاً سلمياً ودياً بالتعاون والتفاهم مع حكومتي كشمير والهند . ولكن لم تستجب أية واحدة من الحكومتين لطلبها . إذ رفضت كشمير ارسال رئيس وزرائها الى كراجي للتفاهم حول الوضع . ولم يوافق رئيس وزراء الهند على المداولة لا مع المرحوم القائدالاعظم ولامع رئيس وزراء باكستان . وقد عرضت باكستان على حكومة الهند استفتاء الشعب باشراف الحكومتين فرفضت واقترحت عليها رفع القضية الى الامم المتحدة بمذكرة مشتركة ولم ترض بهذا أيضاً . وبعد أن جاءت بجيوشها ففتكت بالسكان الآمنين ومن ثم عنـد ما جابهت جيشاً مسلماً قوياً أوشك أن يطوح بسمعتها لم تر بداً من الالتجاء الى مجلس الامن شاكية باكستان بزعم أنها دخلت بلاداً منضمة اليها وقد تناست بانها نفسها لم تعترف برغبات الحكام في قضايا مماثلة بشكل معاكس ونقصد في ايالتي جوگانت وحيدر آباد حيث كان يحكم حاكمان مسلمان اكثرية هندوكية فاعتبرت وجود الاكثرية الهندوكية مما يبرر لها الاستيلاء على الايالتين بالقوة وعلى هذا الاساس كان من الواجب أن تترك كشمير لأهلها يقررون مصيرها وهم اكثرية مسلمة يحكمهم حاكم هندوكي لا يمت اليهم باية صلة اللهم إلا صلة بيع وشراء بين جده الاعلى وبريطانيا .

ذهبت الهنـــد الى مجلس الامن في ٣١ كانون الاول ١٩٤٧ ورحبت باكستان بهذه الخطوة بامل أن تذعن الهند للواقع فترضى بتحقيق رغبات الشعب

(*) نقلا عن جنة الدنيا كشمير .

الكشميري بعد التعرف عليها بأسلوب حر وبإشراف هيأة محايدة .

فعرضت باكستان على مجلس الامن الحل الوحيد العملي لهذه المعضلة وهو إيجاد حالة في البلاد تساعد على استفتاء الشعب استفتاء حراً نزيهاً وقالت أن هذا يتطلب : (١) انسحاب القوات الهندية من البلاد (٢) انشاء ادارة محايدة تكون مهمتها القيام بالاستفتاء وفي هذه الحالة تستعمل الباكستان نفوذها فتعمل على أن ينسحب رجال القبائل من كشمير وتحمل حكومة كشمير الحرة على توقيف القتال فقرر مجلس الامن أن يلتمس الهند وباكستان العمل على تهدئة الوضع ريثما يتمكن من التوسط في الامر وقد قبلت الدولتان هـذا القرار وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٨ ألف مجلس الامن لجنة من ثلاثة أعضاء لدراسة أسباب النزاع فقبل به الطرفان أيضاً .

وفي ٢٤ كانون الثاني ١٩٤٨ تقدم المندوب الفرنسي باقتراح يقضي بإجلاء القوات الاجنبية عن كشمير وارجاع المهاجرين المسلمين وغير المسلمين وانشاء ادارة حرة للاستفتاء وعلى اساس هذا الاقتراح الذي مال اليه أكثرية الاعضاء وضع الجنرال ماكنوتن مندوب كندا ورئيس مجلس الامن يومذاك مشروعاً عرضه على المجلس لدرسه واقراره وكان هذا الاقتراح يقضي بوقف القتال وفسح المجال للشعب ليصوت تصويتاً حراً للجهة التي يرغب في الانضمام اليها وسحب القوات غير النظامية والعصابات وقيام الدولتين باستخدام قواتها لحفظ النظام (إلى أن ينتهي الاستفتاء) ودعوة المهاجرين من الاهلين إلى الرجوع ومزاولة حقوقهم السياسية . وانشاء ادارة مؤقتة للاستفتاء يوليها الشعب ثقته واحترامه على أن يترك الاستفتاء من حيث تنظيمه ورقابته إلى الامم المتحدة .

وقد رضيت باكستان بهذا المشروع ولكن رفضته الهند وقد دامت المداولات مدة اخرى ثم لم يجد مجلس الامن بداً من فرض قرار في ٢١ نيسان ١٩٤٨ أيده مندوبو بلجيكا وكندا والصين وكولومبيا وبريطانيا ثم وافق عليه مندوب فرانسا . وهذا ملخصه :

١ ـ ديباجة : تنص على افتتاح المجلس برغبة الهند وباكستان في التعرف على رغبات شعب كشمير وجمو بالاساليب الديموقراطية عن طريق استفتاء حر نزيه . لذلك ألف المجلس لجنة من خمسة أشخاص تتوجه الى شبه القارة الهندية الباكستانية فتقدم خدماتها الى كلا الحكومتين وتسعى لديهما بتوقيف القتال ومن ثم التعاون على القيام بالاستفتاء .

٢ ـ ولكي يستتب الامن والنظام ثانية في كشمير التمس مجلس الامن الحكومتين اتخاذ الخطوات التالية :

أ ـ تستعمل باكستان نفوذها للتأثير على المغيرين وعلى رعاياها الذين يحاربون في كشمير ليانسحبوا .

ب ـ تقوم حكومة الهند بالتشاور مع اللجنة بوضع خطة لسحب قواتها من جمو وكشمير وانقاص عددها تدريجياً الى الحد الذي تتطلبه حاجة حفظ الامن الداخلي .

ج ـ تضع حكومة الهند الحد الأدنى من قواتها في اماكن لا تساعدهم على التأثير والضغط على السكان وذلك بعد استشارة اللجنة . وإذا مست الحاجة لبقاء أية قوات احتياطية فيرتب أمر بقاء هذه القوات في معسكراتها الحالية .

د ـ تخول اللجنة سلطة استخدام القوات المحلية الى أقصى ما يستطاع في اقرار السلام والامن هناك وإذا ما وجدت اللجنة ان هذه القوات غير كافية او غير قادرة على القيام بهذا العبء فلها أن تستخدم قوات من الهند او باكستان بموافقة الطرفين .

٣ ـ نص القسم الثاني من القرار على شروط الاستفتاء وقد جاء فيه ما يأتي :

أ ـ تأليف حكومة ائتلافية من أعضاء مسؤولين ترشحهم الجماعات السياسية الكبيرة ويعدون وزراء مشتركين في الحكم .

ب ـ يعين السكرتير العام لهيئة الامم مديراً للاستفتاء يكون له مطلق

السلطة والحرية في تنفيذ الاستفتاء مع الاشراف على جيش الايالة وشرطتها وتخويله سلطة تعيين مستشارين خصوصيين للادارة .

ج - يسمح للهنود الذين تركوها منذ ١٥ آب بالرجوع اليها .

د - تطهير الولاية من الرعايا الهنود الذين أتوها لاغراض غير مشروعة .

ه - تقدم اللجنة عند انتهاء الاستفتاء تقريراً لمجلس الامن تبين فيه مدى الحرية التي تمتع بها الشعب عند التصويت .

وفي أثناء مناقشة الموضوع أوضح المستر نويل بيكر مندوب انكلترة ضرورة اعتبار القرار وحدة لا تتجزأ وفي صدد انسحاب القوات الهندية عن الولاية قال : « ان ما ورد في المشروع عن اعادة السلام والنظام الى الايالة لا يتطلب اتخاذ تدابير خاصة بالدفاع الخارجي عن كشمير وعلى هذا فلسنا بحاجة للفقرة التي تحدد نسبة القوات الهندية التي تبقى في البلاد » .

وقال المستر اوستن مندوب امريكا في صدد الادارة المحايدة « المراد بهذه الفقرة هو قيام ادارة مؤقتة تحوز رضاء الشعب وثقته وتكون مثالاً يحتذيه شعبا الطرفين في الحياد الرسمي وعندئذ نستطيع أن نتعرف على ما يريده شعب هذه البلاد » .

وقد رفضت الهند هذا القرار وقبلته حكومة باكستان مع بعض التحفظات فيما يتعلق بالضمانات الضرورية للاستفتاء الحر النزيه منها أنها يجب أن تكون في وضع يساعدها على القيام بالتزاماتها وأن تضاف الى القرار التفسيرات والشروح التي أدلى بها مؤيدوه رغم ذلك أنها لم تتأخر عن ترشيح حكومة الارجنتين لتنوب عنها في اللجنة ورشحت الهند جيكوسلوفاكيا . وعند ما تعسر اتفاقهما على دولة ثالثة رشح رئيس المجلس بلجيكا وكولومبيا وامريكا ليتم نصاب الخمسة أعضاء .

هبطت اللجنة في كراچي في ٧ تموز ١٩٤٨ ومنها انتقلت الى دلهي ثم انقسمت وتفرعت وذهب بعض أعضائها الى كشمير وبعضهم الى روالپندي كما أخذ البعض بالعمل في دلهي تارة وفي كراچي تارة اخرى .



أعضاء اللجنة المتفرعة عن لجنة الامم المتحدة للنظر في النزاع الهندي الباكستاني عند وصولهم كلكيت.

وبعد درس الوضع درساً دقيقاً أصدرت اللجنة قراراً بتاريخ ١٣ آب ١٩٤٨ ابلغته الدولتين والى القارىء ملخص هذا القرار :

ينقسم القرار الى مقدمة وثلاثة أقسام فيما يلي أهم احكامها وهي :

المقدمة

نصت المقدمة على ضرورة الوصول إلى تسوية نهائية الموقف في جمو وكشمير وعلى ضرورة وقف القتال هناك فوراً وتصحيح الأوضاع القائمة ، لأن هذه الأعمال العدوانية من شأنها إن استمرت أن تهدد السلام والأمن العالميين . وقد تساءلت حكومة الباكستان عما تقصده اللجنة من ذكرها « التسوية النهائية » فجاءها الرد في ٢٧ أغسطس وفيه تقول أن ما قصدته من ايراد هذه العبارة لم يتعد ما ورد في قرار مجلس الأمن الصادر يوم ٢١ ابريل ١٩٤٨ ، وهو لا يختلف عنه في قليل ولا كثير ، ومضت اللجنة تقول بأنها سوف لن ترفض أي حل سلمي يتمخض عنه المستقبل إذا وافقت عليه الحكومتان وكان منطوياً على رغبات الشعب الحقيقية .

القسم الاول

نص هذا القسم على مطالبة حكومتي الهند والباكستان باصدار اوامرها للقيادات العليا لوقف القتال ، على أن تطبق هذه الأوامر على قوات الفريقين وقوات كشمير الحرة وكذلك على رجال القبائل .

ونص كذلك على تعيين مراقبين عسكريين محايدين تكون مهمتهم الاشراف على تنفيذ تلك الأوامر عند كلا الطرفين كما طلب الى الهند والباكستان أن يهيبا بشعوبهما أن يقدما معونتها للمحافظة على النظام والانصياع لتلك الاوامر ، بأن يهيئا الجو لدخول الحكومتين في مفاوضات جديدة .

القسم الثاني

أما هذا القسم فقد خصص لذكر القواعد التي يقوم عليها اتفاق الهدنة ، على أن تترك مناقشة تفاصيلها لمندوبي الحكومتين بالتشاور مع اللجنة :

١ ـ طلب الى حكومة الباكستان أن توافق على سحب قواتها من كشمير وقد علم فيما بعد أن انسحاب الهند سيتم في نفس الوقت الذي تنسحب فيه قوات الباكستان .

٢ ـ طلب الى حكومة الباكستان أن تستخدم نفوذها لسحب رجال القبائل والرعايا المنتمين اليها الذين ذهبوا الى كشمير بقصد القتال . وقد ذكرت اللجنة أن هذا النص لا يشمل قوات كشمير الحرة إذ ستترك هذه في أماكنها تحت الرقابة العملية لقيادة الباكستان العليا فتمتنع عن القيام باي عمل حربي .

٣ ـ يشرف على المناطق التي تجلو عنها قوات الباكستان السلطات المحلية تحت اشراف اللجنة . وفسرت « السلطات المحلية » بأنها السلطات التي تنهض بأعباء الحكم ساعة صدور هذا القرار ، وهي حكومة كشمير الحرة ، كما فسر اشراف اللجنة على تلك الحكومة بالتماس اتباع شروط الهدنة مع عدم التدخل الفعلي في أعمالها .

٤ ـ حينما ينسحب رجال القبائل ورعايا الباكستان من البلاد وعندما تبدأ قوات الباكستان النظامية في العودة تبدأ حكومة الهند في سحب قواتها ، على أن يتم ذلك على مراحل يتفق عليها مع اللجنة ولما كان غرض اللجنة ضمان سلامة البلاد فقد قررت أن تنفذ شروط الهدنة تنفيذاً صادقاً تحول دون أي خطر خارجي . وكما سمحت لقوات كشمير الحرة بحفظ الأمن والنظام الداخلي في مناطق نفوذها ، كذلك سمحت بهذا لعدد قليل من الجنود ، على أن يحفظوا النظام في المناطق المتبقية من جامو وكشمير .

٥ ـ يجب على الهند أن تقتنع بأن في مكنة حكومة جامو وكشمير اتخاذ الاجراءات الكفيلة بحفظ الأمن والقانون والسلام وحماية الشعب من أي

عدوان ، كما تكفل ممارسة المناطق الواقعة تحت حكم المهراجا لجميع حقوقها الانسانية والسياسية .

القسم الثالث

نص هذا القسم على مطالبة حكومتي الهند والباكستان بتأكيد رغبتها في ترك تقرير مصير جامو وكشمير إلى رغبة شعبيها وقبول ما قد تسفر عنه النتيجة ونص كذلك على وجوب مباحثة الدولتين مع اللجنة لاستخلاص تلك النتيجة بواسطة تعبير الشعب عن آرائه في جو هادىء ساكن يسود فيه العدل والقانون . وقد ذكرت اللجنة في يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٤٨ لحكومة الباكستان أنه بتنفيذ القسم الثالث من هذا القرار ستهتدي اللجنة بقرار مجلس الأمن السابق الصادر في ٢١ ابريل ١٩٤٨ القاضي بالتعرف إلى هذه الآراء بواسطة استفتاء قد تعدل اللجنة في بعض أحكامه بالاتفاق مع حكومتي الباكستان والهند .

رد الفعل في الهند والباكستان

قبلت حكومة الهند قرار اللجنة على أن يخضع للتفسيرات الآتية :

أ — تعترف اللجنة بسيادة المهراجا على كل جامو وكشمير .

ب — بعد انسحاب قوات الباكستان ورجال القبائل من شمال البلاد في منطقة (لداخ) تعود ادارة هذه الأماكن القليلة السكان إلى حكومة جامو وكشمير .

ج — وجوب ابتعاد حكومة الباكستان عن الاشتراك في تنظيم أو ادارة الاستفتاء وكذلك عن أي تدخل في ادارة البلاد الداخلية .

د — تعترف اللجنة بضرورة حفظ النظام والأمن في البلاد وحفظها من أي عدوان خارجي أو قلاقل داخلية ، كما تحتفظ لحكومة الهند بمسؤلياتها في حالة حدوث شيء من هذا

كان غرض اللجنة الأول إعادة النظام واقرار الأمن في كشمير ، فكان

عليها ان تعمل على وقف القتال الدائر هناك ، لتهيئة الجو للدخول في مفاوضات تفضي في النهاية إلى إيجاد حل سلمي للمشكلة . وما كادت تطأ أقدامها أرض شبه القارة حتى أهابت بالدولتين أن يوجها جهودهما نحو هذا السبيل ، وانصاعت الباكستان لهذا الملتمس مبدية أن حل مسألة جامو وكشمير لا يتعدى احدى وسيلتين ، هما :

١ — اعلان وقف القتال وتهيئة جو هادىء لاجراء استفتاء.

٢ — أو السعي منذ البداية في ايجاد حل كامل نهائي للمشكلة برمتها

وفي أثناء المناقشات التي دارت مع اللجنة من ٣١ تموز إلى ١٣ آب اقترح مندوبو الباكستان أن تفصل مسألة وقف القتال عن بقية المسائل المتشعبة عن الموضوع ، لأنهم يعتقدون ان الرأي مبيت لايجاد حل اجمالي للمشكلة مما قد يستغرق وقتاً طويلاً ، في حين أن مجرد وقف القتال ، مع عدم سعي أي طرف للحصول على ميزات اخرى ، قد يكون له تأثير فعال في انهاء القتال نهائياً وتمهيد الطريق للوصول إلى مفاوضات مثمرة ذات نتيجة . وقد ظهر فيما بعد أن حكومة الهند لم توافق على وقف القتال بلا قيد ولا شرط ، الأمر الذي حدا باللجنة الى تضمين قرارها بعض القواعد الخاصة بقيام هدنة ، مما اتاح للهند مركزاً امتازت به عن الباكستان . وهنا اضطرت الباكستان إلى أن ترسل كتاباً لرئيس اللجنة وجهته اليه يوم ١٩ آب وفيه رددت ما سبق لها ان أعلنته لتلك اللجنة ، من أن مقترحات عقد الهدنة الواردة في القسم الثاني من قرار اللجنة متصلة اتصالاً وثيقاً بالحل النهائي للمشكلة ، وان من المستحيل فصلها أو استبعاد قسم منها عن بقية الاقسام الاخرى . وقد ذكر فيما بعد ان قرار مجلس الامن الصادر في ٢١ ابريل ١٩٤٨ وهو الذي سرد كل نواحي المشكلة منذ وقف القتال إلى الوصول إلى حل سلمي بواسطة اجراء استفتاء حر نزيه ما هو إلا وحدة متماسكة ليس إلى فصل اجزائها من سبيل ، وقد ظهر هذا جلياً في خلال الملاحظات التي أبداها كافلو القرار ومؤيدوه ، لا سيما عضو الشيوخ

(اوسق) الذي أشار إلى تلك الوحدة وأكدها . وعندما تأكد لدى حكومة الباكستان ان اللجنة لن توافق على اقتراح الباكستان لوقف القتال بلا قيد أو شرط ، التمست الحكومة من اللجنة ان تزيد في القسم الثالث في قرارهـا بأن تضمنه القواعد الاساسية لاجراء استفتاء في كشمير حسب ماورد في قرار ٢١ ابريل ١٩٤٨ . وطلبت الباكستان شرح بعض فقرات من قرار ١٣ آب وهنا تبودلت الرسائل بين اللجنة والحكومة وفيها تفسير ما طلبت ما عدا نقطة أو نقطتين هامتين لا زالتا في حاجة إلى مزيد من الايضاح . وقد حدث مثل هذا بين الهند واللجنة فان الهند طلبت ايضاحاً لبعض النقاط ، ولمـا كانت الباكستان تجهل تلك المسائل التي دار التساؤل حولها فقد طلبت إلى اللجنة أن تعرف كل حكومة بما دار بينها وبين الحكومة الاخرى . ولو أن الباكستان لم تقتنع تماماً بالنصوص التي وردت في قرار اللجنة ، إلا انها قبلتها مع تحفظ واحد هو وجوب قبول الهند للشروط الواردة في قرار مجلس الامن الصادر في ٢٩ نيسان (قسم ب ـ الفقرة ٦ إلى ١٥) التي أشبعها مؤيدو هذا القرار شرحاً وتفسيراً ، والتي تنص على اجراء استفتاء حر نزيه يتعرف بواسطته الى وجهـة نظر أهالي جامو وكشمير ، والى أي الدولتين يريدون أن ينضموا .

وقد استندت الباكستان في عرضها لوجهة نظرها الى المبدأ السليم المعترف به في جميع العالم وهو القاضي بسيادة ارادة الامة وأنها مصدر السلطات . واذا عرف أن النزاع بين الهند والباكستان ينصب على معرفة الى أي منها تريد كشمير أن تنضم ، فأن استفتاءاً حراً يجري تحت اشراف ادارة محايدة ، يكون الحكم الفصل في الموضوع (*).

(*) من كتاب قضية كشمير للدكتور حسين همداني (طبع مصر) .

الاعمال التنفيذية واصطدام جديد بالهند

كان على اللجنة في هذا الدور ان توقف القتال ثم تتجه الى وضع اتفاقية الهدنة بين الطرفين واقرار خطة اجلاء القوات تمهيداً للاستفتاء. وقد استطاعت اللجنة ان توقف القتال في ٩ كانون الثاني ١٩٤٩ فتعين على جبهة القتال البالغ طولها نحو ٨٠٠ ميل مواقع الطرفين وان تقيم مراكز المراقبة من الجهتين لتمنع تجدد القتال أو حوادث الاصطدام .

واتجهت بعد ذلك الى اتفاقية الهدنة وهنا اصطدمت برغبة الهند في البقاء مع جيوشها النظامية وجيوش الحاكم الدوگرى وميلشيا الشيخ عبد الله في الوقت الذي طلبت فيه ان تخرج قوات باكستان والقبائل وان تسرح قوات كشمير الحرة ! !

ولم يكن - بالطبع - في امكان باكستان قبول هذا التوجيه الهندي المنطوي على التحكم لان سحب قواتها وتسريح قوات ازاد كشمير معناه فسح المجال لسيطرة قوات المهراجا وميليشيا الشيخ عبدالله على الاقسام المحتلة من قبل حكومة كشمير الحرة (آزاد كشمير) وهذه الاقسام تعادل نحو ثلثي مساحة الايالة كلها كذلك انها لم تجد امكاناً للتأثير على القبائل والمجاهدين فترغمهم على الانسحاب قبل ان تضمن لهم تحقيق امنيتهم بالاستفتاء الحر المحايد فقد تقدمت باقتراحات مختلفة وعملت اللجنة جهدها لاقناع الهند بقبول حل ملائم غير ان كل هذه المحاولات ذهبت ادراج الرياح .

ولما كان الاميرال جستر نيميتز معيناً لادارة الاستفتاء من قبل مجلس الامن ولم يتمكن من الحضور في كشمير للقيام بمهمته لعدم توصل الطرفين الى حل معضلة اجلاء القوات المسلحة فقد رأت اللجنة تحكيم الاميرال وقد قبلت الباكستان ورفضت الهند رغم الندائين اللذين وجههما المستر ترومان واتلي الى الحكومتين يلتمسان فيهما قبول التحكيم . ولم تر اللجنة بداً من الرجوع الى الامم المتحدة واخبار

مجلس الامن بفشلها في مرحلة العمل الثانية وقد عاد مجلس الامن الى درس القضية وبعد استشارات ومداولات علنية وسرية خصوصية ورسمية دامت ستة أشهر قرر في ١٤ آذار ١٩٥٠ تعيين السير اوين ديكسون أحد كبار رجال القانون الاوستراليين وعضو محكمة اوستراليا العليا حكماً يساعد الحكومتين على حل مشكلة اجلاء القوات المسلحة عن الايالة وتمهيد السبل لمجيء الاميرال نيمتز للاستفتاء .

وهكذا سيبقى الفردوس الارضي كشمير في محنته الى ان يتسنى لشعبه اقرار مصيره والتحرر من حكم الدوگرا وجور الهندوكيين .

أهمية كشمير بالنسبة الى باكستان

إن من يطالع وضع كشمير على الخريطة يجدها مجموعات من الجبال تحيط بسهل غربي متدرج نحو باكستان تنساب فيه الانهر التي تسقي ١٩ مليون فدان من أراضي بانجاب . ويكاد المرء يفتقد معالم الحدود والفوارق الاعتيادية بين باكستان وكشمير من جهة وبين الشعبين الباكستاني والكشميري من جهة اخرى وفضلاً عن كون أنهر الاندوس وجيلم وشيناب ورافي وسوتلج التي تنبع من جبال كشمير هي قوام الحياة في باكستان كذلك أن باكستان هي قوام الحياة في كشمير يعتمد البلدان على بعضهما في الانتاج وتصريف المنتجات والتبادل التجاري وان باكستان هي الطريق الوحيدة التي توصل كشمير بالعالم الخارجي فمن طريقها تصدر وعن طريقها تستورد .

ثم تقع كشمير على جناح باكستان الايمن ، تقع الصين في شرقها وروسية السوفياتية في شمالها والهند في جنوبها الشرقي لذلك ان وجودها بسيطرة أية قوة معادية لباكستان يكوّن خطراً على استقلالها وكيانها فان في وسع العدو المسيطر على كشمير أن يقضي على باكستان في أية لحظة شاء وان لم يفعل فيرغم باكستان على الرضوخ لسلطانه .

والاعتبار الآخر المهم هوما تشعر به باكستان من مسؤولية أدبية ومادية ازاء اكثرية سكان كشمير الذين عانوا انواعاً من الظلم والارهاق خلال ١٠٤ سنوات مضت على بيعها الى الحكام الدوكرا الذين ينتمون الى أقلية السكان . وباعتبارها اكبر دولة اسلامية تلتحم أراضيها باراضي كشمير التي تضم نحو ٨٠ ٪ من السكان المسلمين فليس في وسعها أن تبقى مكتوفة ازاء ما يعاني اولئك وازاء ما تقوم به الهند لتحول بينهم وبين تحقيق رغبتهم في الحرية والاستقلال .

هذه الاعتبارات مجتمعة هي التي تدفع باكستان الى الاهتمام بكشمير وانها باهتمامها بها إنما تقوم بواجب ديني وانساني ووطني ونسأل الله أن يوفقها الى تحقيق امنيتها وامنية العالم الاسلامي كله في تحرير الفردوس الارضي : كشمير الجميلة وشعبها الباسل من تحكم الوثنيين الغرباء .

كلمة لا بد منها

أرى وأنا افرغ من كتابة هـذه الفصول ان اعترف للقراء بان رغبتي الملحة في اخراج هذا الكتاب في آونة اشتداد ازمة كشمير الحاضرة لم تتح لي المجال الكافي للتوسع في البحث والاستفاضة في وصف عهود كشمير الذهبية .

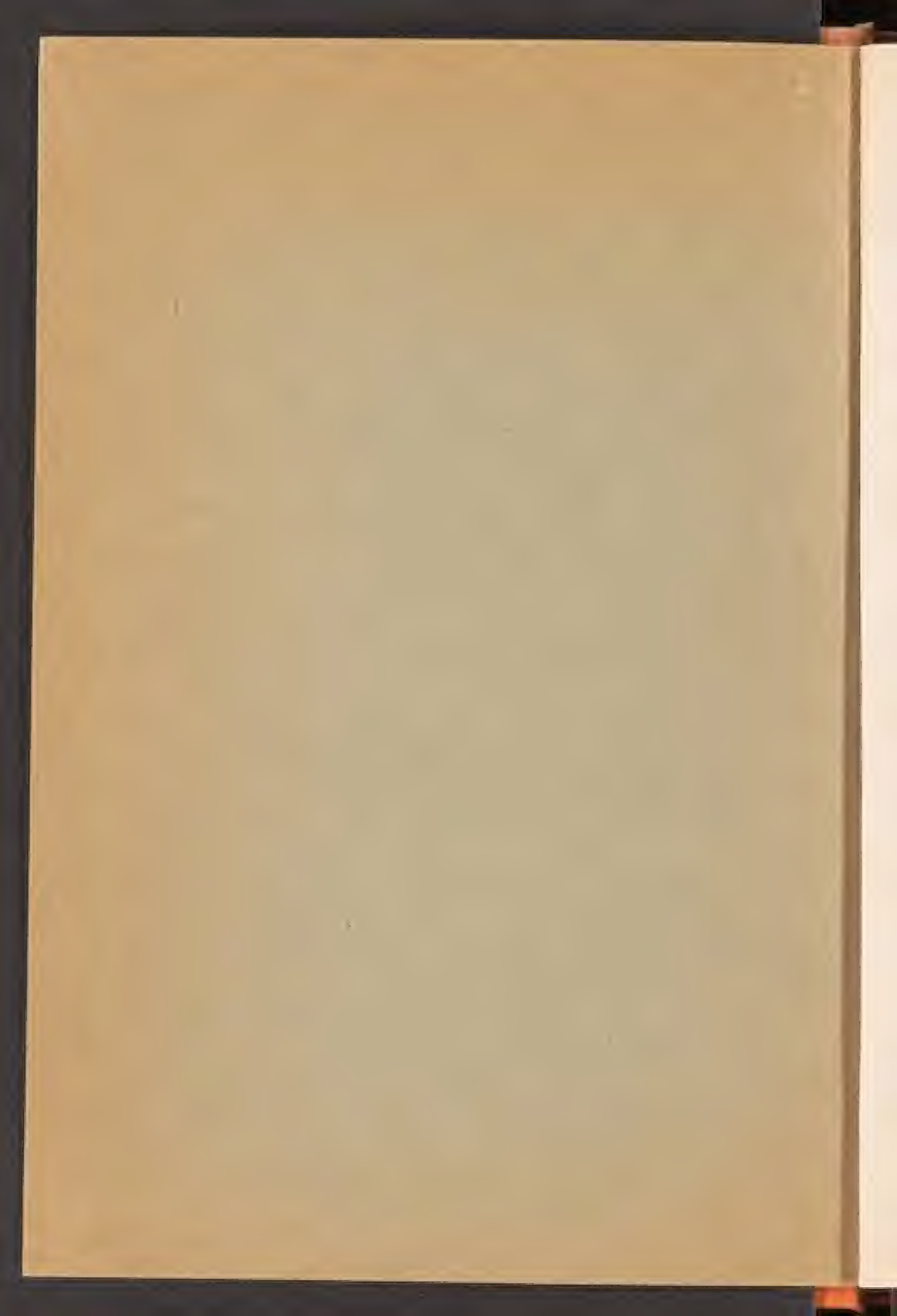
فقد كنت ولا أزال أشعر بان مثل هذا البحث لا يمكن أن يكون كاملاً ما لم يتوغل المرء في حياة البلد الاجتماعية والثقافيه وما أنتج في مضامير الأدب والعلم والفنون وما أنجب من افذاذ الرجال وفضليات النساء .

وقد لمست وأنا استقصي المراجع لتكوين هذه الفصول ان انتشار الاسلام في كشمير أدى إلى تطور رائع في مختلف مناحي الحياة فأزدهرت ثقافة جديدة رافقتها حضارة تختلف عن الحضارة الوثنية القديمة المستندة إلى الاساطير ونظمت الادارة بأساليب حرة عادلة ساعدت على زيادة العمران ونشر المعرفـة ورفع مستوى الأفراد .

وقد ثبت لدي أن أثر الاسلام في كشمير يحتاج إلى دراسة خاصة وإذا كان قد حال دونها عامل الوقت وقلة المراجع فلي كبير الأمل بأن اوفق يوماً ما إلى كتابة فصول مستفيضة في هذا الشأن .

وفي الوقت الذي أعتذر فيه إلى القراء عما قد يجدون في فصول هـذا الكتاب من نواقص أرجو أن لا يبخلوا علي بملاحظاتهم وتوجيهاتهم التي آمل أن أسترشد بها في عملي المقبل إن شاء الله .

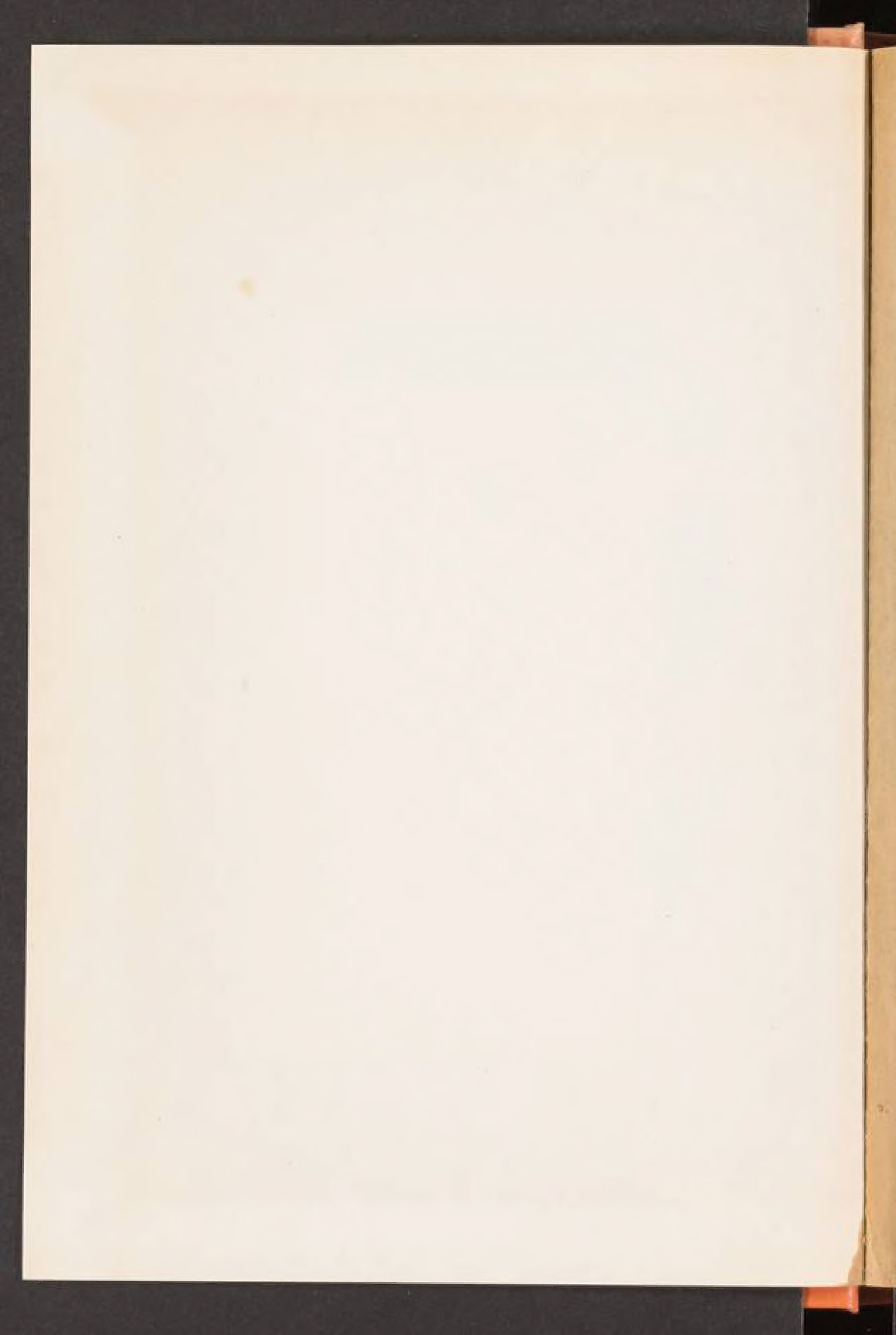
فهرس الكتاب

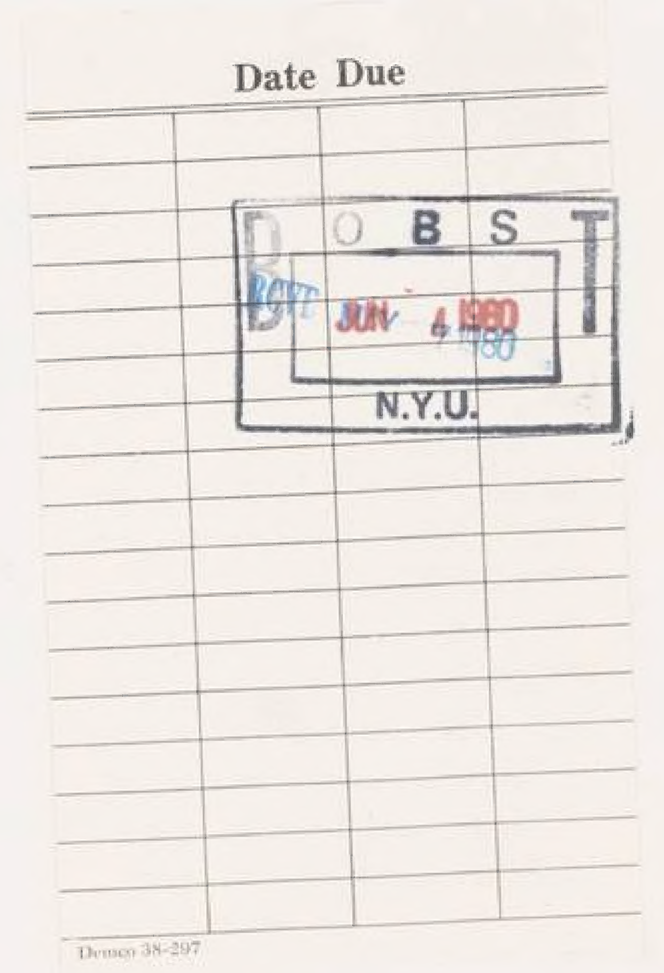


الثمن نصف دينار

طبعت في مطبعة المعارف بغداد

في سنة ١٣٦٩ هجرية و ١٩٥٠ ميلادية




Date Due


3 1142 00410 7366

